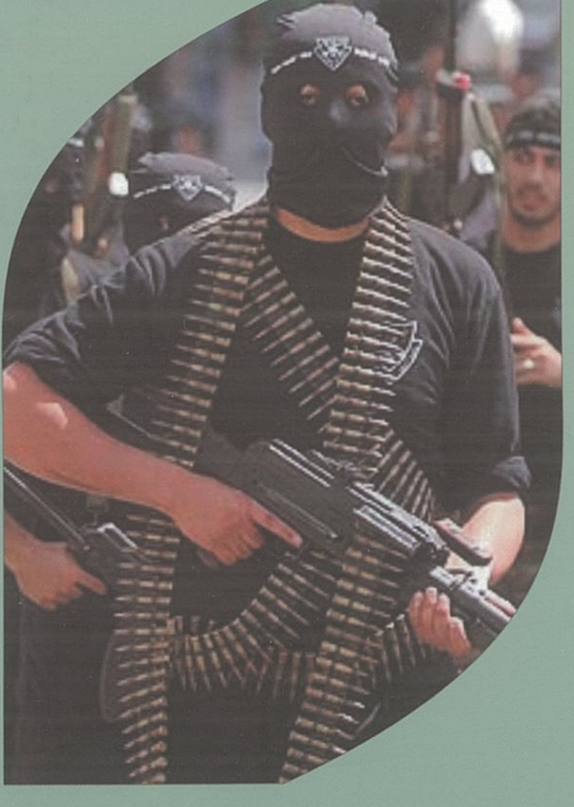
بكر ابو بكر

حماس
سيوف ومنابر



فلسطين - الطبعة الاولى

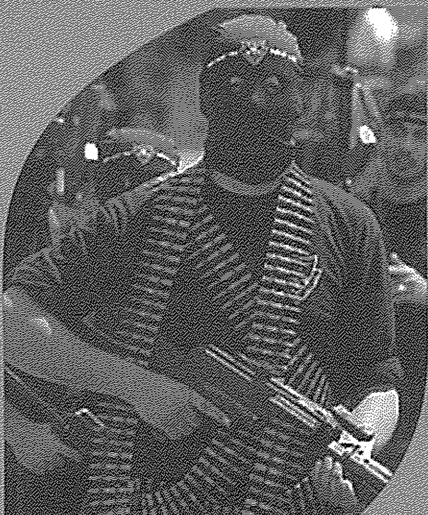
2007

حماس
سيوف ومنابر

الطبعة الأولى 2003

بكر ابو بكر

حماس سيوف ومنابر



فلسطين - الطبعة الاولى
2008

محتويات الكتاب

مقدمة

قال الله تعالى:

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)

صدق الله العظيم

إن دراسة التيارات السياسية ومنها الدينية أصبح حاجة ملحة في ظل الهجمة التي تطال الأمة من جهة، والانكفاء والاكتفاء الذي أصبح سمة الكثير من هذه الأحزاب من جهة أخرى ما يقود للغلو والتطرف، بحيث نُقدّم تراثنا الفكري والسياسي والمجتمعي استنادا لمنابعه وانفتاحه بعيدا عن محاولات قطعه عن مسار الحضارة العالمية وتقديسه أو ربطه بالعصمة الحزبية أو الشخصية.

أن أهمية دراسة التنظيمات السياسية وحركتها ومتغيراتها هي بأهمية الرؤية والقدرة على تحديد المسار المستقبلي للمجتمع، وحيث أن التنظيمات السياسية عامة، وفي المجتمع الفلسطيني خاصة تشكل عامل جذب وإستقطاب لمختلف فئات الشعب لذلك فإن النظر إليها من هذه الزاوية يعد مهمة وطنية لكافة الكتاب والسياسيين والمفكرين.

يأتي هذا الكتاب عن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بعد كتابنا الأول عن حركة (فتح) ذاك الذي تعرضنا فيه للتشريح والتحليل والتعقيب وبقسوة أثارت الكثير من الأخوة، وأن كنا لم نتخل عن فكرة التحليل والتشريح هذه في هذا الكتاب فإن ما نتمناه من قراءنا وكتابنا أن يتم قراءة الكتاب بعناية آملين نقد ما يرونه مخالفاً لرأيهم وتزويدنا بذلك .

يضم الكتاب مجموعة من الأوارق والأبحاث التي لم تكتب مرة واحدة وإنما كتبت على مدار الأعوام منذ (٢٠٠٠ – ٢٠٠٦) باستثناء االفصل الأخير، وسيكتشف القارئ ذلك من تواريخ الاستشهادات في كل ورقة من الأوراق، وان كانت بعض الأوراق قد قدمت لمؤسسات بحثية وأخرى نشرت في الصحف فإننا جمعناها معاً وفق تسلسل كتابتها.

ونحن إذ نقوم بهذا العمل المتواضع وفي إطار خطنا الواضح فإننا نبتغي في الله الوسيلة ونسعى للتطوير والتغيير.

المؤلف

الفصل الأول

نظرات في التفكير السياسي لحركة حماس

تمهيد

استغرق مني اختيار عنوان هذه الورقة وقتا طويلا، وذلك نظرا لحساسية مثل هذه المواضيع ذات الطبيعة النقدية، ولأهميتها خاصة في مرحلة نحن أحوج ما نكون فيها للوحدة الوطنية بين مختلف تنظيمات الفعل الفلسطيني، وخشية من أن يفهم (النقد) بأنه تهجم على (العقيدة) كما هو شأن التنظيمات الايديولوجيه ومنها (الإسلامية) أو (الاسلاموية) في تصويرها لناقديها وكأنه هجوم على ذات الدين، لا على فكر التنظيم السياسي هذا أو ذاك أو على أطره وممارساته وممارسات رموزه أو كوادره.

ولكن قراءتين متتاليتين في فكر حركة (حماس) الامتداد الطبيعي للتنظيم الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين لا يمكن أن تظهر ألا ذاك الكم الهائل من تشويه الحقائق أو اجتزائها أو (التضليل) بالانحراف عن الطريق الصحيح في عرض الفكر أو قراءة التاريخ أو التعاطي مع (الغايات) "ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد".

ومع هذا الوقت الطويل واستعراضي لمفهوم التفكير والفكر والايديولوجيه والفكر السياسي الفلسطيني برز بوضوح مرور التنظيم الفلسطيني للجماعة (بمرحلة السكون التنظيمي) والتي قد تولّد غالبا ولدى معظم الكوادر مشاعر اليأس والإحباط أو الشقاق والبكاء، وربما الحقد على الآخرين صُنّاع الحدث على حساب (حراس الدين) أو (رافعي راية الإسلام) أو جماعة (الله غايتنا) كما يصورون أنفسهم دون الآخرين.

وربما تولد هذه المرحلة فكرا باحثا ناقدا مستنيرا مستقلا عن أي ارتباط حزبي لدى تلك القلة التي لا تبغيها عوجا وتعترف بترابط التراث الفكري وتواصل التجارب وتأثيراتها الواضحة. مما لا شك فيه أن ثلاثين عاما على الأقل (١٩٥٧ - ١٩٨٧) من (السكون) قد حققت تغييرا جذريا، لان التنظيم الذي رفض في العام ١٩٥٧ أن يتجاوب مع مذكرة الشهيد القائد أبوجهاد بوجوب إعلان الكفاح المسلح والتي استغرقت من التنظيم الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين سنوات ثلاث متصلة ليجيبوا عليها في الختام بالرفض اللامنطقي، كان هذا التنظيم في العام ١٩٨٧ قد اقتنع جزء منه بالانتقال لمرحلة التنفيذ.

نقول انه رغم هذا التغيير على أهميته فان السائرين في مجراه لم يتخلصوا من العناصر السلبية من (مرحلة السكون) سواء في قراءة الأحداث أو تفسير التاريخ أو الاجتزاء واختلاق الأوهام والتي تدخل كلها في باب التضليل... وتعرضنا لذلك عبر عدد من النماذج والأمثلة مستعينين بآراء عدد من مفكري وقيادات جماعة الإخوان المسلمين نفسها، وما كل ذلك ألا بغرض تصحيح المسار والحث على تحديث طرق التفكير لتكون ضمن فكر كافة التنظيمات السياسية الفلسطينية (تقبُّلا) من كل تنظيم للآخر واحتراما لرأيه وللرأي الآخر، ورفضا قاطعا لاحتكار الصواب وادعاء الحق دون الآخرين كما هو شأن التنظيمات (الاسلاموية) أحد أشكال التنظيمات الأيديولوجية الماضوية.

التفكير والفكر

ما دمنا سنتعرض في هذه الورقة لنقد (فكر) ثم التعرض لعملية (التضليل) التي يقوم بها أصحاب هذا الفكر، فانه قد يحسن أن نتعرف على ماهية التفكير والفكر أولا، لندخل في نقض لبعض طروحاته ثانيا تلك التي تتعمد (التضليل) عبر الاجتزاء للحقائق أو حوادث التاريخ أو التحريف والتزوير، أو الإيحاء والإيهام.

إن التفكير عملية عقلية، وهذا يعني أن هناك (مدخلات) ما إلى الدماغ يتم (معالجتها) من خلال جهد محدد يؤدي لظهور مخرجات يعبر عنها بالأفكار أو الفكر. وباعتبار إن التفكير كما أسلفنا عملية فهي تتضمن بذل جهد عقلي يتناسب عكسيا مع الجهد العضلي، وبالتالي يؤثر ويتأثر به من حيث الشدة والتوهج ومن حيث تقلب الزمان والمكان. إن عملية التفكير تفترض بالأساس الإحساس بالواقع المادي أو المعنوي من حيث الانتباه لوجوده ثم إدراك كنهه وطبيعته ومضمونه مما يشكل في الذهن من مجموع هذه الاحساسات والادراكات ما يمكن أن نسميه الوعي الأولي أو الخلفية الفكرية أو التصورات الأولية التي يفترض وجودها للانتقال للعمليات العقلية الأعقد والتي تتعاطى مع الفكرة في محيط الفكر من خلال التوليد أو الانتزاع للأفكار الجديدة (الثانوية).

أو كما يقول د. لؤي صافي عن التفكير والعقل بأنه يستخدم (للدلالة على العمليات الذهنية من تحليل وتركيب واستقراء واستنباط للانتقال من تصورات وتصديقات أولية إلى تصورات مركبة) (١)

إن الفكر يمثل (النتاج الأعلى للدماغ كمادة تنظيم عضوي خاص وهو العملية الإيجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم وأحكام ونظريات... الخ) (٢)

وان كنا قد عرضنا لهذا التعريف الأخير مع اختلافنا معه لان الفكر لا يمثل انعكاسا وإنما يمثل إحساسا ولأنه إحساس فانه لذلك يتم إدراكه بطرق مختلفة فهو ليس انعكاسا، ولكنه بشكل عام فان عملية التفكير تسفر على الدوام عن فكرة ما، والفكر قوة إبداعية لأنه يبرز في مواقف تتطلب حل مشكلة أو التصدي لمعوق، مما يفترض اكتساب معرفة جديدة ومناهج لتغيير البيئة لتلبيته الاحتياجات.

إن (الفكرة) من الممكن أن تفهم على أنها شكل أو منهج للمعرفة والفكرة السياسية ما هي إلا ذاك المنهج المعرفي أو التصور العقلي لظاهرة سياسية أو شيء سياسي. (وقد عرف الإنسان منذ قيام حضاراته الأولى أفكارا سياسية متعددة كانت تمثل الأوضاع والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي كانت سائدة في تلك الحضارات) (٣).

الفكر والايديولوجيه

إن الفكر المعبر عنه بالإحساس ثم الإدراك من خلال عمليات عقلية تنشئ تصورا عقليا محددا من الممكن أن يتحول لنظرية لها فروض وبراهين ثم لمذهب (سياسي) وقد يتخذ الشخص من هذا الفكر السياسي أو ذاك مذهبا ويتمسك به (بمعنى أن يؤمن به ولا يرضى بمناقشته عقلانيا أو طبقا لمنهج علمي) (٤) وفي عالمنا المعاصر ولدى عديد الاتجاهات الفكرية نرى بوضوح التحولات الواضحة للأفكار والنظريات إلى (مذاهب) عصيّة على النقاش لدى أصحابها حتى أن المساس بها قد يعتبر من المحرمات. على نفس الصعوبة التي كان يواجهها الكثيرون عند مناقشة الأفكار الماركسية – اللينينية إبان عصرها الذهبي فلا يلقى من هؤلاء المتذهبين إلا كل النعوت بالرجعية والانتهازية.. الخ، قد يلاقي نفس الأشخاص اليوم كل الأوصاف بالكفر والإلحاد ومعاداة الدين حين الحديث عن هذا المذهب السياسي لأحد التنظيمات (الإسلامية) أو تلك وذلك لنفس الخطيئة المشتركة التي تفترض إسباغ القدسية – قدسية العقيدة المستمدة منها الأفكار – على أفكار وممارسات أطر وزعامات هذا التنظيم (الإسلامي) أو ذاك أو كما يعبر عن ذلك المفكر الإسلامي المعروف د. عبد الله النفيسي بالخلط الحاصل لدى جماعة الإخوان المسلمين بين الدين كمعتقد وغاية، والتنظيم كحشد ووسيلة (ذلك أن الخلط الحاصل بين الاثنين في جماعة الإخوان صار أحيانا يؤدي إلى استعمال الدين كوسيلة بغية الحفاظ على التنظيم كغاية، وهنا مكمن الخطر على الدين والتنظيم والمجتمع السياسي الذي يتجاذبان فيه. الدين لا يمكن القبول بنقده، لكن لان

الخطل حاصل بين الدين والتنظيم صار أيضا ليس مقبولا نقد التنظيم وهنا مكمن الخطر) (٥).

قلنا إن الفكر ممكن أن يتحول إلى نظرية ثم إلى مذهب، ولكن ما هي (الأيديولوجية) من كل هذا، ولكثرة التعريفات التي طالت هذا المصطلح إلا أننا سنأخذ منه اثنين. يقول الأول أن الأيديولوجية (نظام متسق من الأفكار والمعتقدات يفسر موقف الإنسان من المجتمع ويؤدي لاعتماد نسق من السلوك يجسم تلك الأفكار والمعتقدات ويتفق معها)(٦) ولأنها كذلك – أي الأيديولوجية– فهناك معتقدات، وهناك أفكار تخضع فيها هذه الأخيرة للبحث العلمي من اختبار وتحقق من صحتها. بينما لا يصح ذلك مع العقائد.

أما التعريف الثاني فانه وبحسب قاموس وبستر الإنجليزي فان الأيديولوجية منظومة من الأفكار تعنى بالظواهر خاصة تلك التي تتعلق بالحياة الاجتماعية وبأسلوب التفكير الذي يميز الفرد أو الطبقة. وإذا اعتمدنا على التعريف الأول فإننا سنكون اكثر قربا حين التعرض لفكر الأحزاب أو التنظيمات العقائدية (التنظيمات الشيوعية، والدينية، والقومية والطائفية) وهي بحسب التعريف الأول هذا تنظيمات (أيديولوجية) ويعتبر تاريخ الأديان والأيديولوجيات السياسية مجالا خصبا للانقسامات وظهور فرق جديدة وحجج مضادة قد يصل الصراع بينها إلى حد القطيعة أو اللجوء إلى العنف حيث يدعي كل حزب أو تكتل أو فريق أن مفهومه للدين أو المذهب هو المفهوم الوحيد الصحيح وما عداه مروق عن الدين أو انحراف عن الخط الصحيح. وهنا من المستحسن تجنب الافتراض أن الاعتبارات الأيديولوجية فقط تؤثر وتتحكم في كل الأفعال.لان مشاعر الطموح والرغبات الشخصية مثلا ليست لها طبيعة أيديولوجية ومع ذلك فهي تحل أحيانا محل الأيديولوجية في التأثير على سلوك الفرد لدرجة أن الدوافع الشخصية للأشخاص الذين يحتلون مراكز سياسية حساسة قد تكون لها أهمية كبيرة في تشكيل سير الأحداث(٧).

ويقول في ذلك أحد قيادات جماعة الإخوان المسلمين وهو د.عبد الله ابو عزة متحدثا عن طبيعة المناخ السائد في جماعة الإخوان المسلمين (التنظيم الأيديولوجي حسب التعريف هنا) انه كانت تسود فيه (كثرة المنافسات والصراعات وهو ما كان يحدث بين أفراد ذوي مؤهلات قيادية – بمقياس الجماعة – وربما ذوي طموح أيضا جعلهم يتنافسون على البروز والتفوق) (٨) والذي (اقترب في بعض المرات من اللجوء إلى العنف) (٩) ونضيف انه بالطبع أدى بعد ذلك ولأسباب أخرى لانشقاقات عدة في فكر وتنظيم الإخوان المسلمين وكما حصل في فترة المواجهات الدامية مع الحكومة السورية عام ١٩٨٣.

ويقول د. عبد الله النفيسي معلقا على المهام الضخمة لمكتب الإرشاد العام لجماعة الإخــوان المسلمين وطبيعة الأشخاص ومدى تأثيرهم ودور دوافعهم في النهوض بهذه المهام إن (مــن يقرأ هذه المهام الضخمة ويستعرض أسماء وشخوص أعضاء مكتب الإرشاد العام للتنظــيم الدولي للإخوان المسلمين لا يسعه إلا أن يصاب بالإحباط) لماذا؟ يجيبنا الدكتور النفيسي قائلا بكل وضوح وعن اطلاع (لان هذه المهام اكبر بكثير من قدراتهم الذاتية) (١٠) لان منهم من لا يقرأ حتى الجريدة ومنهم من لا يملك الكفاية والاقتدار الفكري والسياسي وببساطة وكمــا يقول د. النفيسي فاقد الشيء لا يعطيه حيث أن (المشكلة الذهنية والنفسية لدى أعضاء مكتب الإرشاد العام الحالي هي انهم يصنعون عالما من الأوهام ثم يتصورون انه الحقيقة ويتعاملون معه على انه كذلك: أي حقيقة فعلية واقعية) (١١) وكل ذلك لان المتنفذين في قيادة الجماعة يحصرون اهتمامهم بصعود (العناصر التنفيذية، التي تطيع طاعة مطلقة وابعادها للعناصــر المؤهلة فكريا وسياسيا، والقلقة على مستقبل الدعوة) (١٢).

الفكر السياسي الفلسطيني

إن جذور الفكر السياسي الفلسطيني منذ الأربعينات من القرن العشرين هي جــذور (لا وطنية) أي غير فلسطينية، وهذا ليس سُبة أو عارا بقدر ما شكل تعبيرا عــن الرغبــات الفلسطينية والانفتاح للعقل الفلسطيني على الأفق القــومي والإســلامي والعــالمي، فجميــع الأحزاب والتنظيمات السياسية الفلسطينية التي سادت حتى بداية الستينات وانطلاقة الثــورة الفلسطينية الحديثة، كانت خارجية المنشأ سواء من حيث الأفكار أو المؤســسين أو الامتــداد التنظيمي مثل حزب البعث العربي الاشتراكي، الحزب السوري القومي الاجتماعي، الحزب الشيوعي الفلسطيني، جماعة الإخوان المسلمين، حركة القوميين العرب.

لقد اتسم هذا الفكر ضمن سمات عدة في مناهج أو أنماط التفكير التي سادت آنذاك والتي تراوحت في طريقة التعبير عن طروحاتها الفكرية ما بين (الــنمط التــاريخي) الــذي يستمد العون والمدد من المخزون التاريخي العظيم، ومن أصول الحضارة العربية الإسلامية، ولا ينشط ذهنه إلا عبر عقد المقارنات بين الماضي الزاهر والواقع المتردي.

والنمط الثاني وهو (النمط الفلسفي) الذي يحاول دوما أن يرى الأمور في محيطها الفكري الفلسفي وبنظرة شمولية تتعفف عن التعاطي مع الجزئيات والمتغيرات، ويــستخدم القوالــب الجامدة المحددة للتعبير عن الواقع. واما النمط الثالث فهو (النمط القضائي) الذي يتعامل مع

الأشياء والحوادث والمواقف عبر (الحُكم) عليها من حيث أنها صواب أو خطا بشكل قطعي، ويوزع الاتهامات يمينا وشمالا.

أما النمط أو بالأصح هنا (النهج الواقعي) (١٣) فكان مُغفَلا ومُستبَعدا لان الكل يتحدث عن (الثوابت) والثوابت (مقدسات)، والتعاطي مع الواقع المتغير بالضرورة خرق لهذه الثوابت وضرب لهذه المقدسات إلى أن جاءت انطلاقة حركة (فتح) عام ١٩٦٥ لتصنع من الفرادة والتميز وروح المبادرة والإبداع والصقل عبر التجارب منهجا تتعاطى من خلاله مع إبداعاتها الفكرية بروح الحرص على المنجزات وتطويرها وقياس الأهداف بمقدار النتائج، فكانت إدارة الصراع خاضعة بالضرورة للفهم المتفتح ولعوامل القوى ومقدرة التأثير فيها في منهج علمي واقعي سارت عليه الحركة دون سائر التنظيمات المذكورة، تلك التي كان لها سبق الوجود خاصة كما أسلفنا في فترة الأربعينات والخمسينات.

فكر حركة حماس

لم تظهر حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في صورة الأحداث إلا عندما أعلنت عن نفسها بعد بدء الانتفاضة المباركة التي مهد السبيل لها أول الرصاص أول الحجارة الشهيد القائد البطل خليل الوزير (ابو جهاد) ورفاقه من قيادات حركة (فتح). أي أن (حماس) ظهرت في البيان الذي وزعته في ١٩٨٧/١٢/١٤ ولأنها أعلنت عن نفسها بشكل صادق بعد ذلك بأنها جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين فحركة حماس تعتبر جزء من التنظيم الفلسطيني، لحركة الإخوان المسلمين تلك الحركة التي أنشأها الشيخ حسن البنا عام ١٩٢٨ في مصر، وبدأ يتنقل فيها من النظرة الإسلامية للمجتمع إلى العمل في السياسة منذ العام ١٩٣٩ كما يقول الكاتب الإسلامي المعروف فتحي يكن (١٤). وليفتتح أول فرع لهم في فلسطين في القدس عام ١٩٤٥. وبعد مشاركة الإخوان المسلمين – التنظيم الفلسطيني شأنه شأن التنظيمات الفلسطينية الأخرى (فروع لأحزاب أو أطر قومية، أو منظمات محلية) في حرب ١٩٤٨ عاشت الجماعة – التنظيم الفلسطيني مرحلة من (السكون) التي افترضت بهم الابتعاد عن مجريات الفعل والتأثير بالأحداث والركون لاجترار الماضي والترقب والانتظار منذ العام ١٩٥٧ حتى العام ١٩٨٧، أي انهم لم يكونوا طوال هذه الفترة – وهي فترة صعود نجم المقاومة الفلسطينية المسلحة وعلى رأسها حركة (فتح) – إلا في دائرة الظل والتي استطاعت جماعة الإخوان المسلمين – التنظيم الفلسطيني أن تنتهز بعد أن تعلمت الكثير من (فترة السكون) التي امتدت لثلاثين عاما على الأقل، أن تنتهز فرصة حدث بدا عظيما وهو

كذلك كانتفاضة الشعب الفلسطيني المباركة لتعلن عن ظهورها (جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين) (١٥).

وبالتالي فانه من المفترض أن يكون فكر حركة (حماس) هو ذات فكر التنظيم الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين وذات الفكر لجماعة الإخوان المسلمين بمقرها العام في مصر.

مرحلة السكون التنظيمي

إن (السكون) أو حالة الكمون في الفكر، وفي التجربة والعمل، هي الحالة التي يُقذف فيها بالشخص أو التنظيم أو الفكر أو المجتمع خارج دائرة الحدث، وبعيدا في زوايا الظلمة والنسيان، مما يؤدي لفقدان التأثير في الفعل التاريخي. إنها حالة أو مرحلة عاشتها عديد من التنظيمات التي نشأت في هذا القرن ومنها جماعة الإخوان المسلمين، وخاصة التنظيم الفلسطيني فيها.

أن تعيش مرحلة من السكون يعني انك لا تشعر بمرور الزمن وحوادث هذا الزمن من حولك، ولا تشعر إلا بثقلها وبطئها وقسوتها عليك، أو أن إحساسك بها - ربما لعدم وجودك ضمن حركيتها وفعاليتها - يكون في حده الأدنى الذي يجعل من موقفك ضد الصيرورة والتواصل لحوادث التاريخ موقفا سلبيا نابعا من عقلية الترقب والانتظار أو الخوف والفزع أو التشاؤم والسوداوية والانعزال.

أن ذاك الذي يعيش مرحلة السكون هذه لا يُقدِّر مجريات الأحداث وتطورات الأمور بشكلها الصحيح، فهو يسبغ عليها جزء من شعوره السلبي الساكن فلا يقيمها كما هي بإيجابياتها وسلبياتها ومقدماتها ونتائجها. ولأنه لا يتفاعل معها فهي لا تساوي شيئا لديه، وقد لا يدرك أن وضعه الحالي قد جاء نتيجة التغيرات المختلفة من حوله وفيه أيضا، لان انتقاله من موقع إلى آخر أو من طور إلى آخر لا يجري إلا عبر (وسيلة) تماما كما هو الحال في انتقال شخص من مدينة إلى أخرى يتم عبر التغيير الجغرافي الذي تم بتفاعل الزمن مع وسيلة النقل، هو نفس الوضع الذي قد يجد نفسه فيه شخص في الحاضر ولا يمتلك زمام الحركة أو الفعل فيسقط من فكره كل عوامل التطور التي أوصلته لموقعه الحالي، أو قد يتعهد نتيجة (العوج) أو (الضلال) أن يصور المرحلة السابقة كمرحلة فعل وإعداد وتهيئة، هو نفسه ذاك الساكن من قام بها؟!، رغم سلبيته وسكونه وهامشيته آنذاك؟!. وهذا بالضبط ما يحاول التنظيم الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين وآخر إفرازاته (حركة المقاومة

الإسلامية- حماس) أن يوهم الآخرين به. فعلى مدى اكثر من ثلاثين عاما من السكون والهامشية لا بل والسلبية المفرطة يعود هذا التنظيم محاولا صناعة تاريخ لم يكن في الحقيقة له فيه أي دور فاعل أو أساسي. ونخالف في ذلك د. عبد الستار قاسم الذي اعتبر أن البناء الفكري لحركة (حماس) مر أولا (بمرحلة البناء الهادئ وتمتين الدعائم (١٩٦٧-١٩٧٦) (١٦) والتي هي في حقيقتها بسنوات سبقتها وأخرى لحقتها كانت (مرحلة السكون) بالخروج عن التأثير في الأحداث كما أسلفنا وكانت مرحلة تعج بعوامل الإحباط واليأس والشقاق والانشقاق لدى هذا التنظيم وخير من كتب عن هذه المرحلة هو مسؤول التنظيم الفلسطيني آنذاك د. عبد الله ابو عزة. ثم يضيف د. عبد الستار في مرحلته لفكر (حماس) لمرحلة ثانية ثم ثالثة ورابعة انتهت بالإعلان عن (حماس) وبشكل يحاول أن يصنع به تاريخا عبر اجتزاء الأحداث وإسباغ أهمية عليها لا تستحقها كما هو الحال فيما اسماه (معسكرات الشيوخ) على سبيل المثال والتي سنتعرض لها لاحقا ومن شهادات قيادات التنظيم الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين أنفسهم.

إن التفسير المجتزأ - للتاريخ الذي أهمل الهوامش في مرحلة السكون- يستدعي بالضرورة إعطاء أهمية قصوى لمعطيات مع إغفال الأكثر أهمية منها بشكل متعمد. وكما هو شأن السيد محمد نزال الذي اعتبر الإرهاصات للتوجه العسكري للتنظيم الفلسطيني لجماعة الإخوان المسلمين ابتدأت مع (إشعال انتفاضات المساجد في سنوات ٨٢،٨٣ والتي كانت تتمثل في مظاهرات عارمة كانت تخرج من المساجد تعلن غضبها عقب قرار الحركة في صائفة ١٩٨٥ - يقصد حركة الإخوان المسلمين هنا - باعتماد سياسة تثو ير الجماهير وترتيب الفرصة الملائمة وانتهازها للقيام بعملية نهوض جماعي جماهيري لرفض الاحتلال). (١٧) وفي ذلك ادعاء لم تصدقه الأحداث لقيادة فعل لأطر لم تكن موجودة بالفاعلية المطلوبة وهذا ما يدخل ضمن أمور أخرى في مفهوم القراءة المجتزأة، أو صناعة الأوهام كما يسميها د. عبد الله النفيسي، او بالاحرى يدخل في باب (التضليل) ولا سيما وكما هو معلوم إن عملية الإعداد والتهيئة الدعوية فكريا وتنظيميا وماليا وعسكريا كانت الشغل الشاغل للعقل المدبر (للنهوض الجماعي الجماهيري) أي الانتفاضة المباركة وهو عقل القائد الشهيد ابو جهاد أول الرصاص أول الحجارة واخوته وابنائه من قيادات الداخل.

لم يتحدث السيد نزال إلا بقراءة انقطاعية للأحداث وجد نفسه فيها محورا وعتمت الصورة عما حولها فحاول أن يوهم الآخرين بأنه من كان يمهد الأرض منذ سنوات لما اسماه (النهوض الجماعي الجماهيري لرفض الاحتلال) في نفس الوقت الذي يشير

فيـــــــه د. إبراهيم اليازوري من قياديي (حماس) في القطاع إلى أن الاجتماع في منـــزل الشيخ ياسين بعد يوم من الحادثة الشهيرة التي فجرت الانتفاضة عام ١٩٨٧ دار النقاش فيـــه (حول ضرورة استثمار هذه الحادثة وكيفية الإفادة منها عملا مساعدا لإثارة المشاعر الدينية والوطنية والقيام باحتجاجات جماهيرية) (١٨). (؟!)

القراءة الأولى في فكر التنظيم

كنت قد قرأت قبل سنوات ميثاق حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والذي اصدر فـــي أغسطس ١٩٨٨، وكان اكثر ما أثار انتباهي وشدني فيه، هو التغيير الكبير الحاصـــل فـــي الخطاب الذي بدأت جماعة الإخوان المسلمين الفلسطينيين تستخدمه انطلاقا من النظر في هذا الميثاق وبيانات التنظيم. فمن صيغ القوالب الجامدة والتشدد والتصلب المعهودة في التنظيمات الأيديولوجية عامة ومنها التنظيمات الدينية، إلى صيغ ومفاهيم على مطاطيتها فهـــي تـــوحي بالواقعية (البراغماتية) (١٩) والمرونة، انه بدلا من استخدام عبـــارات المطلـــق والتعمـــيم والوعظ في أجزاء من الميثاق والبيانات والتصريحات بدأ خطاب التنظيم يكتـــسب تـــساهلا ومرونة على حساب الأهداف الكبرى التي يطرحونها.

يقول على سبيل المثال د. محمد عثمان شبير في رأيه حول الصلح مع اليهـــود (انـــه يجب على المسلمين أن ينظموا أنفسهم تحت قيادة إسلامية مؤمنه واعية تعمل على إضـــعاف قوة اليهود بقتل مقاتليهم وتخريب مصالحهم الاقتصادية إلى أن يتم التحرير الكامـــل لأرض فلسطين الإسلامية. وإلا فسيعذبهم الله ويجعل بأسهم بينهم شديدا) (٢٠) فأي مسلمين يقـــصد؟ وكيف ينظمون أنفسهم؟ ومن هي القيادة الإسلامية؟ وما معنى الوعي؟ وما المقصود بالقتـــل والتخريب... الخ من الأسئلة التي تبرز والتي تحتاج حين الحديث عنها لأهـــداف وغايـــات وسياسات واستراتيجيات وخطط كلها لا تقبل مثل هذا التعميم المخل والإطلاق غير المفيـــد، كما تحتاجه رسالة تنظيم (حماس) إلى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الـــــ ١٩ فـــي ١٩٨٨/١١/١٥ والتي أكدوا فيها على ضرورة (ربط القضية الفلسطينية بعمقها الإســـلامي، والعمل على حشد طاقات الأمة الإسلامية وإمكاناتها الهائلة (؟!) لمعركة تحريـــر المـــسجد الأقصى (؟!) وذلك عبر خطة واضحة المعالم محددة المراحل (؟!) (٢١)

أقول أنني لاحظت – على عكس المثالين السابقين وغيرهما الكثير – فـــي الفكـــر الجديد لجماعة الإخوان المسلمين الفلسطينيين ما يقربهم مما يقوله المفكر الاخـــواني (نـــسبة لجماعة الإخوان المسلمين) فتحي يكن حين يقول (إن نظرية الإسلام جـــسدت فـــي مبادئـــه

النظرة الواقعية) فكانت تعبيرات (حركة) (حماس) توفيقية وقريبة من الواقعية التي تزايدت وتغيرت وتطورت بعيدا عن الثوابت وفق ما افرزه الواقع وأدركه العقل المسير لكوادر حركة (حماس).

إن النظرة الأولى للميثاق والبيانات تعطي الانطباع بالاستفادة الواضحة - والتي أشرنا سابقا أنها لا بد حصلت في مرحلة (السكون التنظيمي) للجماعة - من تجارب وأفكار التنظيمات المنضوية تحت لواء (م.ت.ف)، وخاصة حركة (فتح) التي قال فيها القائد الاخواني د. عبد الله ابو عزة أنها (اكتسبت سمعة كبيرة في خيال الجماهير العربية والإسلامية، وحقا أنها أصبحت في المركز القيادي الأول للشعب الفلسطيني) (٢٢) ومضيفا إلى ذلك أن (فتح أخطأت وهي تبادر وتعمل، وإذا كانت أخفقت في الوصول إلى الهدف "تحرير كامل فلسطين" فقد حققت عددا من الإنجازات تحسب لها بالتقدير والثناء. وذلك من حيث القدرة على التنظيم، والقدرة على التحرك وسط الظروف المعقدة كذلك يحتسب لفتح تمكنها من تعبئة قوى الشعب الفلسطيني، وإنشاء العديد من المؤسسات التي أعادت للشعب الفلسطيني إحساسه بذاته، وفرضت قدرا من إحساس الآخرين بهذه الذاتية الفلسطينية. (٢٣).)

إن النظرة الأولى لميثاق حركة (حماس) تعطي الانطباع بالاستفادة ولو المحدودة لواضعيه من تجربة حركة (فتح) كما عبر عنها أحد قيادات الإخوان المسلمين الفلسطينيين د. عبد الله ابو عزة، فالواقعية والانفتاح والمرونة والتجدد واستيعاب الآخرين، والتجريبية كلها في اعتقادي مما وسمت به حركة (فتح) وجعلها لاكثر من ثلاثين عاما وحتى الآن قائدة لنضالات الشعب الفلسطيني. فلم تخرج عدد من نصوص ميثاق حماس وطريقة الطرح في بياناتها أثناء الانتفاضة المباركة عما طرحته (فتح) في ادبياتها المكتوبة أو تلك الممارسة على الأرض حتى في طرق التعبير والصياغة والمخاطبة.

انه لمن المفرح أن تحدث مثل هذه الاستفادة، وهذه الاقتباسات وعمليات (التمثُّل) لأفكار وتجارب الآخرين، وتُشَكِّل بالنتيجة الخلفية الثقافية الفكرية لكوادر الإخوان المسلمين الفلسطينيين (تلك التي أسميناها عند الحديث عن الفكر التصورات الأولية وفي بعض الأحيان الثانوية) على مدار أعوام طوال تفاعلوا فيها (فكريا) على ما يبدو- رغم بعدهم عن دائرة الفعل - في مرحلة (السكون التنظيمي) مع الفكر (المتنفذ) والتجربة المعلم والتنظيم (المتنفذ) كما تحب حركة (حماس) وتنظيمات اليسار الفلسطيني قبلها أن تصف بها حركة (فتح).

حركة الجماهير الفلسطينية

لقد طرحت (فتح) مفاهيما، وخاضت تجاربا، ووضعت فكرا قـادت بهـا جميعـا الشارع الفلسطيني وكذلك مختلف المنظمات الفلسطينية ومنها الجهـاد الإسـلامي وحركـة حماس، فطرحت أنها حركة تحرير وطني فلسطيني، وأنها حركة الشعب الفلـسطيني فهـي ليست حزبا ولا جبهة وبذا فهي تصنع فكرا ولا تتبنى أيديولوجية (حزبية)، وهذا ما رددتـه حركة (حماس) لاحقا بأنها حركة الجماهير الفلسطينية مسلميهم ومسيحييهم دون تمييز (٢٤) مستعيرة نفس طروحات حركة (فتح). رغم أن طرح (حماس) الآنف الذكر في ظني انه زلة في غمرة الانفعال أثناء الانتفاضة المباركة لان جماعة الإخوان المسلمين تشترط مواصفات محددة للأعضاء المنتمين لها، وبالتالي لا تقبل انتماء أصحاب الـديانات الأخـرى (تراجـع المادة ٤ من النظام العام للإخوان المسلمين) (٢٥).

ولا نريد هنا أن نتعرض لمجمل الأفكار المتضمنة في ميثاق وبيانات وتـصريحات حركة (حماس) وانما نود أن نشير إشارات تحدد (الاستفادة) من تجارب الآخرين من جهـة رغم (إن هذا الميثاق لا يمثل برنامجا أيديولوجيا أو سياسيا متماسكا أو متكاملا بالمقارنة مع برامج الأحزاب والحركات السياسية الأخرى وكذلك برامج فصائل م.ت.ف) (٢٦) ولنحـدد مدى (البراغماتية) اللاحقة على فكر الميثاق.

ان كل من شهد بالشهادتين فهو مسلم بغض النظر عن مستوى إسلامه ولأنه مـسلم فهو من يرفع بذلك راية الإسلام كسواه من الأفراد والجماعات والمنظمات وليست فقط حركة حماس التي رأت بنفسها أنها (تعمل على رفع راية الله على كل شبر من فلسطين) (٢٧) لذا (يجب أن يقدر قدرها، ويعترف بدورها، ومن غمطها حقها، وضرب صفحا عن مناصـرتها أو عميت بصيرته فاجتهد في طمس دورها فهو كمن يجادل القدر... والسابقة لمـن سـبق) (٢٨) وعلى ما تتضمن هذه العبارات من رائحة الكبرياء الممزوجة بالتهديد الضمني فإنهـا ضمن صياغات شعرية أخرى تدخل في باب الجمود ومحاولات احتكار الصواب التي تميـز كثير من التنظيمات الدينية ومنها (الاسلاموية) على تعددها واختلافها والتي (تصور المشكل السياسي "مع قيادات الحكومة والأجهزة الحكومية" على انه حق وباطل في صراع دائم وان الخلاص السياسي لا يكون إلا على "أيديهم".) (٢٩) كما يشير لذلك المفكر الإسلامي عبـد الله النفيسي.

ان الصياغات المختلفة الواردة في ميثاق حركة (حماس) من رفـض للمبـادرات السلمية، والمؤتمرات الدولية، وتحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني، واعتمـاد الجهـاد

(الكفاح المسلح)، وتقسيم الدوائر المحيطة بالقضية الفلسطينية لثلاثة دوائر فلسطينية وعربية واسلامية... الخ كلها من خلاصة أفكار وتجارب وتفاعلات فصائل (م.ت.ف) عموما ولا فضل لجديد في ذلك على قديم. ولكن الملفت للنظر في ذلك أن سنوات طوال وصراعات شديدة في جسد حركة (فتح) وفصائل (م.ت.ف) لتقبل التعاطي مع الحلول السياسية احتاجت من حركة حماس في المقابل لبضع سنوات فقط؟! وكأن تأثير السجون لبعضهم من جهة والتعليم في المنافي والغرب خاصة على قيادات الحركة قد أعطاهم عمقا في تقبل النفعية عبر النتائج على حساب الغايات بما يسمى بالواقعية أو البراغماتية من خلال قبولهم بنفس ما قبلت به حركة (فتح) سابقا وهو المرحلية في النضال. حيث يقول السيد محمد نزال في ذلك (نحن مع أي حل مرحلي ولكن دون الاعتراف بالعدو الإسرائيلي...، بمعنى أننا لا نعارض أي انسحاب إسرائيلي من أي جزء من فلسطين شريطة عدم الاعتراف بإسرائيل) (٣٠) وفي قبوله للحل المرحلي صدق ثم عاد السيد نزال ليناقض نفسه ويتعاطى مع الأوهام لان لا انسحاب في التاريخ تم دون ثمن أو اعتراف بالآخر، بينما يصبح الشيخ احمد ياسين اكثر وضوحا في طرحه (البراغماتي) واكثر بعدا عن (ثوابت) الميثاق حين يقول انه لا يجد مانعا من توقيع اتفاق هدنه مع إسرائيل "وهنا يعترف بالطرف الآخر بالضرورة وآلا سيوقع مع مَن؟!" لمدة عشرة سنين أو عشرين سنة بشرط أن تنسحب إسرائيل من الضفة الغربية وقطاع غزة أي إلى حدود ١٩٦٧ بدون شروط، ويترك للشعب الفلسطيني حريته الكاملة في تقرير مصيره ومستقبله. (٣١).

التغيير في فكر الإخوان المسلمين

التنظيم الفلسطيني

إن القراءة الأولى لفكر (حماس) يستدل منها على تغيير واضح في الفكر من حيث قدرته على التلون، وتفاعله مع الضغوطات واستفادته كما أشرنا من تجارب حركة (فتح) ومسيرة (م.ت.ف) وبما يشكل افتراقا في جوانب منه مع ثوابت (الإخوان المسلمين) وحتى ثوابت (ميثاق) حركة (حماس).

إننا من الممكن أن نرجع أهم أسباب تغير الفكر لدى حركة الإخوان المسلمين الفلسطينيين والذي دعاهم في مرحلة متأخرة من تاريخ الثورة الفلسطينية أن ينضموا لركب الثورة، هو انتفاضة عدد من كادراتهم الشابة على جو (السكون) والبكاء والسلبية والترقب الذي تميزت به جماعة الإخوان المسلمين عامة والتنظيم الفلسطيني فيها خاصة منذ ما بعد العام ١٩٤٨ وحتى ظهور حركة الجهاد الإسلامي أولا والتي عابت على جماعة الإخوان المسلمين – التنظيم الفلسطيني عدم ممارسته للكفاح المسلح (في مقابلة مع الشيخ عبد العزيز عودة، زعيم الجهاد الإسلامي في غزة ١٩٨٧/٤/٢٤م) (٣٢) ثم ظهورهم كحركة كفاح مسلح تحت اسم (حماس) عام ١٩٨٧م. وفي تشخيصنا لهذا المناخ المحبط والساكن من الممكن أن نستفيد مما يقوله د. عبد الله ابو عزة مسؤول التنظيم الفلسطيني السابق في جماعة الإخوان المسلمين والذي شخص موقف الإخوان بأحد جوانبه بأنه كان موقف (سكون وسلبية وترقب ارتباطا بسكون وسلبية حركة الإخوان المسلمين العامة على مستوى العالم العربي) (٣٣) مضيفا (ولا ريب أن هذا السكون كان منسجما مع قناعة الإخوان الفلسطينيين بان حركة الإخوان المسلمين العامة تملك مفتاح تحرير فلسطين (؟!) أما وقد تكشف لهم – خلال ربع قرن من الانتظار – عجز الحركة عن إحراز أي تقدم عن وضعها الذي وصلته سنة ١٩٥١، وانه لا الدولة الإسلامية قامت ولا فلسطين تحررت ولا الشعوب صارت اكثر تأييدا للإخوان، فقد كان عليهم أن يبحثوا عن طريق جديد يوصلهم إلى أهداف الإسلام، والى فلسطين على السواء. ولكنهم فضلوا النوم في ظلال الوهم وغالطوا أنفسهم فاقنعوها بان مجرد انتسابهم للاخوان يجعلهم معفون من أية مسؤولية. أما النتائج المرة فيبررون استسلامهم الخامل لها بأنها إرادة الله، وان لله من ورائها حكمة وكفى الله المؤمنين القتال)

(٣٤) إذا فلقد كانت الجماعة حقيقة تعيش في سكون ووهم ومغالطات ونوم وموات ولم تكن في مرحلة إعداد وتهيئة، ومع ذلك فإننا نرى أن انتفاضة عدد من كادرات (الإخوان) المتعلمين جعلتهم يحاولون تجاوز هذا المناخ ولو جزئيا ويفكرون في التغيير في أنماط التفكير، وفي الفكر ذاته ولكنهم مع ذلك لم يستغنوا على ما يبدو عن أنماط صناعة الأوهام وتقديس التنظيم من منطلق تقديس الفكرة، ورفض الخوض في نقدهم، ولجوئهم إلى التضليل والقراءات الانقطاعية والتفسير المجتزأ الذي عبرنا عنه في عدد من الأمثلة السابقة.

التفسير المجتزأ والقراءة الانقطاعية

تقول المادة السابعة من ميثاق حركة (حماس): (إن حركة المقاومة الإسلامية حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عز الدين القسام وإخوانه المجاهدين من الإخوان المسلمين عام ١٩٣٦، وتمضي لترتبط بحلقة أخرى تضم جهاد الفلسطينيين والإخوان المسلمين وجهودهم عام ١٩٤٨، والعمليات الجهادية للاخوان المسلمين عام ١٩٦٨، ما بعده) (٣٥)؟!!

هذا ما تقوله المادة ٧ من ميثاق حركة (حماس) والتي سنرى أن اقل ما يمكن أن تتسم به هو (التضليل) والتفسير المجتزأ للتاريخ بالقراءة الانقطاعية! لماذا كل ذلك؟ سنعود لقراءة هذه المادة (النموذج) لنمط التفكير المضلِل في قراءة ثانية، حيث قد تفهم العلاقات المقصودة في المادة بأنها علاقات (فعلية) تمثل امتدادا فكريا أو تنظيميا عضويا، ومنها ما قد يفهم امتدادا (معنويا) وفي الحالتين هناك مساحة كبيرة للتضليل المقصود أو الخداع.

أن تكون (حماس) حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية فهذا ما يقولونه عن أنفسهم، أما أن هذه الحلقة (تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عز الدين القسام) فعلى هذه العبارة، المضلِلة والتي قد توحي أو تقصد ارتباطهم كإخوان مسلمين بالشهيد القائد عز الدين القسام سنتوقف لتفنيد ذلك، كما لن نمرر عبارة (وإخوانه المجاهدين من الإخوان المسلمين) و (عام ١٩٣٦) حيث تقصد أو توحي العبارة أن جماعة القسام (عصبة القسام) من الإخوان المسلمين! وان لهم دورا في الثورة الكبرى عام ١٩٣٦.

ولن نترك أيضا المجال للتضليل والقراءة الانقطاعية أن تعطي مفعولها في العبارة اللاحقة التي تقول (.... جهاد الفلسطينيين والإخوان المسلمين وجهودهم عام ١٩٤٨) (؟!) وأيضا فلا حق لهم إطلاقا بالتنقل بين السنوات يختارون ما يشاءون من الحوادث والمواقف ويضعونها وكأنها المحرك الأساسي للتاريخ، حيث سنوضح أيضا كيف لم يكن للتنظيم

الفلسطيني للاخوان المسلمين أي دور فيما أسموه (العمليات الجهادية للاخوان المسلمين عام ١٩٦٨) (؟!) أما (وما بعده) فهو تلخيص مخل لدرجة الإسفاف لنضالات الثورة الفلسطينية الحديثة بإنجازاتها التي لم ينكرها العالم بأسره ومن ضمنه قيادات في جماعة الإخوان المسلمين، ومرحلة نشأة ونمو وتطور الثورة الفلسطينية (وما بعده) لن نتعرض لها. واما إذا أسقطت السنوات من ١٩٦٨ - ١٩٨٧ والتاريخ الثاني تاريخ نشوء حركة (حماس) مفجرة الانتفاضة كما يدعون (؟!) فيكفينا أن نورد مقطعا من تقرير الأخ القائد الشهيد ابو جهاد (أول الرصاص أول الحجارة) المقدم للمجلس المركزي لـ (م.ت.ف) حيث يقول في أحد فقراته (وعودة إلى وقائع الأربعة عشر شهرا الماضية والتي تشير إلى انه منذ شهر أكتوبر ١٩٨٦ وحتى هذه اللحظة تعيش فلسطين حالة غليان جماهيري واسع، ولنعد بذاكرتنا إلى ذلك التاريخ من خريف عام ١٩٨٦، حيث تفجرت الانتفاضة على قاعدة محاربة برنامج محاولة خلق وإقامة قيادة بديلة لمنظمة التحرير، ويوم سقط أربعة شهداء في جامعة بيرزيت، ومخيم بلاطة. وظل شعبنا يمارس ويصنع مختلف أشكال النضال الجماهيري على مدى الشهور التالية.... ولنتذكر أن ٣٩ شهيدا و ٤٨ جريحا سقطوا برصاص جيش الاحتلال ضد المتظاهرين من أبناء شعبنا، وذلك قبل بداية الانتفاضة الأخيرة) (٣٦) مضيفا (إن الانتفاضة جاءت تتويجا لمجمل النضال الوطني المتواصل في الداخل بكل تراكماته النضالية ودروسه وعبره وتجاربه) (٣٧) ومضيفا انه (لم تكن حركة الشعب هذه مقطوعة أو منفصلة عن مجمل المسيرة النضالية الطويلة لهذا الشعب، بل جاءت نتاجا طبيعيا لهذه المسيرة التي تقودها م.ت.ف) (٣٨) هكذا تكون القراءة المتكاملة وليس كما يتضح من أنماط تفكير وعمل حركة (حماس)... وعلى التساؤلات المحددة التي طرحناها حول المادة السابعة من ميثاق حركة (حماس) والتي سنتخذها هنا مثلا على (التضليل) نقول التالي:

أولا: لا رابط إطلاقا بين جماعة الإخوان المسلمين وحركة (الجهادية) أو (عصبة القسام) التي أسسها الشيخ الجليل عز الدين القسام (٣٩) منذ وصوله إلى مدينة حيفا في ١٩٢٢/٢/٥ لماذا ؟ نقول لماذا؟ لقد ولد الشيخ القسام عام ١٨٧١م في جبلة من مدن سوريا وخاض نضالا قوميا ضد المستعمر الفرنسي في ثورة صالح العلي والشواف، وعندما حكم عليه بالاعدام في سوريا انتقل لمقارعة الانجليز والصهاينة من حيفا حيث اصبح إماما لمسجد الاستقلال هناك ومسؤولا لجمعية الشبان المسلمين. أما الشيخ حسن البنا (٤٠) (المولود في المحمودية عام ١٩٠٦ في مصر) فكان لم يزل يدرس في المدرسة الإعدادية، وما أن أعلن قيام جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨ وكان في الـ ٢٢ من

عمره، كان الشيخ القسام في فلسطين ينقل تجربته الثورية الغنية من سوريا لفلسطين مبتدءا بالتعبئة والتحريض ورص الصفوف حيث تمكن من تشكيل أول تنظيم ثوري فلسطيني متكامل التجهيز والهيكلية والاتصالات، فيه أيضا جسد وحدة الطوائف والجنسيات فكان السوري والمصري والفلسطيني أي انه في عام إعلان الفتى حسن البنا عن جماعته في مصر كان القسام يكمل إعداده لمخططه وهو في الـ ٥٧ من عمره آنذاك.

ثانيا: قطعا لم يحدث أي اتصال بحسب أي مصدر بين الفتى في الـ ٢٢ من عمره والمقيم في مصر حسن البنا والشيخ الجليل المقيم في فلسطين وعمره ٥٧ عاما (عز الدين القسام) لا سيما وان انتقال البنا للقاهرة كان عام ١٩٣٢ ولم يكن له حتى العام ١٩٣٩ الا أنشطة التعريف بالجماعة فقط عبر المحاضرات والدروس في الدور والمساجد وإصدار المجلات والرسائل والنشرات (٤١).

ثالثا: لم يبدأ (الإخوان) في العمل السياسي إلا بعد العام ١٩٣٩ بحسب ما يقول باتريك سيل وأيضا فتحي يكن ولكنهم لم يدخلوا في مرحلة التنفيذ إلا منذ العام ١٩٤٥م.(٤٢) وفي جميع الأحوال فلقد كان الشهيد القسام قد لقي ربه عام ١٩٣٥م. أي قبل أن يفكر الإخوان المسلمين بالعمل السياسي أصلا.

رابعا: لم يشر الشيخ حسن البنا نفسه لأي علاقة مع فلسطين الا ما ورد من إرساله لاول مرة لوفد لزيارة فلسطين عام ١٩٣٥م (تاريخ استشهاد القسام) ضم عبد الرحمن البنا ومحمد الحكيم (٤٣) وقابلوا المفتي الحاج أمين الحسيني في القدس.

خامسا: كانت المرحلة التي تمر بها حركة القسام مختلفة جدا عن مرحلة نشأة الإخوان المسلمين التي كانت في طور التعريف بالجماعة (١٩٣٢ - ١٩٣٩م) كما يقول د. عبد الله النفيسي (٤٤). بينما كانت حركة الشيخ القسام قد انتقلت مع سمعة القسام المناضل الذي تمرس بالكفاح في سوريا إلى مرحلة الإعداد والتكوين واختيار التوقيت المناسب للانطلاق.

سادسا: أوردنا ونؤكد أن حركة القسام كانت حركة سياسية نضالية موجهة ضد الاستعمار الانجليزي، وقبله الاستعمار الفرنسي استخدم فيها القيم التعبوية المستمدة من الإسلام العظيم، في الوقت الذي لم يبدأ النشاط السياسي لجماعة الإخوان المسلمين إلا عام ١٩٣٩ وفي مصر حصرا. أي بعد استشهاد القسام في فلسطين بسنوات أربع.

سابعا: لا علاقة أيضا لاخوة ورفاق الشيخ عز الدين القسام جميعا أمثال الشيخ حسن الباير من برقين، والشيخ نمر السعدي من شفا عمرو والشيخ جلادت، والشيخ ناجي ابو زيد، والشيخ كامل القصاب، والشيخ محمود سالم المخزومي والعبد قاسم، ومحمود زعرورة، ومحمد صالح الملقب بابي محمود والشيخ خليل محمد عيسى الملقب (ابو ابراهيم الكبير)، والشيخ محمود سالم الملقب بأبي احمد القسام، والشيخ سعيد عطية المصري (القادم من صعيد مصر)، ومحمد الحنفي، وعلي الحاج عبيد (السوريان الأصل رفيقا القسام من جبلة)، ومحمد الحلحولي، ويوسف الزيباوي واحمد مفلح واحمد جابر ومحمد يوسف والشيخ معروف الحاج جابر (من يعبد) ومحمود حجازي، والشيخ فرحان السعدي وعربي بدوي، وصبحي ياسين وتوفيق الزيري.... وآخرون غيرهم من الأبطال الذين ارتبطوا بالقسام الثائر و (الجهادية) أو (عصبة القسام) أثناء حياته وبعدها حتى العام ١٩٤٥م (٤٥).

ثامنا: أما (المجاهدين من الإخوان المسلمين عام ١٩٣٦) كما تذكر المادة السابعة من ميثاق حماس، في محاولة فاشلة للربط بين الإخوان المسلمين وثورة (١٩٣٦) فلا دليل تاريخي يربط بين هذه الجماعة (الإخوان المسلمين) والثورة الكبرى (٤٦)، عدا عن أن الإخوان المسلمين لم ينطلقوا للعمل السياسي الا منذ العام ١٩٣٩.

تاسعا: لا نريد أن نغفل التأييد الكبير لثورة ١٩٣٦م والذي عبرت عنه مختلف الصحف العربية والأحزاب والتيارات الفكرية العربية وطلبة الجامعات آنذاك... والذي قد يكون من مثل هذا التأييد صدر عن جماعة الإخوان المسلمين في مصر ... فجزاهم الله في ذلك كل خير.

عاشرا: أما ما تذكره مادة التضليل في ميثاق حركة (حماس) المادة السابعة كغيرها من بعض المواد الأخرى عن (جهاد الفلسطينيين) (إجمالا) والإخوان المسلمين (تخصيصا) وجهودهم عام ١٩٤٨ فهو بحده الأدنى تسفيه للأحلام، وتقزيم لنضالات كافة أبطال وأحزاب وقطاعات وشرائح المجتمع الفلسطيني آنذاك، والذي ميزوا من ضمنه الإخوان المسلمين هنا - كانوا قد أسسوا أول فروعهم في القدس في ١٩٤٦/٥/٥م (٤٧) (وليس عام ١٩٣٦م كما تشير بعض المصادر غير الدقيقة)- دون وجه حق بل وبقراءة انقطاعية، رغم الدور الكبير والعظيم والمؤثر في تلك الفترة لكل من الشهداء العظام أمثال موسى كاظم وعبد القادر الحسيني وقادة قوات (الجهاد المقدس) الكثر والهيئة العربية العليا، وكذلك ما لا ينكر من نضالات الأحزاب الأخرى وحتى الشيوعيين الذين شكلوا أول تنظيم لهم في فلسطين عام ١٩١٩م. فلقد كان لكل من الحزب القومي السوري الاجتماعي ولحزب

البعث العربي الاشتراكي ولتيار القوميين العرب دور كبير كما كان لجماعة الإخوان المسلمين في حرب ١٩٤٨م (٤٨) ولا يغيب عن الذهن جهود (جيش الإنقاذ) برئاسة اللبناني فوزي القاوقجي في حرب فلسطين، ولا دور (الرئيس) جمال عبد لناصر ومحمود لبيب وغيرهم من ضباط الجيش المصري آنذاك.

حادي عشر: من المناسب قبل الانطلاق لما سمي (العمليات الجهادية للاخوان المسلمين عام ١٩٦٨ وما بعده) من المادة ٧ في ميثاق حماس أن نعود لنؤكد الحقائق السياسية والتاريخية حول شخصية وثورة القسام. فلقد كانت ثورة القسام ثورة مستقلة عروبية واسلامية معا ولم تكن ذات علاقة بأي أحزاب أو جماعات أخرى في فلسطين أو خارجها (٤٩) والشيخ الجليل عز الدين القسام نفسه لم ينتسب لأي حزب من الأحزاب أو المؤسسات السياسية (٥٠).

وفي جميع الأحوال لا يستغرب مثل هذا التمسح بالقسام أو محاولة الادعاء (بصلة مادية ما) للاخوان المسلمين به لان اسم القسام (قد اقترن بحالة من الخلود والتقديس، فقد كثر المتبركون باسمه) (٥١) (واصبح تلاميذه يرددون باعتزاز انهم قساميون) (٥١).

ثاني عشر: يقول د. عبد الله ابو عزة (عضو اللجنة التنفيذية لتنظيم الإخوان المسلمين في البلاد العربية، ممثلا عن التنظيم الفلسطيني الذي كان قد رأسه لفترة سابقة) (٥٢) انه نتيجة الجو الثوري الذي عاشته الأردن بفضل تركز حركة المقاومة الفلسطينية فيها بعد عام ١٩٦٧، اضطرت (لاحظوا اضطرت) جماعة الإخوان المسلمين للتعاطي مع فكرة أن يقوموا هم أيضا – شأن المنظمات المتعددة التي نشأت آنذاك إلى جوار (فتح) والتي قارب عددها الثلاثين – بإنشاء معسكرات للتدريب ثم لمباشرة العمل الفدائي، وحمل لواء الفكرة الإخوان المسلمون الأردنيون والسودانيون والمصريون والكويتيون واعترض على ذلك الإخوان المسلمون الفلسطينيون بحجة أن المقاومة نوعان: الأول من داخل الوطن وهو "عملية تلقائية لا تحتاج إلا إلى المساندة والإمداد بالسلاح والذخيرة والتوجيه وحفز الهمم" والثاني من الخارج وهذا يحتاج "لاعداد اكبر وخطة اكثر إحكاما ووثوقا" ثم وضعوا لذلك شروط الحشد العربي الشامل وتوحد القوى جميعا على الساحة الأردنية وكان مبرر الرفض الرابع ان "الجو العام معاد للاخوان المسلمين امتدادا لمعاداة عبد الناصر" (٥٣).

هل من بعد كل هذا الوضوح من تعليق على ان الاخوان المسلمين الفلسطينيين وهم جذر حركة (حماس) واصلها قد رفضوا حتى من حيث المبدأ المشاركة في الجهاد على عكس ما تغنوا فيه وحاولوا (تضليل) الآخرين بتصوير أن لهم دور في العام (١٩٦٨ وما

بعده) ولمزيد من الإضاءة على هذه الصورة يقول د. عبد الله ابو عزة موضحا دون مواربه موقف حتى الإخوان المسلمين الأردنيين من (فتح) بأنه كان ما قبل حزيران ١٩٦٧م (يتسم بالاستخفاف الشديد المصحوب بالتندر والتهوين من شأنها... ومن مظاهر التندر قولهم أن هؤلاء يستأجرون بعض المهربين ليطلقوا بعض الطلقات النارية أو لينسفوا أنبوب مياه، ثم يعملون من الحبة قبة). (٥٤).

ولن نترك الموضوع عند هذا الحد بل نستكمله حيث إن أنصار مشروع بناء المعسكرات ضربوا بعرض الحائط موقف تنظيم الإخوان المسلمين الفلسطينيين وانشأوا لهم معسكرا للتدريب وجعلوه تحت راية (فتح)، ولم يشارك بالمعسكر التنظيم الفلسطيني للاخوان المسلمين وكان العضو الفلسطيني الوحيد الذي شارك هو الأخ الشهيد إبراهيم عاشور إذ كان في العراق منقطع الصلة والمعرفة بموقف التنظيم الفلسطيني فجاء من العراق والتحق بالمعسكر واستشهد (٥٥).

هل نستكفي بذلك أم نستزيد؟! بل سنستزيد لتبيان مدى حلقات التضليل والإيهام والخداع الواردة في بعض فقرات ميثاق حركة (حماس) وبياناتها وادعاءات قياداتها لنقول وعلى لسان مسؤول التنظيم الفلسطيني للاخوان المسلمين ذاته آنذاك محدثنا عن (فعالية) هذا المعسكر (الوحيد) والضعيف للاخوان المسلمين بين عشرات أن لم يكن اكثر، من معسكرات مختلف التنظيمات وآلاف العمليات لهذه التنظيمات جميعا من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين فيوضح د. عبد الله انه (ورغم هذا الضعف البين فقد قام مقاتلو الإخوان ببعض العمليات العسكرية الهامة منها عملية الحزام الأخضر واستشهد لهم في هذه العمليات عدد من المجاهدين).(٥٦)

رغم (لاحظوا الخطورة هنا!؟) رغم أن المكتب التنفيذي للاخوان المسلمين كان قد اتخذ (موقف المماشاة غير الجادة) على حد تعبير د. عبد الله بالنص، من دعم المعسكر، وحيث رفض الإخوان السوريون دعمه، وقبله الإخوان العراقيون مجاراة للجو رغم (اقتناعهم بما جاء في مذكرة التنظيم الفلسطيني وبالحرف) تلك الرافضة للمشاركة في العمل العسكري والجهادي؟! (٥٧).

وسنكتفي من أقوالهم بذلك ولن نتعرض حتى للفهم التعسفي وغير الصحيح لمفهوم (العلمانية) التي يلقون بتهمتها على فصائل (م.ت.ف) دون علم ودراية هم ومنظروهم، وقد يكون لنا حول هذا الموضوع ورقة أخرى أن شاء الله.

لماذا التضليل والتفسير المجتزأ

إن التضليل مقصود وفي ذلك جريمة، وان لم يكن مقصودا فانه يدل على جهل أو عمى وفي الحالتين مصيره إلى الضلال بالابتعاد عن الهدى أو الصواب، وقد لا يتأتى إلا في محاولة يائسة أو منقطعة الأنفاس للحاق بركب التاريخ أو الفكر المتجدد، ذاك التاريخ والمرحلة من الفكر التي كان لهم فيها دور (السكون) والكمون لفترة طويلة، فرضت على بعضهم من الكادر المتقدم أن يرسم صيغا وتعابيرا مستعارة من أفكار الآخرين من جهة، وإدخال مضامين حادت عن الطريق.

إن التفسير المجتزأ للتاريخ (تضليل) وإلا فماذا يعني أن يلقى الضوء على عامل واحد سواء كان ضعيفا أو غير موجود في المكان والزمان المحددين، واعتباره عامل الصراع أو صناعة الأحداث الأساسي؟! إن نسج الأوهام والسباحة في الخيالات هي عملية قد يتقنها أولئك الذين جلسوا سنوات طوال في مرحلة كادت لا تنتهي من السكون الذي اثر سلبا على طرائق التفكير الصحيح لديهم فجعل من ادعاء البطولات وتسجيل المواقف الثورية غير الحقيقية ومراكمة (محاولات) العمل باعتبارها إنجازات دونها ما كان للحاضر أن يكون – بحسبهم– ولا للماضي أن يتصل وصولا لهذا الحاضر. إننا لا نفهم من التصريحات والفكر والبيانات والميثاق (لحماس) لغة الشعر أو الأوهام والتضليل رغم محاولات تجميل هذا التضليل – الذي نراه كذلك نحن – من باحث نحترمه مثل محمد برهومة الذي يقول في ميثاق حركة (حماس) وخاصة أهدافه بأنها (فضفاضة وغير دقيقة التعبير سياسيا وربما كانت لغتها جديدة في صياغة البرامج والمواثيق السياسية مما جعلها تميل إلى العموم وأنها غير قابلة للقياس الموضوعي) وهذا رأيه ونخالفه فيه فلا مبرر لاجتزاء الحقائق أو التزوير أو الجهل وصناعة الأوهام وتعبئة العناصر بها.

قلنا إننا لن نتعرض لمفهوم (العلمانية) وقد نفرد له ورقة لاحقة، وان كنا نستغرب دمج حركة حماس لمفهوم (الوطنية) (بالإسلامية) وهذه نقطة أخرى في الميثاق فلأن المفهومين كانا في فكر الحركات (الاسلاموية) متناقضين ومتنافرين ومحاولة ربط الوطني بالقومي والإسلامي والعالمي فكرة نبعت من ذات فكر المقاومة الفلسطينية ولم تكن إبداعا جديدا، وانما جلاء لغشاوة في أعين البعض عن اكتشاف أو اختراع قديم لغيرهم. وفي ذلك أيضا قراءة انقطاعية للاخوان المسلمين الفلسطينيين للفكر، كما هو للتاريخ أو المواقف والأحداث. أما لماذا (التضليل) (؟!) ولماذا التفسير المجتزأ للتاريخ ؟! فنرجو إلا يكون مرده (عدم الكفاية والاقتدار الفكري والسياسي) (٥٩) أو (افتقار الرؤية الموضوعية الشاملة

وغياب خطة العمل وعدم الالتزام الجاد بالمبادئ والأُميّة الدينية لدى كثـرة مـن الـشباب المسلم) (٦٠).

ونرجو ألا يكون مرده أيضا لا العقلية الماضوية ولا صناعة الأوهام والتعبئة بهـا ولا الجهل.

الهوامش

(١) – د. لؤي صافي، دراسة، المستقبل العربي، العدد ٢٢٣، ١٩٩٧/٩.
(٢) م. روزنتال وب.يودين، الموسوعة الفلسفية، دار الطليعة، ط٢، بيروت، ١٩٨٠.
(٣)– د. محمد محمود ربيع، الأيديولوجيات السياسية المعاصرة: قضايا ونماذج، شركة كاظمة، الكويت، ١٩٧٩. (ص١١).
(٤)– المصدر السابق. ص١٣.
(٥)– د. عبد الله النفيسي، الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة ١٩٨٩.
(٦)– د. محمد محمود ربيع، مصدر سابق، (ص١٥).
(٧)– د. محمد محمود ربيع، مصدر سابق، (ص٢٣).
(٨) د. عبد الله ابو عِزة، مع الحركة الإسلامية في الدول العربية، دار القلم، ط١، الكويت، ١٩٩٢. ص١٤.
(٩) المصدر السابق. ص١٤
(١٠) – د. عبد الله النفيسي، مصدر سابق، ص٢٤٦-٢٤٧
(١١)– المصدر السابق، ص٢٤٧ و ص٢٤٩.
(١٢)– المصدر السابق، ص٢٤٧.
(١٣)– لغرض التوسع في (مناهج التفكير) يراجع في ذلك المفكر الشهيد خالد الحسن، محاضرة (قواعد العمل السياسي) ألقيت في دورة لمكتب التعبئة والتنظيم لحركة (فتح) في تونس عام ١٩٨٧.
(١٤) – فتحي يكن، الإسلام فكرة وحركة وانقلاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون تاريخ ص٧٣.
(١٥)– من ميثاق حركة (حماس)، المادة ٧.
(١٦) – جواد الحمد واياد البرغوثي، دراسة في الفكر السياسي لحركة (حماس) مركز دراسات الشرق الأوسط، ط١، عمان، ١٩٩٧ – دراسة للدكتور عبد الستار قاسم. (ص٣٥).
(١٧) – المصدر السابق، ص٣٨
(١٨) – المصدر السابق، ص٣٥
(١٩)– الواقعية أو (البراغماتية) تعني بتوجيه العقل إلى العمل دون النظر، بمعنى أن ينصرف العقل عن التفكير في المبادئ والأوليات إلى البحث في النتائج والغايات. وتنظر البراغماتية للمعرفة كأداة للعمل المنتج وتضع معيارا عمليا للتحقق من صدق أي فكرة يتجلى في مدى قدرتها على إثبات نفعها بحيث يصير المعيار هو المنفعة وليس حكم العقل. أي تكون المنفعة هي المحك الوحيد لصدق الأحكام العقلية وصواب الأفكار. ومن جهة أخرى تذهب (البراغماتية) إلى أن حكم العقل يكون صادقا متى تحقق الإنسان من صدقه بالتجربة، ومن أعلامها بيرس وجيمس وديوي.
(٢٠)– د. عثمان شبير، حكم الصلح مع اليهود، الكويت، ١٩٨٣، ص٢٤.

(٢١) – من رسالة حركة (حماس) الى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الـ ١٩ في ١٩٨٨/١١/١٥.

(٢٢)- د. عبد الله ابو عزة، مصدر سابق، ص١٦٢

(٢٣) د. عبد الله ابو عزة، مصدر سابق، ص١٦٣

(٢٤) جواد الحمد، واياد البرغوثي، مصدر سابق، ص٧٢

(٢٥) – النظام العام للاخوان المسلمين، من المادة ٤-٧.

(٢٦) – د. زياد ابو عمرو، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، دار الأسوار، عكا، أيلول ١٩٨٩، ص١٠٢.

(٢٧)- ميثاق (حماس)، ص٧

(٢٨)- ميثاق (حماس)، ص٨

(٢٩)- د. عبد الله النفيسي، مصدر سابق، ص٢٦٢

(٣٠)- محمد نزال، مجلة قضايا دولية، عدد ٢٠٣، ١٩٩٣/١١/٢٢

(٣١)- تصريحات للشيخ احمد ياسين، الشعب الأردنية، ١٩٩٣/١١/١٤

(٣٢)- د. زياد ابو عمرو، مصدر سابق

(٣٣)- د. عبد الله ابو عزة، مصدر سابق، ص١٦٣

(٣٤)- المصدر السابق، ص١٦٣

(٣٥)- ميثاق (حماس)، المادة السابعة.

(٣٦)- تقرير الأخ نائب القائد العام ابو جهاد للمجلس المركزي لـ (م.ت.ف) المنعقد استثنائيا في بغداد من ٧-١٩٨٨/١/١٢ في دورة خاصة بالانتفاضة.

(٣٧)- التقرير السابق.

(٣٨)- التقرير السابق.

(٣٩)- حول تاريخ وسيرة الشهيد القسام العديد من المراجع، يمكن الرجوع لكتابات عجاج الحوت، وبيان الحوت وأيضا لسلسلة أبطال العرب (عز الدين القسام، سلسلة أبطال العرب، دار العودة، بيروت ١٩٨٦).

(٤٠)- وحول تاريخ حياة الشيخ حسن البنا اعتمدنا على كتاب فتحي يكن السابق ذكره وعلى كتاب د. عبد الله النفيسي السابق ذكره أيضا.

(٤١)- د. عبد الله النفيسي، مصدر سابق، ص٢١٠.

(٤٢)- فتحي يكن، مصدر سابق، ص٧٣ وكذلك د. عبد الله النفيسي، ص٢١٠.

(٤٣)- الشيخ حسن البنا، مذكرات الدعوة والداعية، بيروت، ١٩٦٦

(٤٤)- د. عبد الله النفيسي مصدر سابق، ص٢٠٧ فصاعدا.

(٤٥)- بيان نويهض الحوت، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨١.

(٤٦)- المصدر السابق، ص٣٣١-٣٣٦.

(٤٧) المصدر السابق، وفيه يذكر اسحق موسى الحسيني في كتابه (الإخوان المسلمون) الصادر في بيروت عام ١٩٥٢ ان كوادر الإخوان المسلمين (بقيت تعمل في صمت وتكتم حتى أواخر الثلاثينات) وهو ما يذكره بالمثل المفكر الاخواني فتحي يكن ود. عبد الله النفيسي.. الخ حيث يحدد العام ١٩٣٩ بداية للنشاط السياسي للاخوان المسلمين، ويذكر اسحق الحسيني (انه في المؤتمر السادس للاخوان في سوريا الذي عقد في يبرود عام ١٩٤٦ ظهر لاول مرة التوجه نحو القضية الفلسطينية.)

(٤٨) - المصدر السابق.

(٤٩)- المصدر السابق ص٣٢٠-٣٢١.

(٥٠)- المصدر السابق ص٣٢٧ والمعلومات أيضا مستقاة من (إبراهيم الشيخ خليل: رسالة من مجاهد قديم، ذكريات عن القسام، مجلة شؤون فلسطينية، ٧ مارس ١٩٧٢).

(٥١)- المصدر السابق، ص٣١٧ في مقابل لبيان الحوت مع اكرم زعيتر.

(٥٢)- د. عبد الله محمد ابو عزة، التحق بالإخوان المسلمين وعمل معها عشرين عاما (١٩٥٢-١٩٧٢) ثم استقال لاختلافه مع الفكر الذي كان سائدا في الجماعة خاصة بالنسبة لمبدأ الشورى والزاميتها، واعتراضه على فكرة تكفير المجتمع ونقده لكتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب.

(٥٣)- د. عبد الله ابو عزة، مصدر سابق، ص١٢٩-١٣٠.

(٥٤) المصدر السابق، ص١٢٥.

(٥٥)- المصدر السابق، ص١٣٥.

(٥٦)- المصدر السابق، ص١٤٠.

(٥٧)- المصدر السابق، ص١٣٩.

(٥٨)- بحث لمحمد برهومة في كتاب (دراسة في الفكر السياسي لحركة (حماس) الصادر عن مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ١٩٩٧، ص٦٠.

(٥٩)- من كلمات المفكر الإسلامي د. عبد الله النفيسي في مصدر سبق ذكره.

(٦٠)- من عبارات الأستاذ فريد عبد الخالق عضو مكتب الإرشاد في جماعة الإخوان المسلمين منذ أيام البنا والهضيبي في مآخذه على اكثر الجماعات الإسلامية الراهنة.

الفصل الثاني

حركة حماس، سيوف ومنابر

كان لإصدار لجنة المتابعة للقوى الوطنية والإسلامية بيانا تعلن فيه بتوقيع الفصائل الامتناع عن كتابة الشعارات على الجدران كان لهذا البيــان وقــع إيجــابي فــي الــساحة الجماهيرية الفلسطينية، وما كان إصداره بعد عدد من حوادث الشجار والعــراك والقتــل إلا نتيجة إيجابية تحسب في رصيد هذه القوى الوطنية والإسلامية، ولكن المثير في الموضـــوع كان رفض حركة المقاومة الإسلامية (حماس) حضور الاجتماع المخصص لهذا الموضوع، واستتباعا رفضها التوقيع على البيان المذكور، لا سيما أن حركة حماس أو بعض كوادرها المتهمين بالتسبب في القتل الناجم عن الشجارات المرتبطة مع الكتابة على الجدران، وعليــه كان الأجدر والأكثر منطقية أن يقوم فصيل وطني إسلامي مثل حماس بتنظيف ما أثير حول كوادره ودعم عدم تلطيخ الجدران بالشعارات التي لا تغني ولا تسمن من جوع الفلــسطينيين المنكوبين الجائعين .

وكان لنا الوقفة الثانية المتأملة مع خروج ما يقارب عشرين أو ثلاثين ألف عنصر و نصير في مهرجان استعراضي كبير بمناســبة ذكــرى تأســيس حركــة حمــاس فــي ١٩٨٧/١٢/١٤م، وإن كان لهذا المهرجان من ميزة فهي أن البنادق التي تجاوزت المــائتين كما ذكرت الأنباء و الفضائيات التي ظهرت في المهرجان دلت دلالة قاطعة على أن حركــة (حماس) تحاول القول أنها تملك السلطة الحقيقية على الأرض، سلطة المقاومــة المــسلحة، المقاومة المستمرة، المتعانقة مع إرادة الشعب كما دأب العديد من قادة (حماس) في الداخل و الخارج على القول والإشارة علناً أو مواربة أو غمزاً من قناة السلطة الوطنية الفلسطينية بل ومن قناة التنظيمات الأخرى وخاصة حركة (فتح) .

أما الوقفة الثالثة التي ساعدتنا على كثير من التفكر في ماذا يجــري فــي حركــة (حماس) ؟؟ فهو عدم الاعتراف الصارم بوجود عملاء في صفوف حركة (حمــاس) رغــم العدد الملحوظ من عمليات الاغتيال التي طالت كوادر الحركة وبفعل أقرباء أو عناصــر أو كوادر في ذات الحركة ثبت بالفعل وبتحقيقات الأجهزة الأمنية الفلسطينية، بل وباعترافــات قادة العدو الصهيوني والأشخاص أنفسهم أنهم عملاء لإســرائيل، ثــم الانتقــال مــن عــدم

الاعتراف الصارم إلى الاعتراف الخجول والتهوين من شأن العملاء عبر بيانات (حمـــاس) (حيث يذكر أحد البيانات أن العميل وليد حمدية كان كادرا هامشيا في حماس – بيان حماس في ٢٠٠٢/١٠/٢٠) وصولا إلى درجة الإقرار الصريح بوجود العملاء من خلال المنـــشور التحذيري لعناصر حماس بعدم الانجرار وراء عمليات الاستدراج الإسرائيلي لأنه إن لم يـتم اتباع تعليمات البيان، يؤدي ذلك إلى أن (يعمل هـذا الأخ المـتحمس الـساذج كجاســوس ومتطوع لدى العدو يبوح له بأخبار وأسرار شبابنا المجاهد)، ويطالب البيان في الختام مـن كل أخ أن يحذّر (كل أخ من إخوانك الطيبين تشعر أنه ضحية وقعت في يد هؤلاء المجرمين – البيان في ٢٠٠٢/١٢/٣)

وكانت الملاحظة الرابعة متمثلة في تضارب التصريحات لقادة حركة (حماس) على مدى سنتين ونصف السنة من عمر الانتفاضة، وفي مواضيع شتى تتعلق بوقــف العمليــات الاستشهادية، أو إعلان الهدنة ، أو المشاركة في الحكومة الفلسطينية أو التعاون مع الــسلطة الفلسطينية أو دعم تيار ما في السلطة من عدمه ... الخ من المواضيع التــي كــان لتعــدد التصريحات حولها بل وتناقضها أحيانا دلالة إما على أن قادة (حماس) في الوطن وفي غزة تحديدا – بعد اعتقال قادة حماس وعلى رأسهم الشيخ حسن يوسف في الضفة الفلسطينية وبعد خفوت صوت قادة حماس في الأردن – أن قادة حماس في الوطن بينهم وبعــضهم وبيــنهم وبين قادة حركة حماس في الخارج (خاصة في قطر ولبنان وسوريا وإيران) صعوبة شديدة في التواصل، أو يوزعون الأدوار بينهم، أو يتناقضون عطفا على الصعوبة في التواصــل، حيث التيارات والمنابر والسيوف تتصارع على النفوذ السياسي والعــسكري فــي مواجهــة السلطة الوطنية الفلسطينية، وفي مواجهة الفصيلين المنافسين لحركة (حماس)، وهما حركــة (فتح) بثقلها وسطوتها وتاريخها وقربها من السلطة، وحركة الجهــاد الإســلامي بتميزهــا وصفتها الإسلامية التي تباري بها (حماس)، (أعلنت كل من حماس والجهاد الإسلامي أكثــر من ٤ مرات قبول ورفض الهدنة (عبد الجبار عدوان – الشرق الأوســط – ٢٠٠٢/١/١٧) وذلك قبل أن يستقر قبول الجميع امتثالا لقرار الرئيس عرفات حينه) وفي هذه الوقفــات أو الملاحظات الأربع سنحاول تسليط الضوء أكثر لنخرج باستنتاجات قد تدعم أو تنفي المظهر الأولي لرؤيتنا للأمور .

انتحارية أم استشهادية وقف أم استمرار ؟!

لقد قيل وكتب الكثير في ماهية العمليات التفجيرية (الاستشهادية أو الانتحارية) من الزاوية الشرعية الإسلامية، ومن الزاوية السياسية ومدى تحقق المصلحة فالكثيرون أفتوا بجوازها وحللوها وغيرهم أفتى بتحريمها لأن فيها قتلا للنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ومنهم من ميزها عن العمليات الانتحارية التي حصلت في نيويورك وواشنطن مثبتا أن المشروعية الإسلامية تنطلق من الأهداف والغايات والأسلوب ففي حالة المقاومة الشرعية للاحتلال كما في فلسطين تحلل هذه العمليات وفي حالة غزوة نيويورك وواشنطن تحرم لأن فيها قتلا متعمدا للمدنيين وإزهاق لأرواح بريئة (فهدف ضرب الأبراج في أحداث أيلول غير مشروع، كما أن الوسيلة تختلف " عن العمليات الاستشهادية في فلسطين" ... فقد اتخذت الطائرات المدنية بركابها المدنيين وسيلة قذف صاروخ موجه يضحي بهؤلاء المدنيين فهي وسيلة غير مشروعة، كما أفتى الشيخ يوسف القرضاوي- لقاءه مع الكاتب الأمريكي المعروف توماس فريدمان في بيته بالدوحة، الحياة الجديدة ٣٠/١٠/٢٠٠٢) ومن رأي حرمة العمليات التفجيرية (أي تلك التي يفجر الشخص فيها نفسه دون اشتباك وهجوم) والمسماة دون سواها عند بعض الجهات استشهادية، استند البعض في الحرمة إضافة لقتل النفس إلى أن الرسول عليه السلام حرم قتل النساء والصبيان أي المدنيين (الحديث في صحيح مسلم) وغيره من المستمسكات التي تصب في هذا الجانب.

ومع أن مفهوم العمليات الاستشهادية ارتبط أصلا بالعمليات الدفاعية التي بدأت فيها حركة (فتح) والتنظيمات الفلسطينية الأخرى في السبعينات والثمانينات بشكل رئيس من خلال شن هجوم ساحق على العدو عبر البحر أو البر أو الجو وكما حصل في عشرات العمليات التي كان محكوما أن نهايتها على الأرجح استشهاد الفدائي أو الفدائيين، إلا أن تضييق المفهوم حديثا ليقتصر على الهجوم السلبي الذي يفجر فيه الشخص نفسه أصبح المفهوم الطاغي والخاطئ بنفس الوقت، ورغم أنه في فترة عمل حركة (فتح) و منظمة (أيلول الأسود) المشار إليها عالميا كمقربة أو تابعة لحركة (فتح) يتزعمها الشهيد القائد صلاح خلف (أبوإياد)، وعدد من تنظيمات المقاومة الأخرى بعملياتها خاصة الموجهة ضد الإسرائيليين وبالأسلوب الهجومي الإيجابي، كانت تدان من عدد من التيارات (الإسلامية) في مواجهة فتوى الشيخ حسن أيوب (وهو عالم مصري جليل كان مؤيدا للمقاومة) الذي أفتى حينها بأن منفذيها شهداء، إلا أننا نجد في الحالة الراهنة اتفاقا بين التيارات المصنفة (إسلامية) كحركة (حماس) أو الوطنية في إطار الحضارة العربية الإسلامية كحركة (فتح)،

والتيارات المصنفة علمانية كالجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية اتفاقا على (شرعية) أو(صحة) تنفيذ عمليات استشهادية كل من زوايا مختلفة في الأولى مرتبطة بطريقة الاجتهاد وفي الثانية مرتبطة بالخط السياسي أو البرنامج، وفي الثالثة مرتبطة بالثأر والانتقام ما يذكرنا بشعارات حركة القوميين العرب في الخمسينيات من القرن العشرين.

وإذا تركنا ماهية العمليات التفجيرية (استشهادية أو انتحارية) جانبا سواء من الزاوية الشرعية أو المصلحية وبغض النظر عن صحة اتباعها بمفهومها الضيق من حيث التخصيص، فإن مبدأ وقف العمل الجهادي (أو النضالي أو العسكري) ومنه هذه العمليات قد راوح في الخطاب السياسي لحركات المقاومة الفلسطينية ولحركة (حماس) تحديدا ما بين التشدد برفض وقف العمليات العسكرية أو الاستشهادية (لأن المقاومة عمل استراتيجي كما يقول خالد مشعل) أو (لا حل للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد- من مذكرة حركة حماس للمجلس المركزي الفلسطيني ل(م.ت ف)- ٢ يوليو ٢٠٠٠) أو بالعودة للقول بقبول الهدنة مع العدو كما يردد دوما الشيخ أحمد ياسين أو بالقبول الفعلي بل والتوقف الفعلي عن العمل العسكري، وكما حصل من استجابة كافة التنظيمات لخطاب الرئيس عرفات المنادي بوقف العمليات في أواخر العام ٢٠٠١ والذي استمر إلى أن خرقته مرارا وتكرارا القوات الصهيونية الباغية، وهو التوقف الحاصل للعمليات إثر أحداث ٢٠٠١/٩/١١ في الولايات المتحدة الأمريكية حيث توقفت ٤٥ يوما. إلى العودة المتذبذبة ما بين التشدد والعودة لرفض وقف العمليات أو وضع الشروط لوقفها مع ظهور أن حساب الحقل غير حساب البيدر وكما يقول الشيخ أحمد ياسين (الشرق الأوسط ٢٠٠٢/٥/٢٨)(إن حماس أطلقت من قبل مبادرة لوقف قتل المدنيين من الجانبين – وهي التي جاءت استجابة لخطاب الرئيس عرفات – لم يحترمها العدو الصهيوني) مضيفا (نحن أطلقنا مبادرة من قبل وطلبنا وقف استهداف المدنيين ولكن الاحتلال استمر في استهداف أبناء شعبنا ...) (فإذا التزم العدو بهذا مع ضمانات دولة فلن تكون هناك مشكلة لدينا) وحسنا أفصح الشيخ عن الفكر البراغماتي الذي يمثله تيار واسع في حركة حماس والذي ينظر للوسائل عامة ومنها العمليات الاستشهادية نظرة سياسية عملية وليس شرعية بمعنى أنه في ظل شرعيتها تبقى الوسيلة رهنا بالظرف والتقدير السياسي على عكس تشدد الآخرين في (حماس) ومنهم عبد العزيز الرنتيسي كما سنرى .

العمليات وإعلان الحرب

إذن فالعمليات الاستشهادية لدى حركة (حماس) وسيلة، أسلوب، أداة متغيرة قابلة للتوقف، على عكس الأصوات العالية التي يظن لعلوها أنها لن توقف يوما هذا العمل المقاوم الاستراتيجي (استمرار المقاومة طالما هناك احتلال –كما يقول الرنتيسي في البيان ٦ يونيو ٢٠٠١ – وأن لا التزام لحماس وبين السلطة الفلسطينية بقرار وقف إطلاق النار أو العمليات الاستشهادية ضد المحتل) وهذه –أي التعامل مع الأداة بحقيقتها– نقطة تحسب لصالح التيار المرن والمعتدل والبراغماتي المسيس داخل حركة (حماس) التي تقترب شيئا فشيئا في خطابها العام من الخطاب الوطني الإسلامي وليس الإسلامي المتشدد وهو خطاب حركة (فتح) بتيارها العام غير المتهاون أو المتشدد، (وإذا كانت المصلحة تتطلب العمل العسكري فان حماس ستقوم به وإذا تطلبت التهدئة فإنها ستسعى له – الشيخ حسن يوسف ٢٠٠١/١٢/٢٠ الشرق الأوسط) إلا أن الخطر في رؤية أو خطاب حركة (حماس) في هذا الموضوع أو غيره ليس وجود التيارات وتعدد الآراء والمنابر وجنوح تيار نحو المرونة والاعتدال أو آخر نحو التشدد والوأد، وإنما الخطر هو أن حركة (حماس) لا ترى إلا نفسها لوحدها !! حاملة للواء وباعتبار حماس فقط !! (ترفع راية المقاومة والجهاد في فلسطين) وإنها (كل شئ) كما يقول أحمد ياسين في لقاء له بمناسبة الذكرى ١٥ لتأسيس حركة (حماس) المنشور في موقع حركة (حماس) على الإنترنت المسمى (المركز الفلسطيني للإعلام)، وهي بذلك تضع نفسها فعليا ممثلة مطلقة للشعب الذي يراها ويرى غيرها، ومتجاوزة (السلطة) على ما فيها من إيجابيات ومساوئ، ومتجاوزة القوى السياسية الأخرى، حين لا تقر أي عمل ولا تنظر له بعين الرضا إلا متى ما كان منطلقا منها وحدها وليس اتفاقا مع أحد (رفض قيادة حركة (حماس) اتفاق غزة بعد أن وافقت عليه، ومطالبة الرنتيسي بحق الفيتو حين صرح أن المطلوب لاتخاذ أي قرار الإجماع لكافة الفصائل، ووهن لقاء القاهرة والذي في حقيقته لقاء بينها و بين المصريين والأمريكان، وادعاء التزامها بوقف النار الذي أعلنه الرئيس وكأنه مبادرة من حماس فقط، ولجوء الحركة المتكرر للتحقيق في حوادث جنائية منفصلة عن السلطة (كعملية اعتداء أو قتل ...الخ).

وهنا تكمن خطورة الانفلات الوطني حينما يظن كل فصيل أحقيته في إعلان الحرب أو وقفها أو اختيار الوسيلة وتواصلها أو وقفها دون الإقرار بالمرجعية الوطنية، بل وبتسفيهها كما يفعل د . عبد العزيز الرنتيسي على سبيل المثال حينما يحتقر أو يقلل من شأن

لجنة المتابعة للقوى الوطنية والإسلامية في مقالة له في موقع حركة (حماس) المنشور في ٢٠٠٢/١٢/١٤ بعنوان (أحداث حي الشيخ رضوان لم تكن عابرة).

العمليات الاستشهادية منذ الكرامة

في حمأة الصراع السياسي والسياسي التنظيمي بين حركة (فتح) باعتبارها مهد اليمين ومخدة الرجعية وحامية الأنظمة المتخاذلة كما كانت القوى (التقدمية) تصفها، تناقلت مختلف التنظيمات مقولة جامدة تقول أن (الكفاح المسلح هو الطريق الحتمي الوحيد لتحرير فلسطين) ولم ندر من أين استقت تنظيمات (اليسار) و (اليمين) هذه المقولة لا سيما أن جميع الثورات التي سبقت الانطلاقة الفلسطينية (في العام ١٩٦٥) لم تقل ذلك وهي الثورات التي عكست ظلالها على التجربة الفلسطينية من التجربة الروسية والصينية والكورية والكوبية إلى الجزائرية فالفيتنامية لأنها جميعا مازجت بين العسكري والسياسي وإن بأشكال وأنماط قد تتفق أو لا تتفق مع طبيعة النضال الفلسطيني الذي استصعبه قائد كبير بوزن (ماوتسي تونغ) الذي تمنى أن يرى انتصار الثورة الفلسطينية صعبة الانطلاق والتواصل.

استمر صراع الشعار متأججا وكانت حركة(فتح) باعتبارها قائدة النضال الفلسطيني ومفجرة الثورة تقود في مستويات محددة هذا الاتجاه، رغم الاتجاه الآخر الذي احترف بناء العلاقات والعمل السياسي، لتستقر مفاهيم حركة فتح على المزاوجة بين الكفاح المسلح والوسائل الأخرى باعتبارها كلها أشكالا نضالية مطلوبة، وما تم ذلك إلا بعد صراع مرير. فالحتمية في الكفاح المسلح فكرة إن تكرست لا فكاك منها، والوحدانية تجعل كل ما عدا القتال أمرا هامشيا بل ومرفوضا أحيانا ويتهم من يتعامل به بالاستسلامية والانتهازية بل والعمالة .

بعد اثنين وعشرين عاما من الانطلاقة لحق الإخوان المسلمون بركب الثورة الفلسطينية فعبروا عن دخولهم المعترك الثوري في بيان ١٤/ ١٩٨٧/١٢ أي بعد بدء الانتفاضة الكبرى الأولى (١٩٨٧ – ١٩٩٤) بأيام إذ إن الإخوان المسلمين شعروا (أن عدم اشتراكهم الفاعل في مواجهة الاحتلال في المدة الماضية ترتب عليه خسران الساحة السياسية الفلسطينية ولمدة طويلة لصالح فصائل المقاومة، ولهذا لم يعد من المعقول أن تبقى الجماعة خارج الأحداث، وكان لا بد للحركة الإسلامية من الانخراط في العمل المسلح لتكريس

شرعيتها السياسية – علي الجرباوي، حماس، مدخل الإخوان المسلمين إلى الشرعية السياسية، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ١٣ شتاء ١٩٩٣) بعد أن كان (حضور عبد الناصر والمد اليساري المرافق واللاحق لم يكن ليهمش الحالة الاخوانية فقط وإنما التدين عموما في المجتمع الفلسطيني–ياسر الزعاترة، مقال، الجزيرة نت،٢٠٠٢/١٢/٤)، وخطوا ميثاقا لهم لا يختلف في مفاهيمه وأفكاره ومنهجه كثيرا عن العديد من المفاهيم والأفكار التي طورتها الثورة الفلسطينية وحركة (فتح) إلا فيما يتعلق بالوجه الإسلامي مما يعطي دلالة قاطعة على قدرة حركة (حماس) وحيويتها في الاستفادة من تجارب الآخرين دون شعور بالنقص أو ضرورة الانقطاع عن الآخرين، ولأول مرة وبشكل صارخ تتبنى حركة (حماس) مفهوم (الإسلامية)، ومفهوم (الوطنية)، والثانية مما كان ينظر لها مع مفاهيم القومية والاشتراكية ككفر وخطيئة لا يجوز للحركة (الإسلامية) عموما الاقتراب منها، وفي ذلك كما أسلفنا تطور فكري وثراء وانفتاح يشهد له.

(حماس) تدخل المقاومة

المهم أن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) كما أصبحت تعرف، لحقت بركب الثورة واستفادت الكثير، ولكنها وكما حصل مع تنظيمات المقاومة التي سبقتها علقت في باب الكفاح المسلح (لا حل للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد، أما المبادرات والطروحات والمؤتمرات الدولية فمضيعة للوقت، وعبث من العبث ... المادة ١٣ من ميثاق حماس ١٨/٨/ ١٩٨٨) ونرى بالطبع نفس المادة قد سبقتها لها وتبنتها حركات المقاومة جميعا، ثم أضطرت تحت ضغط الظروف الإقليمية والعالمية واتباع المرحلية في النضال أن تتعامل مع كافة القرارات والمبادرات .

وبناء عليه أصبحت الوسيلة هدفا، وعندما تتحول الوسيلة إلى هدف فإنها تصبح ثابتا في أعراف المناضلين والثابت مقدس يجب ألا يتغير، فتصبح المتغيرات عبثا لا يهم، وتقع التنظيمات في فخ الجمود العقلاني والسياسي وغياب الرؤية، و تنفصل القيادة السياسية عن جهازها العسكري من جهة وعن جماهيرها من جهة أخرى، ولا تستطيع أن توازن في ظل خطاب تحريضي ناري شديد ووضع إقليمي ودولي أشد، لا تستطيع أن توازن بين

خطابها التعبوي هذا للأعضاء، وبين ضرورات التعامل مع المتغيرات واتخاذ القرارات التي تخدم المصلحة الوطنية العامة.

لقد خرجت حركة (حماس) من حالة السبات والكمون لتدخل في حضن المقاومة في العام ١٩٨٧و لتصبح في إطار انتفاضة الأقصى والقدس والاستقلال، وخاصة منذ عام ٢٠٠٢ لا ترى الآخرين ؟؟! وإنما تعتبر نفسها لوحدها من (يرفع راية المقاومة والجهاد في فلسطين ويقودها) (في لقاء مع الشيخ أحمد ياسين في ديسمبر ٢٠٠٢) ولتعبر عن رفضها وقف المقاومة مهما كانت الضغوط ومهما كان الثمن وبغض النظر عن المتغيرات الداهمة لأنه وكما يقول الدكتور عبد العزيز الرنتيسي (البيان الإماراتية ٦ يونيو ٢٠٠١) (ببساطة إن سياسية حماس هي استمرار المقاومة طالما هناك احتلال وبالتالي وقف المقاومة مع بقاء الاحتلال يتنافى مع سياسة حماس) في كلام لا يصمد كثيرا لأننا (أوقفنا من جانبنا العمل الجهادي الذي كان يقلب الطاولة في العالم الغربي والشرقي وهذه المبادرة لم تكن بطلب من أحد بل بمبادرتنا الشخصية) (كما يقول الشيخ أحمد ياسين في البيان الإماراتية بتاريخ ٢٠٠٢/١/٢٤) ولأن الواقع العملي أثبت براغماتية عالية لدى بعض قيادات حركة حماس، مما دعاهم للانخراط في حوارات وطنية في غزة ثم في مصر استجابة للضغوط الداخلية والإقليمية والدولية المختلفة، ورغبة في وقف العمل العسكري وفق ما تقتضيه المصلحة . (لأن العمليات والمقاومة هي بنت بيئتها وظروفها ... خالد مشعل في البيان ٢٠٠٢/٨/١٤)، ما يعني أن توقفها ضروري إذا اقتضت الظروف وكما أوقفت في مرات عدة سابقة ؟؟!

المثير في هذا المجال أي مجال رفع شعار المقاومة أو الكفاح المسلح أو الجهاد هو أن التعبئة تكون في حدها الأقصى حتى تتحول (الوسيلة) (السياسية) إلى (وسيلة استراتيجية)أو(هدف استراتيجي) لتقترن مع (العقيدة) أو (الأيديولوجية) فيتحول من يرفض المقاومة أو يوازن بين الوسيلة والهدف إلى خاطئ أو كافر، وهذه المصيدة التي وقعت فيها حركة (حماس) . وكانت تنظيمات المقاومة الفلسطينية قبلها قد وقعت فيها ولم تخرج منها إلا بعد معارك شديدة وصعبة تركت آثارا على الصعد السياسية والعسكرية والتنظيمية بل والنفسية .

هذا عن العمل العسكري عموما أما عن العمليات الاستشهادية تحديدا فإنه مما يلفت النظر أن هذه العمليات كانت سياسة متبعة لحركة (فتح) وتنظيمات اليسار (أو ما يطلق البعض عليها العلمانية حاليا) منذ السبعينات، بل وقبل ذلك منذ معركة الكرامة عام ١٩٦٨ التي استخدم فيها الحزام الناسف لأول مرة، حيث افتتحت حركة فتح هذه العمليات الاستشهادية بالأسلوب الإيجابي بمعنى أن تقوم مجموعة فدائية بمهاجمة موقع صهيوني محصن أو تختطف مجموعة من الإسرائيليين أو تهاجم مستوطنة في واقع تُعدّ النجاة منه شبه منعدمة، ولكنه أسلوب استشهادي إيجابي أي لا يفجر الإنسان العبوات الناسفة في نفسه ليدمر الآخرين وإنما يدخل في اشتباك مسلح لغرض تحقيق هدف كثيرا ما كان يتمثل في طلب إطلاق سراح السجناء كما في عملية (سافوي -وقعت في ١٩٧٥/٣/٥، وطلب الفدائيون فيها إطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية) وعملية (دلال المغربي- وقعت في ١٩٧٨/٣/١١ وأدت لمقتل ٣٧ إسرائيليا، وفيها أيضا طلب إطلاق سراح الأسرى) على سبيل المثال . أما حديثا فقد تم إسقاط المصطلح ليصبح مقصورا على العمليات الاستشهادية السلبية فقط (أي التفجيرية) مما أفقد المفهوم حقيقة المقاومة المطلوبة وتنوعها وحاجتها، وتم تبادل الأدوار والاتهامات، ففي الوقت الذي كان استشهاديو حركة (فتح) والجبهة الشعبية والفلسطينية والقيادة العامة والديمقراطية مدانين لأنهم يلقون بأنفسهم الى التهلكة إلا من فتوى أجاز فيها بعض العلماء وعلى رأسهم الشيخ الجليل حسن أيوب – كما أسلفنا–هذه العمليات أصبحت اليوم العمليات الاستشهادية ذات الطابع السلبي أي التفجيرية مجال التسابق بين التنظيمات الإسلامية الوطنية (حماس والجهاد) والوطنية الإسلامية (فتح)، والوطنية (العلمانية) دون أن يدان أحد عقديا إلا ما اقتضته ظروف السياسة والمصلحة العامة.

وبالتالي يرتكب أبو أحمد ممثل حركة حماس في الخرطوم خطأً تاريخيا حينما يقول متفاخرا (نحن نملك سلاحا لا يملكونه – يقصد الإسرائيليين – وهو سلاح العمليات الاستشهادية وهذا سلاح لا يملكه إلا الإسلاميون ؟!) (في حوار شامل مع صحيفة الخلاص ٢٠٠١/٩) دون أن يتواضع قليلا ويتخلى عن خيلائه وتعصبه و يعي تجارب من سبقوه وفضلهم عليه وعلى المقاومة الحديثة عامة . إلا أن هذا الشكل الجديد من المقاومة اقترن في انتفاضة الأقصى انتفاضة القدس والاستقلال مع سياسة عدد من حركات مقاومة أخرى

مازجت بين أشكال العمل الهجومي والتفجيري والاشتباك والإغارة لتضع المقاومة في شكل غير استعراضي أو مدمر.

لقد أصبح العمل الاستشهادي (التفجيري) هدفا للكثير من الشباب لأسباب عقدية وأخرى اجتماعية واقتصادية أو حزبية، وحثت حركات المقاومة الحديثة ومنها الجهاد (سرايا القدس) وحماس (كتائب القسام) أو فتح (كتائب الأقصى) والجبهة الشعبية (كتائب الشهيد أبو علي مصطفى) عليها حتى أصبح التفلت منها والانخراط في مفاوضات وطنية وحوارات فصائلية لدى البعض وكأنه تفريط بالمقاومة أو ضرب لها حيث أسقطت الوسيلة لتصبح هدفا وعقيدة من الصعب التحلل منها .

نرفض استشهاد (أبناؤنا)لاستثمار سياسي

من المعلوم أن الانتفاضة المباركة بدأت بتظاهرات شعبية متواصلة كان الشهداء فيها يتساقطون أمام الإرهاب الإسرائيلي دون أن يقوم أي تنظيم باقتحام مجال المقاومة والعمليات الفدائية إلى أن أقدمت حركة فتح على قتل (مائير كاهانا) وزوجته قرب رام الله ليظهر اسم كتائب شهداء الأقصى مدويا في سماء العمل الوطني كأحد أردية حركة (فتح) وتجلياتها، وحينها كانت التنظيمات الأخرى ما زالت لم تنخرط في آليات المواجهة لأسباب عدة أبرزها ما يتحفنا به القيادي البارز في حركة حماس إبراهيم غوشة حينما صرح قائلا (البيان ٢٠٠١/١/٣) (أن الحركة أحجمت عن العمليات الاستشهادية خلال الانتفاضة لمنع السلطة الفلسطينية من جني ثمار هذه الهجمات على مائدة المفاوضات) ومضيفا (إننا نرفض أن يستشهد أبناؤنا من أجل استثمار سياسي) ؟! وهو ذات الرجل الذي صرح على التلفاز في خضم الانتفاضة مطالبا باستقالة الرئيس ياسر عرفات (وهو ذات المطلب الذي جعله مجرم الحرب أرئيل شارون وعصابته شرطا مركزيا) في خلط سياسي غريب وتفسيرات أغرب سواء لوقف العمليات أو لدعوته اللاحقة والتي صمت بعدها مؤثرا عودته إلى عمان، بعد أن استعطف جلالة الملك الحسين (بما عرف عنه-أي جلالة الملك- من سعة صدر تسع جميع أبنائه) في رسالته (٢٠٠١/٦/٢٨) وباعتباره أي المهندس إبراهيم غوشة أحد أبناء الملك كما هو جلي في رسالته، ومطالبا جلالته (أن يتفضل مشكورا لإنهاء المشكلة) علما (بأنني سأقوم

بتجميد نشاطاتي السياسية والإعلامية والتنظيمية الخاصة بحركة حماس) وليصمت بعدها إلى الأبد .

ما نريد قوله في هذا المقام أن العمليات العسكرية ومنها الاستشهادية في الانتفاضة الحالية كانت صناعة غير (حماسية) وإنما (فتحاوية) مرتبطة بانطلاقة الثورة عموماً، وإذا اعتمدنا كلام إبراهيم غوشة الذي كان يتحدث بصفته الناطق باسم حركة حماس –قبل العفو الملكي عنه ورجوعه للأردن – بعين الاعتبار للاحظنا لهجة الحقد على الآخرين من جهة، ولهجة السياسي غير الأيديولوجي بل وغير المتزن الذي يتعامل مع المقاومة والعمل العسكري وفق المصلحة التنظيمية الحزبية الضيقة، وليس بما يتفق مع المبادئ أو أن المقاومة استراتيجية متواصلة، والعمل العسكري لن يتوقف كما كرر عدد من قادة حركة حماس الآخرين .

شعارات في الهواء

في جميع الأحوال لم يكن شعار المقاومة بالنسبة لحركة حماس شعارا ثابتا مطلقا أيديولوجيا غير قابل للتغيير وإلا لتحولت الحركة إلى حركة متحجرة لا تتفاعل مع المتغيرات، وإنما كانت حركة سياسية براغماتية شأنها شأن أي حركة سياسية أخرى في فلسطين تضع مصلحتها ومصلحة كوادرها ومصلحة الوطن وتتعامل معها في ضوء معطيات العلاقة مع الآخرين ومع السلطة ومع المتغيرات الإقليمية والدولية بما ينعكس على القرار، لذلك قررت حركة (حماس) بعد تردد وطول مماطلة وحوار داخلي وخلافات عدة قررت في (٢٠٠٢/١٢/٢١) وقف العمليات الاستشهادية وإطلاق قذائف الهاون وكما أشار حينها إسماعيل أبو شنب القيادي في حركة حماس حيث (إن وقف الهجمات كان بمبادرة من حماس أخذا بعين الاعتبار الظروف الراهنة والضغط الدولي على السلطة الفلسطينية وعلى حماس وعلى الشعب الفلسطيني – البيان ٢٠٠٢/١٢/٢٢) ونفس الأسباب التي ذكرها أبو شنب هي وأشد منها ما دعا حركة حماس لاحقا للحوار لتصعيد المقاومة (أو وقف العمليات) مع حركة (فتح) وسائر التنظيمات في غزة لاحقا، ثم في القاهرة شهري ١١ و ١٢ –٢٠٠٢ استجابة للضغوط الأمريكية والأوربية عليها إثر لقاء حماس مع الأمريكان في بيروت، على عكس ما ذكره أسامة حمدان (الجزيرة ١٢ / ٢٠٠٢) من أن حوار القاهرة لم يخالطه ضغط

على حركة (حماس) ما جعل أبوعلي شاهين أحد قادة حركة (فتح) في ذات المقابلة ينفجر ضاحكا.

لقد ذهبت الدعوات الأيديولوجية التعبوية أدراج الرياح بأن (لا قرارات عندنا بوقف العمليات الاستشهادية مهما كان الثمن – الشيخ ياسين البيان ١٩٩٨/٥/١٠، إذ إن الحركة ملتزمة بالمقاومة بكافة أشكالها ما دام الاحتلال قائما على أرض فلسطين – أبو شنب البيان ٢٠٠٢/٥/١٨ أو أن وقف المقاومة مع بقاء الاحتلال يتنافى مع سياسة حماس – الرنتيسي البيان ٢٠٠٢/٧/٦) وأصبحت مثل هذه الشعارات سلعة للاستهلاك المحلي، والحقيقة تتعامل مع الواقع والمتغيرات، و البراغماتية التنظيمية العالية لحركة حماس رغم تعدد أصواتها وتياراتها ومنابرها .

العملاء في جسد حركة (حماس) !!

قال محاور أبو أحمد ممثل حركة حماس في الخرطوم من صحيفة الخلاص (في الآونة الأخيرة طالت أجهزة الأمن الإسرائيلية قيادات بارزة من حماس واستطاعت تفكيك بعض الخلايا العسكرية لها، هل هذا تفوق صهيوني أم أخطاء من حماس ؟) يجيب أبو أحمد (أولا نحن لا نعفي أنفسنا من القصور فهي حالة البشر ...) ونقول بارك الله فيه لأن الاعتراف بالحق وإن كان متأخرا فضيلة، مضيفا (إن هناك نقاط ضعف أخرى داخل شعبنا هي العملاء الذين زرعهم العدو، ولكننا نعمل جاهدين لمحاصرة هذه الظواهر إذن هي معركة ....) وهذا اعتراف محمود بذلت فيه حركة (حماس) جهدا نفسيا وتنظيميا وتعبويا كبيرا لتصله لأنها رأت -كما سيلي- في الاعتراف بوجود عملاء في جسدها عارا كبيرا عليها، أو محاولة للطعن في نصاعتها و قوتها، و لكنها سرعان ما أدركت أن في العناد السياسي و عدم الاعتراف مع توفر الأدلة لعباً بقضية خاسرة، ولا تلوث تاريخ (حماس) أصلا أن يكون مدسوسا عليها أو فيها عدد من الكوادر أو القيادات ممن باع نفسه للعدو وتعامل مع الشيطان . وعليه نظرت حركة (حماس) إلى المظاهر السلبية المختلفة التي رافقت الانتفاضة و التي نقول أن منها ظاهرة العملاء في جسد التنظيمات المختلفة و خاصة الكبيرة منها كحركة (فتح) و حركة (حماس) نظرة تأمل و مراجعة حيث يقول خالد مشعل في رسالة إلى (طلاب و طالبات الكتل الطلابية في الجامعات الفلسطينية كافة) في

٢٠٠٢\١٢\١٤ (و إن وجود بعض من المظاهر السلبية التي برزت في ظـــل الانتفاضــــة لا تدفعنا إلى وقفها، بل إلى معالجة تلــك المظـــاهر و الظـــواهر بموضـــوعية و تـــوازن و اعتدال،وهي حالة طبيعية في كل الثورات والمواجهات مع المحتلين،و التصحيح أولا بـــأول مع الحفاظ على المسيرة الأساسية للنضال و المقاومة هو السبيل الصحيح).

إن ظاهرة العملاء ظاهرة طالما صاحبت الثورات في كل البلدان، وطالما كانت تتم عن ضعف خلق و سلوك منحرف أو خوار، وإرادة متهالكة،أو فساد فكر و عقم تحليل يودي بصاحبه للارتباط مع العدو ضد شعبه و أبناء وطنه،و كانت البداية الكبيرة في اختراق حركة حماس مترافقة مع نشأتها، حيث سهلت لها السلطات الإسرائيلية الحركة و النشاط كمقدمـــة لضرب منظمة التحرير الفلسطينية و إيجاد بديل عنها و لا يعني هـــذا أن حركـــة حمـــاس صنيعة (الشاباك = المخابرات الإسرائيلية) كما يحلو للبعض أن يخلص ذلك، بل و يتهمهـــا أنها تشكلت من قبل المخابرات لكنها خرجت من الوصاية الإسرائيلية و غيرت اتجاهها كليا لاحقا كما يقول (يفجيني بريماكوف في صحيفة الشرق الأوسط ٢٠٠٢\٩\١٤)، وإنما مـــن المعلوم أن (التسهيلات) التي قدمتها السلطات الإسرائيلية للحركة الإسلامية في المساجد التي أثمرت (حماس) لاحقا كان من ضمنها أن دست عددا غير محدد من العملاء، الذين أدعـــى الإسرائيليون أنهم كانوا قبل الانتفاضة الأولى (١٩٨٧-١٩٩٤) ما يزيد على المائـــة ألـــف عميل بمستويات و أحجام متفاوتة، بالضرورة – مع تحفظنا على الرقم المبالغ فيـــه بـــالطبع والذي تقدره منظمات حقوق الإنسان ب ١٥ ألف متعاون (مايو ٢٠٠٢) – كان جزء كبيـــر منهم ممن يتخفون في جسد رجل ملتحٍ أو مصلٍ أو متدين أو منتمٍ للحركة (الإسلامية) في الوطن (حالة وليد راضي إبراهيم حمدية الذي انتمى للحركة الإسلامية قبل أن تصبح حركة حماس، وذلك عام ١٩٨١ في إطار المجمع الإسلامي في غزة، أو حالة العميل رفيق راضي حماد من حركة "حماس" أيضا، وحالة العميل أحمد أبوعيشة الذي أعدمته الـــسلطة الوطنيـــة وهو من نابلس المقرب من "حماس" الذي أودى بحياة صلاح دروزة من قيادات (حمـــاس)، ....)، ومثلهم الكثير ممن إما هُرّبوا إلى الداخل أو خارج الوطن، أو بقوا في مناطق السلطة الوطنية مع إلزامهم من قبل الأجهزة الأمنية بوقف نشاطاتهم ومحاسبتهم عما سيلي ، أو ظلوا في مرحلة كمون إلى أن جاء وقتهم مع انطلاق انتفاضة الأقصى – تم إعدام عدد من هؤلاء العملاء الذين أعادوا نشاطهم بداية الانتفاضة – وبعضهم قبلها إبان فتـــرة التـــسوية وبنـــاء السلطة الوطنية الفلسطينية ليجددوا نشاطهم التخريبي التدميري الآثم.

محي الدين الشريف والاختراقات والعصابات

اتهمت أجهزة الأمن في السلطة الفلسطينية أحد قادة كتائب القسام الجناح العسكري لحركة حماس باغتيال محيي الدين الشريف أحد المسؤولين العسكريين في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في صراع داخلي على النفوذ (الصحف والوكالات في ١٩٩٨/٤/٧). واعتبرت حركة حماس رواية السلطة الوطنية أكاذيب مشبوهة هدفها تبرئة العدو الصهيوني ومنع أي محاولة للانتقام . ورفض عبد العزيز الرنتيسي الناطق بلسان حماس في ختام لقاء مع مسؤولين في السلطة نتائج التحقيق الذي أجرته الأجهزة الأمنية للسلطة الوطنية الفلسطينية معلنا أن (حركة حماس تجري تحقيقا) ؟؟! وسيتكرر نفس السيناريو لاحقا في عدم ثقة حماس إلا بتحقيقاتها في كل أمر أثناء الانتفاضة المباركة، واعتبرت حركة (حماس) ذلك محاولة للإساءة لشهدائها وللمقاومة الباسلة ومحاولة مكشوفة لتبرير مطاردة رموز المقاومة واعتقالهم؟؟! إلا أن أجهزة الأمن الفلسطينية ألقت القبض على خمسة فلسطينيين بتهمة اغتيال محيي الدين الشريف. وكان الأمين العام للرئاسة الفلسطينية الطيب عبد الرحيم أعلن في وقت سابق (١٩٩٨/٤/٦ الوكالات) إن الأجهزة الأمنية الفلسطينية اعتقلت قتلة الشريف وستعلن قريبا كافة المعلومات المتعلقة بهذه الجريمة. و أفادت المصادر الأمنية الفلسطينية أن عادل عوض الله،أحد قادة كتائب عز الدين القسام، الجناح العسكري لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في الضفة الغربية، يقف وراء مقتل محيي الدين الشريف. وقالت هذه المصادر أن (صراعا حادا على النفوذ اندلع بين الشريف وعوض الله وان هذا الأخير قام بإطلاق النار) . و أشارت المصادر إلى أن أحد أعضاء حماس الذين اعتقلوا في إطار تحقيقات الأجهزة الأمنية الفلسطينية بمقتل الشريف كان شاهدا على عملية القتل وقدم اعترافات كاملة.

وحسب هذه المصادر فان العضو في حركة حماس غسان عداسي الذي تم اعتقاله عقب اكتشاف جثة الشريف شاهد على عملية القتل. واضافت المصادر الأمنية أن (عداسي الذي صدم لما شاهده من مقتل أحد القيادات التي كان يعتبرها مثلاً أعلى له على يد أحد زملائه أصيب بأزمة ضمير وقرر الكشف عن القضية) . وبينت التحقيقات الأمنية الفلسطينية أن عداسي كان مرشحا في لائحة طلابية لحركة حماس في انتخابات جامعة بيرزيت . و أضاف أن عضوا بارزا آخر في كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحماس قتل الشريف بالرصاص ولا يزال هاربا. وقام عضو آخر في الكتائب بزرع المتفجرات التي نسفت السيارة ليبدو الأمر وكأنه حادث عارض.

وقال المسؤول لرويتر إن كل المعتقلين رهن الاحتجاز حاليا لدى الأمن الوقائي الفلسطيني. وتابع أن عضو كتائب عز الدين القسام الذي تحتجزه الشرطة الفلسطينية اعترف بزرع المتفجرات التي نسفت السيارة والشريف بعد إطلاق الرصاص عليه. وصرح بان تحقيقات السلطة الفلسطينية في مقتل خبير المفرقعات كشفت عن وجود كميات كبيرة من المتفجرات والأسلحة في الضفة الغربية. وذكر أن الطيب عبد الرحيم رأس اللجنة التي حققت في مقتل الشريف. و أعلن عبد العزيز الرنتيسي الناطق باسم حركة حماس في ختام لقاء مع مسؤولين في السلطة الفلسطينية عقد في غزة إن (الرواية التي قدمتها السلطة الفلسطينية حول اغتيال الشريف غير مقبولة) . وكان وفد من السلطة الفلسطينية برئاسة الطيب عبد الرحيم أمين عام الرئاسة الفلسطينية وعدد من المسؤولين الأمنيين التقى الرنتيسي ومسؤولا آخر في حركة حماس هو إسماعيل أبو شنب. وصرح الرنتيسي في ختام اللقاء (أن حركة حماس تعتبر الرواية التي سمعتها من السلطة الفلسطينية غير مقبولة)، مشيرا إلى أن (الحركة تجري عبر أجهزتها المختصة تحقيقا في الموضوع) ؟؟! . من جهته قال الطيب عبد الرحيم للصحافيين انه (تم إبلاغ قيادة حركة حماس خلال اللقاء رسالة واضحة وقوية حول نتائج التحقيقات التي أجرتها الأجهزة الأمنية بخصوص مقتل الشريف وابدينا استعدادنا الكامل لوضع الحقائق أمامهم للتأكد من هذه النتائج) . واضاف (لقد وعدوا بنقل الرسالة إلى قيادتهم والرد علينا بشكل رسمي في وقت قريب) . واشار عبد الرحيم إلى انه أوضح لقياديي حماس ان (الوضع لا يحتمل المكابرة وانما يستدعي من الحركة تدارك الموقف حتى لا يكون هناك تداعيات اكبر) . و أكد عبد الرحيم أن السلطة الفلسطينية أبلغت ممثلي حماس أنها (تريد ردا رسميا وأنها ليست على استعداد للرد على بيانات ترد عبر وسائل الإعلام) مشيرا في ذلك إلى البيان الذي أرسلته حماس إلى وكالات الأنباء ووصفت فيه (رواية) السلطة الفلسطينية بأنها (أكاذيب مشبوهة) .

وقد رفض الدكتور محمود الزهار أحد المتحدثين باسم حركة المقاومة الإسلامية (حماس) في قطاع غزة إعلان مسؤولين في السلطة الوطنية الفلسطينية أن مرافقين محتملين للشهيد محيي الدين الشريف أقدموا على تصفيته على خلفية نزاعات داخلية. وأضاف الدكتور الزهار (ليس هناك أي مسوغات شرعية ولا حتى تجارب سابقة تبيح اغتيالات على هذا النمط) وإن صح الكلام نقول هنا فإنه في إطار الانتفاضة المباركة ظهرت الاختراقات الواسعة في جسد حركة حماس، مؤكدا- أي الزهار- أن ما أقدمت عليه السلطة (هو محاولة لترضية أطراف غير فلسطينية) . وقال المسؤول في حركة (حماس) أن هذه المزاعم لا

تخدم المصلحة العليا للشعب الفلسطيني ولا تمت للحقيقة بصلة، مشيرا إلى أن الحركة (تنتظر الحقيقة عندما تستكمل كتائب القسام تحقيقاتها وتعلن عن نتائجها، فهي الجهة المسؤولة والمعنية بهذا الأمر(؟؟!) وهي صاحبة خبرة واسعة في هذا الميدان) . مضيفا أن عائلة الشهيد (تثق في تحقيقات كتائب القسام بصورة مطلقة ولا تلتفت إلى تلك الادعاءات) . وقال وزير التخطيط الفلسطيني والمفاوض الكبير نبيل شعث للصحفيين في رام الله بالضفة الغربية إن التحقيق الفلسطيني اظهر بشكل (حاسم) أن قاتلي الشريف جميعهم من حماس غير انه ليس واضحا إن كانت دوافع القتل سياسية أم شخصية. و أضاف إن التحقيقات كشفت عن شخصية القاتل وسلاح الجريمة وبعض شركائه الرئيسيين.

هكذا كانت صيغة الحوار الدائر بين أقطاب من السلطة الوطنية ومن حماس حيث لا ثقة مطلقا واحتقان دائم وهذه نقطة أخرى، إلا أن ما أثبتته الحوادث لاحقا عبر استشهاد عدد من قيادات وكوادر حركة حماس دللت على وجود اختراقات أمنية في جسد الحركة سواء كانت هذه الاختراقات من منتمين لحركة حماس أو من أقرباء لهم (حالة العميل علان بني عودة الذي أعدم إبان الانتفاضة، وأمين خلف الله من خانيونس من نشطاء حركة حماس حتى عام ١٩٩٨)، ودلت الحوادث اللاحقة على إمكانية تقبلنا لرواية السلطة الوطنية حول صراع النفوذ الذي دللّ على وجود عصابات نامية في حركة المقاومة الإسلامية (حماس) والتي أكدت عليها عديد التقارير، وكما ظهرت جلية في التخريب المتعمد للممتلكات إبان الانتفاضة المباركة منذ العام ٢٠٠٠، وفيما أقدمت عليه عصابة من عائلة منتمية لحركة (حماس) يتزعمها المدعو عماد عقل عبر قتلها العميد راجح أبو لحية في غزة والتمثيل به، وفي القتل من حركة حماس على خلفية طلاء جدار، وفي الضرب المبرح للصحفيين الفلسطينيين على يد مرافق الزهار وكوادر من حركة (حماس)، وماكان ما حدث مع محي الدين الشريف عام ١٩٩٨ إلا إشارة تنبيه لم تفهمها (حماس)- نتيجة المكابرة ربما كما أورد الطيب عبد الرحيم- إلا أنها لضربها أو الإساءة إليها في ظل عدم الثقة والاحتقان الذي كان قائما مع السلطة الوطنية آنذاك، ومقدمة لما حدث منذ أواخر العام ٢٠٠٠ فصاعدا .

حالة العميل رفيق حماد

نفذ المدعو رفيق حماد (٣١ عاما) عملية تفجيرية قرب جامعة بارايلان في رمات غان قرب تل أبيب قتل فيها إسرائيلية وأصيب ١٧ بجراح، وكان رفيق حماد قد انتسب لحركة (فتح) في الانتفاضة الأولى، وعام ١٩٨٨ اعتقل وحكم عليه بالسجن سنة ونصف السنة، واشتبه به رفاقه في سجن مجدو يومها فأجرى مسئولو (فتح) في السجن تحقيقا معه اعترف خلاله بأنه عميل إسرائيلي فنقله الإسرائيليون إلى سجن آخر في النقب، وهناك أيضا حقق معه كوادر حركة (فتح) واعترف بعمالته ووعد بالتوبة، وعند إطلاق سراحه انزوى وانطوى على نفسه فترة طويلة ولكنه عاد وتقرب من حركة (حماس) فأرسلوه في عملية استشهادية (انتحارية) (حسب مصدر أمني فلسطيني للشرق الأوسط ١٠/١٧/ ٢٠٠). وقد يقول قائل أن الرجل ربما تاب ونظف نفسه بهذا العمل مما لا يصمد مع أسلوب وطريقة السيطرة البشعة التي يحكمها الإسرائيليون على العملاء (راجع الملحق رقم ٢) ، ونحيلكم لحالة الاغتيال التي تسبب بها العميل المدعو علان لقريبه من حركة (حماس) إبراهيم بني عودة والتي تدلل على عمق الاختراق الإسرائيلي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس).

حالة العميل علان بني عودة :

مثل العميل علان بني عودة المتهم بالتعاون مع جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي «شين بيت» في عملية اغتيال إبراهيم عبد الكريم بني عودة قائد كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة (حماس)، بمتفجرة إسرائيلية بتاريخ (٢٠٠٠/١١/٢٣) في مدينة نابلس، أمام محكمة أمن دولة فلسطينية . ووقع علان في اعتقال جهاز الأمن الوقائي في الضفة الغربية بعد استدراجه للعودة إلى مناطق السلطة الفلسطينية، واعترف بأنه قام بناء على تعليمات المخابرات الإسرائيلية بإعطاء ابن عمه إبراهيم سيارة تم حشو الجزء العلوي من كرسي القيادة فيها بمتفجرات. وقد حكمت محكمة أمن الدولة الفلسطينية على علان بالإعدام شنقا.

وحسب مصدر من حركة (حماس) للشرق الأوسط اللندنية (٢٠٠٠/١٢/١) فان «علان سلم سيارته قبل يومين من وقوع الجريمة، للإسرائيليين الذين زرعوا فيها المتفجرات في مسند رأس السائق». وقال المصدر «ان علان قال للشهيد إبراهيم انه سيسافر لبضعة أيام وانه لا يجد أحدا انسب منه لتأمينه على سيارته. وطلب منه استخدامها في غيابه». وكشف المصدر انه «يوم تنفيذ جريمة الاغتيال في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي ٢٠٠٠،

وتحديدا قبل ٥ دقائق من عملية التفجير سلم علان السيارة لإبراهيم. وفي حوالي الساعة الواحدة وعشر دقائق من بعد الظهر فُجرت السيارة من على بعد».

وقال المصدر انه (خلال هذه السنة وبسبب صلة القرابة بين الشخصين التي تعود إلى زوجة الأب، والزيارات والخدمات التي كان علان يقدمها للشهيد نمت بينهما علاقة شخصية قوية)، وكان سبب توثق العلاقة كما يضيف المصدر (حاجة الشهيد للمساعدة خاصة وانه ليس من المولودين في الضفة الغربية بل جاء إليها بتصريح لم شمل) ؟؟! وتابع القول (وتطورت العلاقات الشخصية بين الرجلين بسبب الخدمات غير العادية التي لا يقدمها شقيق لشقيقه، التي كان يقدمها علان للشهيد إلى درجة ان علان تكفل الإشراف على كل شيء يتعلق بالشقة التي كان يعمرها الشهيد في مدينة نابلس. لكن كل هذه الخدمات ومحاولات التقرب كانت بتكليف من الشين بيت) .

وأضاف مصدر آخر «ان علان لازم الشهيد منذ خروجه –من سجن جنيد– وساعده في قضاء حاجياته وعرض عليه ان يستخدم السيارة بحجة انه سيغادر نابلس ولا يؤمن أحدا على سيارته سوى إبراهيم. وعندما غاب الشهيد عن عينه لبضع ساعات كان يبحث عنه كالمجنون. و أقنعه أخيرا باستخدام السيارة».

وبعد ان اطمأن علان إلى ان إبراهيم سيستخدم السيارة التي سلمه إياها قبل ٥ دقائق من عملية التفجير، اتصل بالإسرائيليين حسب مصدر (حماس) وابلغهم بالأمر. والواضح كما قال المصدر «ان تفعيل المتفجرة التي كانت مخبأة في مسند رأس السائق، من على بعد وعبر طائرة هليكوبتر كانت تحلق في سماء نابلس منذ الساعة السابعة صباحاً وحتى حوالي الساعة الواحدة وعشر دقائق ظهراً وهو وقت تنفيذ عملية تصفية الشهيد إبراهيم». تراجع الوكالات من ١-٢٠/١٢/٢٠٠٠).

حالة العميل سالم الصرصور

كشف التلفزيون الإسرائيلي في (٢١/١٠/١٩٩٨) أن جهاز الأمن الداخلي جند منفذ عملية بئر السبع سالم الصرصور للتغلغل داخل حركة حماس . وكان الهجوم الذي نفذه الصرصور بإلقاء قنبلتين على ركاب كانوا ينتظرون وصول الحافلات عند المحطة قد تسبب في جرح ٦٤ شخصا. وقالت مصادر إسرائيلية أن الصرصور اعترف للمحققين الإسرائيليين بعد اعتقاله بأن حركة (حماس) دربته على استخدام القنابل.

وتأكيدا لأحاديث دارت في الأوساط الإسرائيلية والفلسطينية نقل التلفزيون العبري عن مصادر جهاز المخابرات السرية الإسرائيلية المعروف باسم (شين بيت) قولها أن رجال هذا الجهاز كانوا قد اتصلوا بالصرصور في سبتمبر الماضي قبل أسابيع من العملية بهدف استخدامه في التغلغل داخل (حماس) . وتمكن بالفعل من التغلغل داخل حماس بعد أن قام بهجوم في الخليل في ٢٠ أغسطس الماضي قتل فيه أحد المستوطنين. وهاجم نقطة للجيش الإسرائيلي في ٣٠ سبتمبر وفقا لما ذكره التلفزيون الإسرائيلي الذي قال إن مسؤولي شين بيت عقدوا معه عدة لقاءات قبل هجوم بئر السبع. غير أن قوات الجيش الإسرائيلي تصر على أنها لم تعلم بأن له علاقات مع حماس سوى أثناء التحقيق معه . وكانت الإذاعة الفلسطينية أشارت (١٩٩٨/١٠/٢٠) إلى عمالة الصرصور للاحتلال .

الاختراقات الأمنية واللواء الهندي :

قال اللواء أمين الهندي رئيس جهاز المخابرات العامة الفلسطينية : أن محاولة اغتيال محمد الضيف مسؤول الجناح العسكري لحركة حماس في غزة تؤكد وجود اختراقات أمنية استخبارية إسرائيلية في الدائرة الضيقة للمستهدفين من كوادر الفصائل الفلسطينية وان بعض هذه التنظيمات الفلسطينية لا تتعاون معنا في الكشف عن هذه الاختراقات الخطيرة.

وأضاف اللواء أمين الهندي في حديث لـ«الشرق الأوسط» (٢٠٠٢/٩/٢٨): «من خلال متابعتنا الأمنية لكافة عمليات الاغتيالات التي استهدفت كوادر الفصائل الفلسطينية توصلنا إلى وجود اختراقات في الدائرة الضيقة للمستهدفين، حيث أن حصول المخابرات الإسرائيلية على معلومات دقيقة عن تحركات المستهدفين لا يأتي من عملاء هامشيين (كان بيان "حماس" قد ذكر أن العميل مسؤول الدعوة لدى "حماس" وليد حمدية على علاقة هامشية بالحركة) وخارج إطار الحلقة الضيقة. وتحدثنا مع كل التنظيمات الفلسطينية وطالبناهم باستمرار التعاون معنا من اجل الكشف عن هذه الاختراقات ولكن البعض رفض ذلك». وقال: «لدينا الإمكانات للكشف عن هذه الاختراقات، مما جعل مهمتنا صعبة ولكن ليست مستحيلة».

وردا على السؤال لماذا يجري اعتقال العملاء بعد إكمال عمليات الاغتيال وليس قبلها، قال الهندي: هذه نظرة سطحية للأمور وغير صحيحة. لقد اعتقلنا عملاء عديدين وهم

في طور التخطيط والمتابعة الأمنية لاهداف فلسطينية واحبطنا العديد من محاولات الاغتيال في المهد. ولكن هذه حرب استخبارية نخوضها بكل ما نستطيع والجميع يعرف الفارق الهائل في الإمكانات بيننا وبين أجهزة الأمن الإسرائيلية. فهي تحاول وباستمرار تجنيد العملاء في الشارع الفلسطيني والسلطة وتبحث دائما عن المداخل والسبل لذلك، وتنجح أحيانا وتفشل أحيانا كثيرة ولا تعلن عن فشلها بالتأكيد. المشكلة التي نواجهها في إحباط الاغتيالات هي عدم تعاون بعض الفصائل معنا. ويجب ان يفهموا انه ليس عيبا ان يكون هنالك اختراقات فنحن في حالة صراع مع إسرائيل ونفترض ان تنجح أجهزتها في بعض الحالات، بل العيب أن نتجاهل الاختراقات لان وجودها في بعض التنظيمات الفلسطينية لا يمس بمكانتها ودورها النضالي فحسب بل إن هذا التجاهل يشكل خطأً قاتلا ذا نتائج دموية، ورغم هذا القول الواضح والحريص من اللواء الهندي إلا أن الرنتيسي يصر على الوقوع في الخطأ والمكابرة والتجاهل حين يقول (لقاء مع المركز الفلسطيني للإعلام ٢٠٠٢/١٠/٥) أن لا دلائل على ذلك، لأنه في كل مرة يحصل حادث اغتيال في حركة حماس (نرى أن عميلا منخرطا في الأجهزة الأمنية هو الذي كان وراء الحادث (؟!) وهذا ما أثبتته الوقائع والتحقيقات، فلماذا يقفز هذا –ويقصد اللواء الهندي– ويحاول أن يلفت الأنظار عن الحقيقة المتمثلة في أن أجهزتهم الأمنية مخترقة وليست حركات المقاومة) .

مع السلطة أم ضد السلطة

قد يرى بعض المحللين أن موقف حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من السلطة الفلسطينية يكاد يكون الموقف الوحيد من مجمل مواقف أخرى تجاه قضايا مختلفة هو الموقف الثابت على مناوأته ومعارضته، رغم فترات كال فيها عدد من قيادات حركة (حماس) مثل أحمد ياسين المديح للأخ ياسر عرفات باعتباره رأس السلطة، أو مديح الرنتيسي للرئيس في أحدى فترات حصاره إلى حد كاد فيه يصبح الأخير من مقربي الرئيس عرفات نظرا للكم الهائل من عبارات المديح التي أمطره بها .

لقد رأت حماس أن (الخدمات المعيشية لم تتحسن بل ازدادت سوء نظرا لاضطراب الإدارة في مؤسسات السلطة ونزوعها نحو المركزية القاتلة من قبل عرفات شخصيا، كما أن الديمقراطية في انتخابات المؤسسات التي مارسها شعبنا تحت الاحتلال قد فقدها في ظل السلطة – إبراهيم غوشة، فلسطين المسلمة، تشرين أول ١٩٩٢) وقاطعت حركة حماس الانتخابات التشريعية في الوطن رغم مشاركتها في (حوار القاهرة) الذي عقد في الفترة بين

١٨ – ٢١ /١٢/١٩٩٥ في القاهرة مع السلطة الوطنية الفلسطينية الذي فشل فيه الوفدان بالاتفاق على طبيعة المقاومة، ورفض حماس المشاركة بالانتخابات التشريعية التي جرت في ٢٠ /١/١٩٩٦ وتباينت المواقف من عملية التسوية (يراجع جواد الحمد، دراسة في الفكر السياسي لحركة حماس، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان ١٩٩٧، ص ٢٤٧، ٢٥٣) .

ورفضت حركة (حماس) بشكل متكرر المشاركة في السلطة رغم حضورها لبعض الاجتماعات سواء للسلطة أو (م.ت.ف) لسبب صارخ هو (إن المشاركة في السلطة ستكون على حساب مشروع المقاومة، وستؤثر على مصداقية المعارضة السياسية للاتفاق –كما يقول محمد نزال، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة انتخابات الحكم الذاتي، ص ١٨٤ في كتاب جواد الحمد دراسة في الفكر السياسي لحركة حماس سابق الإشارة إليه) رغم أن هذا القول سرعان ما سقط وتهاوى بإعلان الشيخ أحمد ياسين القبول بالمشاركة في الانتخابات الفلسطينية بشرط دعمها للمقاومة والشفافية، وأكد على عكس اتهامات البعض للسلطة بالعمالة قائلا : (أن سعي "حماس" لتقويض أركان السلطة مهاترات – البيان ٢٦ مايو ٢٠٠٢ – وأكد أنه من المطالبين بالإصلاح عن طريق الانتخابات) ؟؟! ولأن الانتخابات أصلا كما قال موسى أبو مرزوق من قيادات حركة (حماس) مضيفا لما قاله محمد نزال (غير نابعة من الشرعية الفلسطينية، وإنما من الاحتلال الصهيوني، حيث أن السلطة الفلسطينية سلطة تابعة للاحتلال – الرجوع إلى موسى أبو مرزوق، مجلة فلسطين المسلمة، عدد حزيران ١٩٩٤) ولكن هذه السلطة (التابعة للاحتلال) كما أفاد أبومرزوق –لا فض فوه– هي ذات السلطة التي قاومت الاحتلال الإسرائيلي ميدانيا وسياسيا وإعلاميا، حيث استشهد المئات من كوادرها المنتسبين للأجهزة الأمنية، وجرح الآلاف منهم، وهي نفس السلطة التي قاوم رئيسها أكثر من ١٠ حصارات وقصف وتدمير بالدبابات والمدافع والطائرات دون أن يتوقف عن مناشدة الأمة أن تهب بالملايين لإنقاذ القدس، ولا حياة لمن تنادي (عالقدس رايحين شهداء بالملايين) حتى فقد النداء معناه وجفت الحناجر .

قلنا إن الظن كان للبعض من المحللين بأن حماس احتفظت بلغة شبة موحدة كموقف معادٍ أو مناوئ من السلطة باستثناء فترات محددة، وباستثناء الصوت المغاير الذي كان يعبر عنه الشيخ حسن يوسف ممثل حركة حماس في الضفة الغربية الذي ما فتئ يردد وقبل الانتفاضة والصمود لكوادر السلطة والتنظيمات والشعب عامة أننا (نحن في حماس نمد أيدينا في كل لحظة إلى السلطة الفلسطينية وجميع القوى الفاعلة للشروع فورا في حوار فلسطيني – فلسطيني كلغة وحيدة للتفاهم للوصول إلى سلام سياسي اجتماعي بعيدا عن عسكرة

المجتمع – الشيخ حسن يوسف – البيان الإماراتية ١٩٩٩/١/٣) رغم أن من سعى لعسكرة المجتمع لاحقا هو كل من حركتي حماس و (فتح) وليس السلطة الوطنية، ونحن لا نتفق مع هذه الرأي كثيرا .

إن الموقف الرافض للسلطة بشكل مطلق قد تطور في الحقيقة في الخطاب السياسي للحركة و تذبذب وفقا للأحداث والتطورات مما يعطينا إشارة قوية على (براغماتية) الحركة في تيارها الغالب غير المتشدد على الأقل في الوطن، و يعطينا إشارة قوية على إمكانية تغييرها لمواقفها وعدم ثباتها، فرغم رفضها لاتفاق أوسلو وللحكم الذاتي والسلطة ...الخ من المواقف الأيديولوجية المعروفة، تعاملت مع كل ذلك، أو على الأقل تيار ومنبر هام من حركة (حماس)، وسعت في مرحلة من المراحل الأخرى لتدمير السلطة .

إن الذي اعتبر السلطة (تنشئ أحزابا سياسية جديدة ومتعددة في مواجهة حماس ... ليس لها في الأرض جذور مثل كتائب الأقصى وسرايا الجهاد (؟!) – الشيخ أحمد ياسين في البيان ١٠ مايو ١٩٩٨) والذي رأى (أن المجلس التشريعي ليس إلا شرابة خرج وليس له وجود وكيان (؟!) – نفس المقابلة في صحيفة (البيان) الإماراتية) هو نفسه الذي سيفاجأ على الأرض منذ العام ٢٠٠١ بأن كتائب الأقصى وسرايا الجهاد قوة حقيقية يحسب لها ألف حساب، وليس صنيعة السلطة، وهو نفسه الذي سيجلس مع أعضاء المجلس التشريعي في غزة رغم أنهم شرابة خرج كما قال سابقا (؟!) ليخرج بحلول من عديد المآزق التي سببتها عصابات من حركة (حماس)، ومن حركة (فتح) في القطاع ودخولا في الحوار الفلسطيني–الفلسطيني منذ العام ٢٠٠٢ .

إن الذي اعتبر أن حركة المقاومة الإسلامية (حماس) لن تشارك أبدا ومطلقا وبقرار لا رجعة فيه في السلطة أو الوزارة لأن (حماس لن تقاسم السلطة أوزارها) – كما قال نايف الرجوب من حركة حماس لوكالة كونا في ١٤ يونيو ١٩٩٨ مضيفا أن (الحكومة المقبلة لن تختلف كثيرا عن الحالية لأن صاحب القرار الوحيد في الحالتين ياسر عرفات) ومضيفا على لسان د. محمود الزهار (إننا سنقول للسلطة هيا نعلن موت أوسلو وعندها سنشارك في البناء الفلسطيني – البيان ١٥ يونيو ١٩٩٨) هو نفسه أوهم أنفسهم التيار نفسه الذي ما زال يتهم السلطة بالعمالة حتى أثناء الانتفاضة (بيان لحركة حماس صدر في الخليل في شهر ١٠، ٢٠٠٢)

ولكنه التيار المخالف على ما يبدو للخط المتزن الذي يمثله الشيخ أحمد ياسين أو الشيخ حسن يوسف أو الشيخ إسماعيل هنية لأن حركة حماس لا تطرح نفسها بديلا للسلطة

القائمة كما يذكر ياسين إلا أنها لا ترفض المشاركة في الأطر ومنها إطار (م.ت.ف) بشرط إجراء الانتخابات في الداخل والخارج لأننا (نحن دائما كان موقفنا داعما للسلطة بكل إمكانياتنا في مواجهة العدو) ونحن (ضد أي عدوان إسرائيلي وكل ما تمارسه إسرائيل ضد السلطة) كما يذكر أحمد ياسين في (صحيفة البيان ٢٠٠٢/١/٢٤) ليكمل مشيدا إشادة عظيمة بالرئيس عرفات مسقطا كل تناقضات سابقة مع السلطة، سابقة مثل قوله أن (السلطة لا تريد أحدا أن يتنفس إلا من أنفها هي – البيان١٠/٥/١٩٩٨) ، حيث يقول : (نحن نشد على يديه في ثباته في وجه العدو ... ونقول للرئيس عرفات نحن إلى جانبك ومعك في خندق المواجهة والمقاومة .. ولا يمكن أن نقبل أية جهة أخرى تلعب في الساحة الفلسطينية أو تضع قيادات بديلة أو جديدة ... ونحن معك لآخر مدى في مواجهة العدو الصهيوني – البيان ٢٠٠٢/١/٢٤) .

إن ظاهرة تعدد وجهات النظر في التنظيم السياسي عامة وفي حركة (حماس) قد يراها البعض ظاهرة مرضية أو تضر بصورة القيادة محليا وعربيا وعالميا أو قد يراها تمثل خطوطا ذات مضامين انشقاقية، ولكننا لا نراها كذلك قياسا على تجربة حركة المقاومة الفلسطينية عامة التي عاشت وتعايشت في ظل تعددية تنظيمية سلسة أحيانا وصعبة أحيانا داخل وخارج كل تنظيم، ورغم أن التعددية الفكرية السياسية في جسد حركة (حماس) وفي مناخها الحالي يجعلها تشابه نموذج حركة (فتح)، إلا أن التيارات والمنابر والسيوف وفي نظرتها للسلطة وكما رأينا في تعدد وأحيانا تناقض المواقف والتصريحات تدلل على صراع عميق، أو ربما حوار شديد اللهجة خاصة بين تياري المتشددين (تيار الوأد للسلطة) والوسطيين (تيار العقلانية الواقعية).

تشرذم وسيوف وتيارات موضوعية

إذا كان قادة حركة (حماس) يدافعون عن تنظيمهم بأنه متماسك و موحد و بقرار واحد فهم يتعامون عن الحقيقة،أو يتعمدون عدم إظهارها و قد يكون هذا مفهوماً إذا علمنا أنهم لا يرغبون لأي سبب أو قضية الإضرار بالصورة الناصعة البياض للحركة كما يرونها في أذهان من هم خارج فلسطين على الأقل لأن (الشعب الفلسطيني لا يقبل الافتراءات –على حركة حماس– والشعب و معه كل الأمة العربية و الاسلامية يعرفون الحقيقة جيداً و يثقون بحركة حماس و كتائبها المغوارة – د.محمود الزهار – البيان ٧–٤–١٩٩٨ م).

إلا أن للحقيقة رأياً آخر فحركة حماس ليست موحدة و لا متماسكة و بها تيارات، بل و تخضع لمستويات عدة من الارتباط و القيادة و السيطرة (يراجع على سبيل المثال كتاب مهيب النواتي، حركة حماس من الداخل دون الاعتبار للتقارير العبرية هنا)، فالجناح السياسي وكما يقول جميع أعضاء قيادة حركة (حماس) لا يعلمون ماذا يخطط أو يدبر أو ينفذ الجناح العسكري فيها، وقد يقول قائل أن ذلك من باب التكتيك ؟!! ولكن الشيخ ياسين يصر أن لا و ألف لا. حين يؤكد أن الحركة تنتظر مدة لتتأكد من مضامين أي عملية لأن (حماس لا يمكن أن تعلن عن أي عملية إلا بعد توفر الأدلة والبراهين وتأكد صحة النبأ القادم إليها – الشيخ أحمد ياسين في لقاء له بمناسبة الانطلاقة ١٥ لحركة حماس عام ٢٠٠٢) .

وعليه فالافتراق الأول هو الانفصال الحقيقي لقيادة حماس السياسية أو لنقل معظمها عن الجناح العسكري وصلة الوصل بينهم هي الخطابات السياسية والتعاميم والشعارات التي تملأ الجدران وترفض حركة (حماس) التخلي عنها (في شهادة الشهيد صلاح شحادة التاريخية عن العمل العسكري في حركة "حماس" عبر قناة الجزيرة٢٠٠٢/٨/٤ أورد فقط اسم الشيخ أحمد ياسين، دون البارزين فضائيا، في الحركة كمؤسس مع شحادة وآخرين للعمل العسكري)، والافتراق الثاني أن حركة (حماس) شأنها في ذلك شأن التنظيمات الأخرى ومنها الجبهة الشعبية وحركة (فتح) تضم بين عناصرها مجموعة أو مجموعات غير منضبطة أو عصابات اخترقت جسد التنظيم وعملت لأهداف في ظاهرها تصب في مصلحة التنظيم، وفي باطنها تخدم أهدافا خارجية أي خارج أهداف الحركة سواء تلك الشخصية أو التي تخدم فئات وكتلا، أو تخدم الغايات الإسرائيلية !! وكما تبين من التحقيقات مع العميل الشهير من قيادات حركة حماس ومسؤول جهاز الدعوة فيها من الشجاعية في غزة وليد راضي إبراهيم حمدية الذي يقول في اعترافاته (لقد ساهمت شخصيا في الاعتداء بالضرب على قيادي في حركة فتح في غزة وهو أسعد الصفطاوي –وذلك قبل تجنيده من الشاباك الإسرائيلي – الشرق الأوسط ١٢ /٢٠٠٢/١٠)، أو العميل في حركة حماس رفيق حماد أو العملاء – وربما العصابات–الذين ساهموا في مقتل محي الدين الشريف، مما يعني أن في حركة (حماس) تيارات تسعى للصدام أو العمل لمآرب قد لا تتفق والتيار العام، وبعض أعضائها من الأيسر عليهم أن يتحولوا إلى عملاء .

وهذه العصابات التي تفعل فعلها في جسد التنظيمات عامة ومنها حركة (حماس) لا تتورع عن افتعال المشاكل وإشعال فتيل الفتنة واللجوء إلى القتل والاعتداء على قوات الأمن الفلسطيني وعلى مراكز الشرطة وعلى الممتلكات العامة، كما حصل منذ بداية الانتفاضة

باعتداء مجموعات من حركة حماس على عدد من المقاهي المقامة على ساحل غزة ثم ما تلا ذلك من اعتداءات كثيرة على أفراد من عائلات مختلفة أدت الى الوقيعة بين حركـــة (فـــتح) وحركة (حماس) أساسا، ومن خلافات على شعارات حائطية أفضت إلى قتـــل كـــوادر مـــن حركة (فتح)، ومن ثم الاعتداء (الآثم – حسب بيان نقابة الصحفيين الفلسطينيين) من بعـــض كوادر حركة (حماس) المسلحين على الصحفيين الفلسطينيين في غزة، ومنهم (حيـــث قـــام مرافق للدكتور الزهار بإشهار سلاحه الرشاش بعد أن عبأه بالرصاص في وجـــه صـــحفيين وأجبرهم على تسليم أشرطة التصوير التلفزيوني تحت التهديد بالقتل، وهم مـــن التلفزيـــون الفلسطيني ووكالة رويتر وإيسوشيتدبرس ووكالة الأنباء الفرنـــسية – يراجـــع بيـــان نقابـــة الصحفيين في ٢٠٠٢/١١/١) .

وكلها حوادث مثبتة بمعنى أن لا جدال بأن كوادر حركة (حماس) قد قامت بهـــا أو شاركت بها بشكل أو بآخر بنسبة أو أخرى، أو بشكل كامل ومباشر كما هـــو الحـــال فـــي الاعتداء على الصحفيين وبوجود قيادات حركة (حماس) الذي أدى بالنقابة لمقاطعة نشاطات حركة (حماس) لفترة من الوقت وأعلنت ذلك بالطبع عبر بيان رسمي شديد اللهجة.

إن السلوك غير الانضباطي الذي يشي بوجود عدم قدرة قيادية على الضبط أو عدم الرغبة في ذلك، مما يتيح مساحة واسعة لنمو تيارات فوضوية وان تسربلت بالإسلام شـــكلا أو الوطنية أو التقدمية أو الاستشهادية كما هي حال العميل الذي قال لمسئوله فـــي الجنـــاح العسكري لحركة (حماس) سآتيك بطابور من الاستشهاديين أنا آخرهم، ثم ما كان منه إلا أن أرشد عنهم وكوفئ بحمايته من العدو الصهيوني ونقله إلى الخارج، وهذه المساحة الواســـعة لنمو الأعشاب الضارة والعصابات هي مسؤولية الصف القيادي الأول في حركة (حمـــاس) كما هي الحال في حركة (فتح) وفي الجبهة الشعبية وغيرها من تنظيمات المقاومة المـــسلحة التي تمارس دورا قتاليا جهاديا نضاليا على الأرض .

صراع أم حوار شديد اللهجة

إن الصراع القائم قد يضع كوادر حماس في الداخل والخارج وغزة والضفة وفلسطين والأردن على مستويات عدة ضمن هذا التصنيف، ففي حين سعى التيار المتشدد لمحاولة القفز على منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية وتحطيمها منذ العام ١٩٩٧ بشكل أساسي عندما طرح المشروع البديل في دمشق تحت مسمى (الجبهة الوطنية الإسلامية الفلسطينية) باعتباره كما يقول أبو محمد مصطفى

ممثل حركة حماس في إيران لصحيفة البيان الإماراتية في ٢٠٠٠/١/١٣ .. (إن ما يحدث هو بروز لتكتل شرعي واسع الحضور والنفوذ داخل كل الأوساط الفلسطينية وهو محاولة لاسترجاع منظمة التحرير الفلسطينية المسروقة) ولم يوضح من هو الحرامي ؟! مضيفا أنه لصعوبة استعادة الاسم بعد إفراغه من محتواه (؟؟!) فقد تم الاهتداء لهذه التسمية الجديدة التي تتسع للجميع ؟؟! .

ورغم الفشل الذريع الذي منيت به هذه الجبهة التي لم تتسع لأحد لا في الخارج ولا في الوطن حتى أن الشيخ ياسين نفسه رفض أي قيادة بديلة، ونأت حركة (حماس) عنها وبقيت على اتصالها بالمنظمة (المسروقة) كما تفذلك أبو محمد مصطفى، فان تيار الوأد للسلطة بقى قائما في عقول المتشددين يعلو فترة ويخبو فترة أخرى، لكنه في عقل أمثالهم في الوطن كالدكتور عبد العزيز الرنتيسي رغم كثير من تصريحاته النارية والصاخبة والمتشددة، إلا أنه في خضم اشتداد الأزمة لم يتمالك إلا أن يغير من كثير من تصريحاته ومواقفه وإن مؤقتا أو في هبة وصحوة نخوة، ويعود ليظهر بمظهر المسلم الفلسطيني والوطني الأصيل حين يجدد التأييد للقيادة الفلسطينية –التي هو ليس منها– أي قيادة المنظمة (المسروقة) والسلطة الوطنية (العميلة)حينما يقول : (إن كافة القوى الوطنية والإسلامية متمسكة بقيادة الرئيس المجاهد ياسر عرفات، وترفض أي محاولة أمريكية لعزله، وقال نحن معه قلبا وقالبا لأنه رفض ضغوط إدارة بوش الهادفة لإشعال الحرب الأهلية الفلسطينية – البيان ٢٠٠٢/٤/١٢) رافضا بذلك منهج متشددي الخارج الذين طالب من طالب منهم بإسقاط السلطة الوطنية أو إقالة الرئيس عرفات أو اتهام السلطة بالعمالة ... وفي كل ذلك قدرة على التغيير أو التلاؤم مع المستجدات حتى في جسد التيار المتشدد في الوطن .

وليتقابل ذلك مع الرأي الوسطي الذي ينتهجه خالد مشعل في الخارج حين يرى أن الجبهة الوطنية الإسلامية الفلسطينية التي نشأت في دمشق عام ١٩٩٧ أو (تحالف القوى الفلسطينية) أصبح مشلولا أو ميتا كما نقول لأن (الانتفاضة العملاقة أحدثت تغيرات مهمة، التغير الأول أنها غيرت من الهياكل والأطر التي كانت تتحرك بها الفصائل ... وأصبح هناك إطار جديد اسمه اليوم القوى الوطنية والإسلامية المشاركة في الانتفاضة والمقاومة الذي التقى على قاعدة المقاومة مع اختلاف الرؤى السياسية) . مضيفا العمق الجماهيري الذي يتجاوز التنظيمات في نظرة شمولية متبصرة ليقول (عكس ما ردده الشيخ ياسين أن حماس هي كل شئ)، (إننا نتحدث عن حركة شعب، حالة عامة، وهذا

ما يسعدنا نحن بالذات في حركة حماس، أن تتحول المقاومة إلى حالة شعبية وليست إلى حالة فصائلية – خالد مشعل في البيان ١٠ /٢٠٠١/٩) وتعليقا على هذا الحديث المتبصر فإنه قد جاء قبل استفحال الصراع الحزبي الحاد على بيانات العمليات العسكرية خاصة بين حركة (حماس) وحركة الجهاد الإسلامي الذين حولوا الانتفاضة إلى عكس ما طرحه خالد مشعل تماما (عملية أو معركة وادي النصارى في الخليل في ٢٠٠٢/١١/١٥، وعملية القدس أي عملية كريات مناحيم جنوب القدس في ٢٠٠٢/١١/٢١ اللاحقة عليها) .

إن الصراع بالسيوف والمنابر في جسد حركة المقاومة الإسلامية حماس غير خفي بل وواضح للعيان وظاهر في التصريحات والأداء والافتراق بين السياسي والعسكري وتعدد الآراء – بعيدا عن التقارير الغربية أو العبرية – ما يجعل من حركة (حماس) إطارا فلسطينيا فضفاضا مرنا براغماتيا يمثل قطاعا محدودا من الجماهير التي سرعان ما سترسم علاقاتها مع أي تنظيم ليس وفق الشعارات والتصريحات ومراكز القوى، وإنما وفق أهداف هذه الجماهير الثائرة المجاهدة ووفق متطلباتها واحتياجاتها وتطلعاتها الحياتية.

حرب العصابات ضد القانون

عندما قام المدعو عماد عقل وعدد من أفراد أسرته والمنتمين جميعا لحركة (حماس) بقتل العميد راجح أبو لحية في غزة، تم فعل ذلك بطريقة استعراضية هوليودية، حيث قطعوا عليه الطريق وأوقفوه ثم قتلوه بطريقة لا تمت للإسلام أو الوطنية بصلة، ليذهب بعدها (الأشوس) وعصابته إلى المخيم ويتبجح أنه أخذ ثأره نهارا جهارا، ويتهدد ويتوعد وكأنه حرر قبة الصخرة المشرفة من دنس الأعداء ؟!

لم يكن هذا العمل متفردا فقد سبقه عدد من الأعمال الشبيهة التي قامت بها عصابات منتمية أو مقربة من تنظيمات فلسطينية أخرى وكلها مارست (بلطجة) الشارع وفرضت قرارها دون محاكم أو قوانين على الناس، وقامت بإعدام العشرات في كل من الضفة وقطاع غزة بدعوى العمالة للعدو أو الأخذ بالثأر، وكان للسلطة الوطنية وللقوى الوطنية والإسلامية دور سلبي أو غير فعال في ردع أو مقاومة أو منع هذه الظاهرة لتتكرس في جسد التنظيمات السياسية و منها كل من حركة (حماس) وحركة (فتح)، وكنا قد أفردنا

دراسة خاصة منشورة عن العصابات في حركة (فتح)، وها نحن نتعرض لمثيلاتها في حركة (حماس) .

وعودة للعصابات فلقد عانت الانتفاضة الأولى (١٩٨٧ – ١٩٩٤ م) من حالات انفلات أمني، وتيه وطني لسبب انتشار العصابات، خاصة في المراحل الأخيرة منها ومع قدوم السلطة الوطنية، وكانت هذه العصابات أو الجماعات طاغية بدعم إسرائيلي صريح حيث وجهت القوى الفاعلة في الشارع أي الشباب إلى سرقة السيارات والمخدرات والتهريب والعمالة المباشرة بعد أن استطاعت قوى الأمن الداخلي الإسرائيلية (الشاباك) أن تتغلغل في صفوف القوى الوطنية والإسلامية، وتضع عددا من المتفجرات الموقوتة فيها، وهذا ما عادت إليه في ظل انتفاضة الأقصى والقدس والاستقلال الحالية حيث ركزت (الشاباك) على الأعمار الصغيرة وجندتها (يراجع الملحق رقم ٢) لصالح الأمن الإسرائيلي بطرق عدة . كما استطاعت النفاذ لجسد المجتمع الفلسطيني وأثارت فيه قضية العائلات والثارات والعشائر فكانت سببا لبعض التمزق في التنظيمات، ولنمو العملاء والعصابات في حركة (حماس) التي اعتمدت الجماهيرية والانفتاح في الاستقطاب مما اضر بعامل السرية والانتقاء، والفحص الأمين والمتوجب لانضمام أي عضو للتنظيم .

ولا نخفي سرا حين القول أن العصابات التي حكمت الشوارع سابقا – بغض النظر عن الارتباط الخارجي– قد وجدت له متنفسا من خلال سقوط هيبة السلطة الوطنية عبر الضربات الإسرائيلية المتلاحقة الموجعة لمقارها وقواتها وأعضائها وخططها، ومن خلال انتشار شكل من أشكال الفوضى التي أتاحت لهذه العصابات القديمة أن تُنشئ تشكيلات جديدة، و تنشأ عصابات جديدة اجتهدت أن تسير على نمط القديم فتتحكم بعدة قطاعات في الشارع الفلسطيني، لا سيما وأن الخط مازال مفتوحا لهؤلاء مع الإسرائيليين خاصة على الصعيد التجاري ومع المستوطنات، وعبر الخط الأخضر .

لقد نمت العصابات أيضا في جسد الأجهزة (التشكيلات) العسكرية للتنظيمات التي تحتفظ بالحد الأدنى من الارتباط مع الإطار السياسي لها (نحن نشتغل من رأسنا–كما صرح أحد كوادر القسام على قناة الجزيرة يناير ٢٠٠٣)، وربما اضطرت تحت ضغط المنافسة والثأر والانتقام – دون أهداف سياسية مرحلية واضحة لديها– اضطرت لارتكاب أثام السرقة وفرض الإتاوات كوسيلة لتحقيق هدف نبيل وهو القيام بعملية تفجيرية (استشهادية) ضد العدو الصهيوني، والذي بالطبع ولأكثر من مرة استغل مثل هذه الحاجة بإيصال مفرقعات وأسلحة فاسدة وإلى الأنوية الصلبة في التنظيمات العسكرية، فحصلت عديد العمليات الفاشلة،

وعمليات الاغتيال والقتل المتعددة لكوادر هذه التشكيلات العسكرية وعلى رأسها حركة (حماس)، والجهاد الإسلامي وحركة (فتح) .

فتاوى وخطايا

لقد صاحب ارتكاب الآثام فتاوى تجيز السرقة وأخرى تجيز فرض الأتاوات، واستغلال الحاجات الاقتصادية للناس، واستغلال البؤس والإحباط في تحطيم الأفراد من جهة، وإعادة انتشالهم عبر توجيههم للمنقذ الوحيد من هذه الحالة اليائسة البائسة المدمرة، وهي أن يقوموا بعملية (تفجيرية) استشهادية ترفعهم إلى عليّين، وما حالات استقطاب التلاميذ الأطفال وتوجيههم للانتحار إلا مثلا حيًا حيث قتل أكثر من ١٧ طفلا (آخرهم الطفلان محمد وأحمد الحنجوري اللذان استشهدا في ٢٠٠٣/١/١٢ قرب مستوطنة نتساريم جنوب غزة) بعد أن تشبعا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتفسيرات المضللة التي تحث على الجهاد دون وعي وإدراك حقيقي للأسباب والمسببات والشروط وخلافه، والتي كان للعديد من قيادات حركة (حماس) دور فيها استدعى من الحركة إنزال بيان يرفض ذلك، و دعا عبدالعزيز الرنتيسي في تصريح ضعيف وغير مقنع وتبريري للحياة الجديدة (٢٠٠٣/١/١٦) للقول (أن قوات الاحتلال تعمل جاهدة على تشويه صورة المقاومة بزعمها أن الفصائل الفلسطينية ترسل الأطفال – للقيام بعمليات استشهادية – مؤكدا عدم وجود أي دليل على قيام أي فصيل فلسطيني بإرسال أطفال لتنفيذ عمليات استشهادية ...ودعا الرنتيسي أطفالنا للتوقف عن اقتحام المستوطنات)؟؟! ورغم أن المصادر الأخرى التي أكدت لنا ضلوع كوادر من حركة (حماس) بذلك بشكل لا شك فيه ولا مراء، إلا أن الرفض الرسمي من حركة (حماس) يعطي مؤشرا تعبويا إيجابيا، ولكنه لا يعفيهم من المسؤولية المباشرة، ولا يلغي أنه تمت تهيئة المناخ على الأقل لمثل هؤلاء الأطفال ليقوموا بمثل ما قاموا به . وفي ظل استغلال الفوضى الناجمة عن تعدد السيوف والمنابر والأهداف وتدمير العدو لأجهزة السلطة الأمنية انتعشت العصابات المتغلغلة في التنظيمات للعمل بحرية تتجاوز الخطيئة وترفع عتب العقاب، وكما حصل في مثال قتلة راجح أبو لحية أو قتلة منسق عام التلفزيون هشام مكي أو غيرهم .

القيادات ألعوبة

لقد تكاثرت الأموال والأسلحة والفتاوى بين أيدي عدد من الأعضاء الجدد والأعضاء الأغرار سواء من الداخل أو الخارج، وارتبط ذلك بإحساسها بالقوة والسطوة والسيطرة من جهة، ومن أنها تخدم هدفا ساميا عظيما يبذل في سبيلة المهج والأرواح من جهة أخرى، فتنقلت الأسلحة والمتفجرات والأموال والكوادر أيضا لخدمة هذا الهدف السامي بين التنظيمات المختلفة وخاصة بين كل من حركات (فتح) و(الجهاد)، و(وحماس) لتنفذ خططها الميدانية بغض النظر عن البعد السياسي ومتطلبات المرحلة والرؤية بحيث تحول القادة السياسيون إلى ألعوبة بأيدي الأجهزة العسكرية، أو ممولين لفترة معينة، أو ناطقين رسميين لهم يعتلون منصات إطلاق الصواريخ الكلامية عبر شاشات الفضائيات الساحرة، وتركت الأرض للأجهزة العسكرية التي نخر جسمها مجموعات من المندسين والعصابات سواء تلك الأيديولوجية أو ذات الأفكار المتشددة الهوجاء ... طبعا في الوقت الذي لا ننكر فيه أن الكتلة الأعظم من التشكيلات العسكرية المتناثرة لامركزيا بعيدة عن كل ذلك، ولكن السلبيات دوما تظهر بسهولة ويحس بها الناس قبل أن تفصح عنها الواجهات الإعلامية للتنظيمات السياسية .

لم يكن موقف حماس إيجابيا في قضايا عدة سنطرق ثلاثا منها كنموذج لها علاقة بالعصابات وهي قضية قتل العميد راجح أبو لحية، وقضية القتل على خلفية كتابة الشعارات على الجدران، وقضية ضرب كوادر من حركة (حماس) المسلحين وبوجود قيادات (حماس) للصحفيين الفلسطينيين والأجانب في غزة .

تحريض على الفوضى والاقتتال

رشق عدد من شبان مخيم الشاطئ في قطاع غزة مركز الشرطة في المخيم بالحجارة وحاولوا إثارة أعمال مخلة بالنظام العام تعبيرا عن احتجاجهم عل محاولة اعتقال خليل أبو جياب الكادر في حركة (حماس) (البيان ٢٠٠١/١٢/١١) إلا أن الفعاليات الوطنية والإسلامية نجحت في تطويق أعمال الشغب، ونفت حركة (حماس) أن يكون لها أي علاقة بمثيري الشغب داعية السلطة إلى الإفراج عن المعتقلين السياسيين ودعا سعيد صيام ممثل (حماس) في لجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية في قطاع غزة المواطنين إلى الابتعاد عن التعبير السلبي عن احتجاجاتهم محذرا من الانجرار وراء محاولات الاحتلال ومعاونيه النيل من الوحدة الوطنية (الوكالات ٢٠٠١/١٢/١١)

وكان عدد كبير من أنصار حركة (حماس) قبل أن تنخرط عبر كتائب القسام بنشاطات الانتفاضة قد قاموا بإحراق عدد من المقاهي على شاطئ غزة، وهو الحادث الأول في ظل الانتفاضة (الوكالات ٢٠٠٠/١٠/١٥) والذي قالت حركة (حماس) أن لا صلة لها بهذه الأعمال (لا علاقة للحركة لا من قريب ولا من بعيد بتلك الأعمال ... رغم استنكار الحركة لوجود أماكن الفساد وتخريب الجيل على الأرض الفلسطينية) ؟؟! بحسب تصريح مسؤول في حماس . وهي بذلك لم تدن أعمال التخريب كما لم تدن لاحقا أعمالا مشابهة منها قتل أبو لحية بل شجعت حركة (حماس) للأسف على الأفعال التخريبية حينما اعتبرت بصلف أن المقاهي التي ينتشر مثلها في طول البلاد الإسلامية وعرضها أماكن فساد ؟؟! . ولأن التوقف عند حدود النفي دون رفض الفعل أو إدانته بوضوح تشجيع عليه.

مقتل العميد راجح أبو لحية

في ٧/ ١٠ /٢٠٠٢ قامت عصابة من المنتمين لحركة (حماس) يتزعمها المدعو عماد عقل باختطاف العميد راجح أبو لحية مع اثنين من مرافقيه في حي النصر بمدينة غزة، واتجهوا به إلى شارع الجلاء حيث قاموا بإطلاق النار عليه وقتله ثم أحرقوا سيارته ؟؟! وطالبت الشرطة الفلسطينية حركة (حماس) بتسليم الفاعلين الذين ينتمون جميعا لحركة (حماس)، إلا أن الأحداث اللاحقة أدت لمقتل ٧ أشخاص وجرح العشرات، وفي رده على مقتل أبو لحية قال الرنتيسي (الشرق الأوسط ٢٠٠٢/١٠/٨) (في الحقيقة أن ملابسات الحادث بدأت عندما قتل راجح أبو لحية على يد شباب أعلنوا أنهم من عائلة عقل وأنهم أخذوا بثأرهم لمقتل يوسف عقل قبل عام كامل، وتتهم العائلة أبو لحية بمقتل ابنها يوسف أثناء مظاهرة في ٢٠٠١/١٠/٨) تضامنا مع أفغانستان وضد الحرب الأمريكية عليها على حد قول الرنتيسي وأضاف الرنتيسي أن اتهامات الشرطة ليست في محلها لأنه لا علاقة لحماس .. وفي إفادة الرنتيسي وتفصيله والبيان اللاحق تبرير صريح بل وتعبير عن فرح لمقتل أبو لحية وتشجيع لعمليات الثأر، دون أية إدانة أو رفض لمثل هذه الأعمال، ولأنه (حينما نؤكد أننا لسنا طرفا في الحادث فنحن لسنا مطالبين بإدانة هذا الفعل أو ذاك- إسماعيل هنية، ٢٠٠٢/١٠/٢٠ موقع حركة (حماس))، والتي تلاها قيام العديد من نشطاء حركة (حماس) برشق الشرطة الفلسطينية بالحجارة والزجاجات الفارغة والقطع الحديدية، في مدينة غزة وفي النصيرات .

ورغم أن ما جرى اعتبرته حماس تطورا لعملية ثأر عائلي، وأكدت على عدم وجود بُعد سياسي له، فان مسؤولياتها تبقى كبيرة، إذ كان من الأفضل أن تبادر إلى تطويق " مشكلة الثأر العائلي " من منطلق أنه لا يجوز في ظرف فلسطيني حساس كهذا تشجيع منهج الثأر، وكان من واجبها أن تبادر إلى إقناع عناصرها الذين يفكرون بعقلية الثأر بالتخلي عن هذا التفكير، حتى لا تتطور الأمور إلى المواجهات المسلحة مع الشرطة الفلسطينية – من افتتاحية صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، تحت عنوان الفلسطينيون والوحدة الفلسطينية ٢٠٠٢/١٠/٩) .

لقد أكد بيان حركة (حماس) الذي ختم (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) في ٢٠٠٢/١٠/٩ على خمس نقاط تدعو للتهدئة وضد الاغتيالات ومع الحوار ومع سيادة القانون واللقاء مع حركة (فتح) دون أي إشارة أو تلميح لا من قريب

ولا من بعيد لإدانة عملية الاغتيال التي تمت، ولاحقا دون أن تقوم بتسليم القتلة من حركة (حماس) إطلاقا، إلى أن أعلنت الحركة والرنتيسي (الوكالات ٢٠٠٢/١٠/١٨) تلميحا بأن الحركة لن تتدخل حال اعتقال عماد عقل أحد كوادر كتائب عز الدين القســـام وقتلة أبو لحية الآخرين، يقول عضو قيادة حركة (حماس) محمد نزال : أنهم لا يعيقون عملية الاعتقال، وإن بإمكان السلطة أن تذهب لاعتقاله –يقصد القاتل عماد عقل– لأن حماس ليست الجهة التي تطبق القانون في الحوادث الجنائية (من حوار للقدس برس مع محمد نزال ٢٠٠٢/١٠/١٦) .

إلا أن (بعض قادة "حماس" هم الذين زجوا حركتهم في هذه المشكلة وقادوا المسيرات التي ألقيت خلالها العبوات والقنابل على أفراد الشرطة، وحرضوا المتظاهرين على حرق ما تبقى من مقراتها وسياراتها جراء القصف الإسرائيلي، ووضعوا الملصقات داخل المساجد لتبرير عملية القتل ومنحوا غطاء للقتلة وزرعوا شوارع مخيم النصيرات بالعبوات الكبيرة لمنع قوات الأمن الوطني من القيام بواجبها الوطني بإلقاء القبض على القتلة وتقديمهم للمحاكمة، ووزعوا البيانات وأصدروا الفتاوى الشرعية بجواز أخذ الثأر وهذا مخالف لشرع الله ... لقاء مع العقيد رشيد أبو شباك مدير الأمن الوقائي في قطاع غزة مع الحياة الجديدة ٢٠٠٢/١٠/٢٢) .

شهداء الحوائط البيضاء

شيعت جماهير غفيرة جثماني المغدورين الملازم أول عصام غبن من حركة (فتح) ونجله علام اللذين قتلا ليلة عيد الفطر بحي الشيخ رضوان بغزة، إثر خلاف نشب بين عناصر حركتي فتح وحماس على خلفية كتابة الشعارات على الجدران (الوكالات ٢٠٠٢/١٢/٩)

وفيما واصلت النيابة العامة في غزة التحقيقات أكدت حركة (فتح) وجود أسماء لديها للمشبوهين واستعدادها التام للتعاون في القضية لإظهار الحقيقة وتعريض المشتبهين من فتح للتحقيق، كما وأكدت حركة حماس على وجود أسماء لديها أيضا، وفيما أكدت حركة (فتح) على لسان زكريا الأغا و على لسان أحمد حلس على أن المتسببين بالقتل أخوة من حركة (حماس) (الحياة الجديدة ٢٠٠٢/١٢/٩) قدمت حركة (حماس) أسماء أخرى وكأن إطلاق النار كان من جانب أفراد من حركة (فتح) وكان أحمد حلس قد انتقد عدم تعاون

حركة (حماس) حين أورد أنه (إذا كانت حماس واثقة من صحة روايتها يجب عليها أن تتعاون بنفس الدرجة مع النيابة العامة) .

وفي بيان حركة (حماس) الذي أكد الحرص على حل الخلافات بالحوار الهادئ المسؤول للوصول للحقيقة وتطويق كل قضايا سوء الفهم (لا ذكر لدور القضاء) استنكرت حركة (حماس) القتل هنا وطالبت بكشف الحقيقة، فيما أورد رئيس لجنة الرقابة وحقوق الإنسان في المجلس التشريعي د . كمال الشرافي أنه (تمت دعوة حركتي فتح وحماس إلى التعاون مع النيابة العامة، وقيام كل منهما بتسليم المشتبه به في القضية للنيابة حتى يأخذ التحقيق مجراه) وأوضح الشرافي (أن هناك وعودا من قبل حركة (فتح) – صدر بيان في ذلك – بتسليم المشتبه بهم الذين وردت أسماؤهم في القضية، فيما ستتم مواصلة اللقاءات مع حركة (حماس) من أجل ضمان تعاونها مع النيابة العامة في القضية ؟!)، وهذا التلكؤ والإحجام وعدم التعاون في هذه القضية وقضايا متفاوتة أخرى من حركة (حماس) أدى لتوسيع الشرخ وانتشار الإشاعات وتعبئة الشارع بمناخ سلبي فوضوي و الذي انعكس بشكل غريب على رفض (حماس) لتوقيع بيان الامتناع عن الكتابة على الحوائط وأداً لأي فتنة، بغض النظر عن حقيقة من قام بالقتل المتروك أمره قانونيا للنيابة العامة .

إن الحيرة والتلكؤ والتشكك والتهرب من المسؤولية المباشرة، وأحيانا الإصرار على الرفض والامتناع عن التعاون مع السلطة الوطنية ليدللان دوما على النظرة غير الثابتة والمائعة والقلقة لحركة (حماس) من السلطة الوطنية من جهة، ويدلان على مناخ الريبة الذي أصبح سائدا بين جماهير حركة (حماس) والسلطة الوطنية، حتى إذا ما تقدمت كوادر من (حماس) قليلا باتجاه السلطة لا تلبث أن تعود للنكوص – مع العلم أن مثل هذا التيار موجود في حركة (فتح) وفي السلطة الوطنية أيضا تجاه حماس –، ويذكرني هذا الأمر بموقف إمام أحد الجوامع التي أصلي فيها والذي قام بالتوجه للرئيس ياسر عرفات كوالد وقائد ورئيس طالبا منه أن يرص الصفوف ويدعم المقاومة والوحدة الوطنية، والذي لموقفه الوطني (المعارض) هذا جوبه من أحد المصلين المتشددين من ذات الحركة بسيف الاتهام و بالإدانة علنا أمام المصلين وفي خطبة الجمعة مما دعا الإمام نفسه في الخطبة اللاحقة أن يبرر مخاطبته للرئيس وكأنها جريمة أو خطيئة، بمخاطبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) لكسرى الفرس وقيصر الروم ودعوتهم للإسلام ؟؟!... إن المناخ على الأرض وبين كوادر حركة (حماس) وجمهورها ملوث ومعبأ إلى درجة أصبح اتخاذ الموقف المناسب والواضح والضروري صعبا جدا .

إذا أكملنا التحليل الذي يرجع معظم حوادث الفتنة إلى وجود أفراد وعصابات وسيوف وتيارات تقاتل ضد الوحدة الوطنية، وضد الشعب فان مثل هذه العصابات نبتت في مناخ الريبة والشك كما ذكرنا، أو أنها خضعت للعُجب والاستكبار والتموضع في خانة الحق المطلق، أو لأنها تعمل كأياد لجهات خارجية سواء صهيونية، أو خارج الوطن من دول لها مخططات وأولويات ليس لها علاقة بالواقع الفلسطيني .

حيث أن الخطاب الديني والإعلامي البارز اليوم، على اختلاف فئاته، الحماسي منه والسياسي، وذلك المداهن، يؤدي إلى حصيلة واحدة : اضطراب في فكر المتلقي يصل بالإنسان إلى أن يحوم حول حمى الغلو والتطرف، وبالمجتمع نحو الفوضى والاضطراب، خطاب ابرز سماته جهل بحقائق الدين، بضاعته من العلم قليلة، حرم كثير من أهله الفقه، السواد منهم من الوعاظ النزقين والتواقين للظهور الإعلامي، وتحقيق مصالح ذاتية، ألبسهم بعضهم لباسا شرعيا – د. عبد الله محمد الرفاعي – صحيفة الشرق الأوسط ٢٠٠٢/٥/١١).

اعتداء كوادر (حماس) على الصحفيين

عبّر مجلس نقابة الصحفيين الفلسطينيين في بيان صدر بتاريخ (٢٠٠٢/١١/٤) عن استغرابه من قيام مسؤولين في حركة (حماس) بتقديم اعتذارات شخصية وذلك عبر اتصالات هاتفية تبريريه في محاولة واضحة للتهرب من مسؤولية تقديم اعتذار رسمي وعلني للصحفيين ونقابتهم التي تمثلهم شرعيا عبر انتخابات ديمقراطية نزيهة . وقال البيان أن إصرار حركة (حماس) على تجاوز القنوات الشرعية والأصول المعمول بها غير مفهوم –ونحن نقول بل مفهوم لأن من يسيطرون على النقابة ليسوا من حركة (حماس) وحركة (حماس) ذات طابع تشكيكي بالآخرين كما يبدو – مضيفا البيان القول أنه : في هذه القضية في الوقت الذي يواصل فيه هؤلاء المسؤولون عدم الاعتراف بمسؤولياتهم الرسمية عن حادث الاعتداء الآثم أمام وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية وهو ما يضع علامة استفهام كبيرة على هذا السلوك .

وفي نفس الموضوع قال مجلس النقابة في بيان آخر أنه قرر في اجتماعه الطارئ المنعقد في ٢٠٠٢/١١/٣ والذي خصص لمناقشة تداعيات أزمة الاعتداء على الصحفيين في حي الصبرة بغزة تكليف المجلس التأديبي بالنقابة التحقيق في ملابسات صدور بيان بتاريخ ٢٠٠٢/١١/١ باسم كتلة الصحفي الفلسطيني – كتلة حركة حماس في نقابة الصحفيين – لما تضمنه من إساءة وتشهير بالنقابة وأعضاء مجلس النقابة لاتخاذ الإجراءات اللازمة استنادا

للنظام الداخلي، كما قرر المجلس نزع شرعية كتلة الصحفي الفلسطيني استنادا لما تضمنه بيانها من إساءة للنقابة والتشهير بها، وكذلك ترويج أخبار ملفقة وتشهيرية في المواقع الإعلامية التي يعملون بها على الإنترنت – المقصود مواقع حركة (حماس) بالطبع وغيرها – وتأكيد بعض المنتمين للكتلة أن النقابة لا تمثلهم، كما عبر المجلس عن أمله في أن تأخذ العقلانية والحكمة مجراها في التعامل مع هذه القضية والتوقف عن أعمال التشهير والدعوات التحريضية من قبل الأخوة في حركة (حماس) معتبرا ان هذا السلوك لن يعفيهم أو يبرئ ساحتهم من المسؤولية من وقوع هذه الأزمة وتحمل نتائجها .

ومع كل هذه المواقف القانونية النظامية لإطار نقابي معروف ويحظى بالنزاهة التامة والشفافية كنقابة الصحفيين الفلسطينيين، والذي أحببنا الاطلاع على فحوى بياناته والتي منها ما حدد سابقا الحدث المقصود بمهاجمة مجموعة كبيرة من حركة (حماس) كل الصحفيين الذين تواجدوا في المنطقة بالرغم من وجود عدد من قياديي (حماس) في مكان الحادث وقيام مرافق د. محمود الزهار بالاعتداء على الصحفيين، إلا انه وكما هو معهود نأت حركة (حماس) بنفسها عن الأحداث، وكان مما جاء في بيانها في (١/١١/٢٠٠٢) أنه أثناء تغطية بعض الصحفيين للحادث المؤلم الذي وقع مساء أمس الأول الخميس وراح ضحيته ثلاثة شهداء من كتائب عز الدين القسام– لم يشر البيان للعبث الحاصل بالمتفجرات منهم وفي وسط حي سكني مكتظ بالناس أدى للكارثة – وعدد من الجرحى في حي الزيتون بمدينة غزة، تعرض عدد من الصحفيين ومعداتهم للاعتداء – وأيضا لم يشر البيان بأن المعتدين كما يعلم الجميع من حركة (حماس) مطلقا – من قبل بعض الأشخاص الذين تواجدوا في المكان – ولم يشر البيان أيضا لوجود جموع مسلحة من حماس كانت تمنع الناس من دخول المكان، وتشيع أن الحادث بسبب صاروخ أباتشي للتغطية على الكارثة – ويضيف البيان (ان حركة المقاومة الإسلامية حماس إذ تستنكر هذا الاعتداء المؤسف على بعض الأخوة الصحفيين لتؤكد على تقديرها العالي للصحافة والصحفيين الفلسطينيين الذين قاموا وما زالوا بجهد وطني عظيم – اعتذار دون تحمل أدنى مسؤولية – لتهيب بالجمهور الفلسطيني (؟!) إعطاء الفرصة لهذه الشريحة الفلسطينية الوطنية من أجل القيام بواجبها الهام ودورها في نقل معاناة الشعب الفلسطيني للعالم .... متمنين لكل الأخوة الصحفيين دوام النجاح والتوفيق (؟!)

لقد دعت نقابة الصحفيين الفلسطينيين حركة (حماس) لتحمل المسؤولية، ولم تفعل (حماس) ذلك على عادتها مع الحوادث المشابهة، ودعت النقابة لمقاطعة نشاطات (حماس)

وعدم تغطيتها إلا أنها عادت للتعامل معها حرصا على المصلحة الوطنية، وطالبت النقابة السلطة الوطنية الفلسطينية بتطبيق القانون، رغم أن الشرطة التي تواجدت بالمكان أحجمت عن التدخل كيلا يحدث تصادم مع مسلحي حركة (حماس) الذين لا يتحرك قادة الحركة دونهم في قطاع غزة ؟؟! في الموقع، وطالبت النقابة بإدانة هذا السلوك الإجرامي وهذا ما حصل فقط من حركة (حماس) أي الإدانة دون تحمل المسؤولية .

هل نجد في مواقف حركة (حماس) المتشككة بالآخرين، والمتهربة من المسؤولية، والراغبة في الإبقاء على نصاعة الحركة ورد أي تهمة عنها مهما كلف الثمن، هل نجد لها تفسيرا في سياسة الحركة أم نراها مرتبطة بالمطلق والأحقية والصواب أم نرجعها للمناخ العام الذي تبثه التعبئة الأيديولوجية أم نرجعه لضغوط العصابات (المتعصبة) والمتشددة والمغالية، أم نرجعه لصراع التيارات العسكرية ذات السيوف المسلولة أو القيادات السياسية والإعلامية ذات المنابر ؟؟! وفي جميع الأحوال فان (الدفع) الذي تقوم به حركة حماس عن حماها ميدانيا هو نفسه سياسيا ما دعاها لعدم التوقيع على اتفاق حوارات غزة بعد الموافقة عليه (زياد أبو عمرو – الشرق الأوسط ٢٠٠٢/٨/١٣)، كي لا يفهم ذلك انتصارا لفريق ياسر عرفات أو ضده كما صرح خالد مشعل السياسي المرن رئيس المكتب السياسي لحركة (حماس) (البيان الإماراتية ٢٠٠٢/٨/١٤)، وما دعاها لتوقيع البيان الختامي مع حركة (فتح) في القاهرة دون اتفاق حقيقي أو جدول عمل أو وحدة وطنية حيث كانت نقاط البيان الأربع (حسب البيان الإماراتية ٢٠٠٢/١١/١٣) تؤكد على استمرار الحوار وتشكيل لجنة مشتركة والعمل على تكريس الوحدة الوطنية والتأكيد على أن المقاومة حق مشروع (؟!) وكفى الله المؤمنين شر القتال، فلا برنامج ولا استراتيجية مشتركة ولا مرجعية واضحة ولا اتفاق حقيقيا ولا خلافه .

وتأتي مثل هذه المواقف في محاولة شرسة لتكريس مفهوم المصداقية المطلقة للتنظيم في حزبية مفرطة، وبالتالي إضفاء نوع من القداسة التي يرددها دوما أهل التشدد حملة سيوف المنابر أمثال الرنتيسي والزهار، والساكت بعد العفو الملكي عنه إبراهيم غوشة، وأسامة حمدان بمكابرة وعناد تذود كما يظنون عن حمى (حماس) أي محاولة لتخطيئها أو نقدها وكأنها منزهة والله وحده هو المنزه جل جلاله، حيث أن حركة " حماس " تتمتع في الساحة الفلسطينية، وأقولها وأنا على يقين تام، بمصداقية عالية ليس فقط في الساحة الفلسطينية ولكن على المستوى العالمي ؟! –لقاء المركز الفلسطيني للإعلام (حماس) مع د.محمود الزهار ٢٠٠٢/١٢/٣) و(حماس كل شيئ وحماس هي الأساس)..الخ.

خاتمة

إن السيوف صراع القوى في الإطار الذي يستخدم فيه الخصوم أو المتنافسون كل عوامل قوتهم المادية و المعنوية، و المنابر هي منصة إطلاق الصواريخ الكلامية التي يظهر عبرها تيار أصحاب السيوف ليقنعوا أنصارهم و جماهيرهم بصحة الاتجاه .و في حركة (حماس) تتكاثر السيوف حيث عوامل القوى تتركز في الأشخاص مستمدة من الشريعة الإلهية علي عادة عديد التنظيمات الأيديولوجية الإسلامية منها و مستمدة من مطلقية الأفكار الإنسانية في التنظيمات غير الإسلامية، و مستمدة مصداقيتها المطلقة من عظم الاستخلاف و صوابية المهمة و الحق السائر في الركاب، و اليقين الذي لا يدانيه تشكك إلا بالآخرين جميعا وهذا مدخل الغلو والتقوقع والنظرة الحزبية الضيقة، و مستمدة من شريعة القوى المادية، ومن الأموال التي تفيض عن الحاجة وتشغل المؤسسات و من الأسلحة التي تستخدم ضد العدو من جهة، وفي الثأر والانتقام، و في صنع القيادات، و الأمجاد، و التاريخ، و العنفوان، والزهو بالانتصارات الصغيرة، و التشبع .

و في حركة (حماس) أصبحت المنابر عامل قوة من خلال استغلال التقنية الحديثة التي فتحت المجال الواسع لجميع الأصوات لتعبر من نفسها عبر المرئي و المقروء و المسموع فتعلو أسهم البعض علوا كبيرا في الصراع التنظيمي الداخلي و تنخفض أسهم الآخر، وخاصة صراع الداخل والخارج أو غزة ذات الثقل الأكبر لحماس دون الضفة الغربية (يراجع كتاب مهيب النواتي، حماس من الداخل، دار الشروق، غزة، ٢٠٠٢)، و تمكنا من النفاذ عبر أحاديث و خطابات، و أساليب القيادات و الكوادر من الاستدلال عما كان في زمان انقضى صعبا ومعقدا و غير متاح .

أن حركة (حماس) في استنتاجاتنا الختامية تنظيم سياسي يمثل امتدادا لحركة الإخوان المسلمين، و كما ينص ميثاقها الذي أضاف الصفة (الوطنية) إلى الحركة رغم التنصل اليومي من ذلك على الأقل باستبدال العلم الفلسطيني الذي يلف شعار الحركة بالعلم الأخضر، و التي أتاحت المجال للصراع على المفاهيم و إمكانية تطويرها أو استحداثها أو تغييرها (لأن منهج التغيير قضية اجتهادية في الإسلام –ياسر زعاترة، مفهوم المقاومة عند الأخوان المسلمين، موقع الجزيرة نت، ٢٠٠٢/١٢/٤) . لم تستطع الحركة في إطار علانية الفواحش والخطايا والعصابات والاعتداءات والعملاء والقتل والصراعات واختلاف الروايات

وتناقض التصريحات أو صراع السيوف المسلولة أو المغمدة ومراكز القوى والتيارات لم تستطع أن تحافظ على الصورة الوضاءة الناصعة التي ظنت أنه من المتوجب أن ترتبط بها لأنها (حركة حماس هي الأساس) وحركة حماس هي (كل شئ) ....الخ من المفاهيم المطلقة التي تعيش فقط في السماء، ولاحظ لها من الحياة في دنيا الفقراء .

إن حركة (حماس)حركة جماهيرية تستقطب قطاعا من الشارع الفلسطيني ليس لما تعلنه من أهداف سياسية (أيديولوجية) هي أهداف التعبئة و التحريض، و إنما لاستغلالها التلازم بين الأهداف الوطنية و الإسلام و المساعدات الخيرية و ربطها وأطره و أشخاصه بحيث امتد التنزيه من النص المقدس إلى الإطار التنظيمي حتى القيادات التي تضيء صورها الملونة كلها صفحات مواقع حركة (حماس) على الشبكة العالمية، ثم الكل في حركة (حماس)، التي استصعبت في ظل انتفاضة الأقصى التخلي عن صورتها المتكاملة غير الخاطئة، الناصعة غير الملوثة، رغم عديد المثالب و الأخطاء و الخطايا التي رافقت مسيرتها، و هذا شئ طبيعي ما كان يجب التغافل أو الاستكبار عنه، أو الاعتراف به بعد فوات الأوان .

أن حركة (حماس) ذات خطابين مختلفين إن لم نقل متناقضين، خطاب تعبوي تحريضي داخلي ويماثله وإن بحدة أقل خطاب جماهيري، وخطاب سياسي مرن براغماتي (عملاني) يتلاءم مع شروط الواقع والضغوط والمرحلية والمتغيرات والعوامل الإقليمية والدولية، وعليه فالحركة في حقيقتها وعبر تيارها الواقعي المرن – الذي يتزعمه خالد مشعل الذي استفاد سياسيا وفكريا ومنهجيا استفادة عظيمة من مواجهته لحركة (فتح) في الاتحاد العام لطلبة فلسطين، فرع الكويت– لا تؤمن بالثوابت (السياسية) أو المسلمات، وإنما تعتبر كما هو شأن أي تنظيم سياسي أن المتغير هو عامل الاستقرار ومبرر الاجتهاد في الأهداف والوسائل والمرحلية والأفكار .

حاولت الحركة وما زالت – وفي خضم الانتفاضة – أن تبرز كقوة فاعلة على الأرض واستطاعت ذلك وان جاءت لاحقة لعمليات كتائب الأقصى التابعة لحركة (فتح) إلا ان الإصرار لدى قياداتها العسكرية وخاصة الشهيد صلاح شحادة عجل بالكثير من عملياتها، وجرفها سريعا نتيجة الضغط الإسرائيلي العدواني الإرهابي البشع للعمليات التفجيرية (الاستشهادية) بالشكل المستحدث، بل وجرف الآخرين دون أفق معقول أو استراتيجية واقعية، أو مطالب تأخذ مختلف المتغيرات بالاعتبار . كما انجرت القيادات السياسية (وبعضها شارك عن وعي كامل) وراء المناخ السلبي المرتبط بمفاهيم استعراض القوة

ومناوأة السلطة و الثأر والانتقام غير المسيسة، الذي شكلته بعض العصابات وحتى العملاء أولئك الذين استغلوا تخلخل الأمن في الشارع الفلسطيني لتحقيق مآربهم .

تحتفظ حركة (حماس) بسلم أولويات (أجندة) وخطط مختلفة عن ذلك الموجود لدى السلطة الوطنية الفلسطينية، قد يلتقي أحيانا فتعلو أصوات (حماس) المؤيدة للسلطة الوطنية وللرئيس ياسر عرفات، وتتباعد غالبا فتشن حركة (حماس) حربها ضد السلطة الوطنية الفلسطينية أو بعض رموزها، وغني عن القول أن حركة (حماس) كلما تقاربت معها الأصوات الجماهيرية ظنت أنها تمتلك الغالبية والإمكانية والسطوة فتعبر عن استقلاليتها الجامحة، وتحاول استعراض قوتها، بل وتنشئ أطرها الموازية للسلطة الوطنية (العميلة) أو (المسروقة) كما صرح بعض رموزها، محاولة القيام بدورها، ومتلمسة الدعم الإقليمي والعالمي الأمريكي منه أو الأوربي، ولكن دون جدوى . وهنا يمكننا الاقتباس من كلام الكاتب المنتمي للإخوان المسلمين ياسر زعاترة في المقال المشار إليه سابقا حيث يبين طبيعة العلاقة الصحيحة بين (الإخوان) والسلطة أي سلطة يجب أن تتمثل في أن (المسار الإخواني العام وكنتاج لقراءة واعية لمعادلة الدولة الحديثة والبعد الأمني الطاغي داخلها، والمعادلة العربية والإقليمية، إضافة إلى الخلل في ميزان القوى لصالح الغرب الاستعماري .يمكن القول أنه قد تحرك في المسافة الفاصلة بين الصدام والدخول تحت عباءة الأنظمة) موضحا أن (الذي لا يقرأ المسافة الفاصلة بين إطلاق الرصاص والدخول تحت عباءة السلطة لا يعرف السياسة بحال من الأحوال) وحماس تنظيم سياسي براغماتي مرن بالطبع رغم وجود تيار الوأد المتصارع مع تيار الواقعية والمرونة فيها بموازاة صراعات التشكيل العسكري ومجموعاته، والعصابات وضغط المناخ الشعبي .

إن جماهيرية حركة (حماس) أصبحت وبالا عليها، لأن مختلف العصابات والعملاء في جسدها جاءوا من عباءة هذه الصفة الجماهيرية الفضفاضة، هذه الصفة المقترنة مع التساهل والمرونة وانعدام الضبط أو المركزية (يصر الرنتيسي مفتخرا أن حماس تنظيم لامركزي عكس التنظيمات الأخرى)، ولجوء عمليات الاستقطاب للمظاهر (الإسلامية) الخدّاعة أحيانا التي لا تعمّد أحدا ككادر أو قائد ولا تعفيه من التحري الأخلاقي والأمني والاجتماعي مما أودى بحياة العديد من قيادات وكوادر حركة (حماس) من خلال عديد المقربين من (حماس) أو بعض كوادرها .

ومهما قيل سلبا أو إيجابا، قراءة ونقدا بحق حركة (حماس) كتنظيم وفكر سياسي أو في بعض رموزها أو تياراتها أو برنامجها المختلف أو البديل، أو حداثة عهدها بالمقاومة

حيث لحقت بعد سبات دام ٢٢ عاما، أو اقتباسها لتجارب من سبقها فان في ذلك ما يحسب لصالحها باعتبارها جسدا حيا، وتنظيما له جذور ومؤسسة قادرة على التجدد والتغير، ولا تعيش بتيار كبير ومتنامٍ ومهم فيها في مديات الجمود والتشرنق أو التحجر المفضي للانقراض .

الملاحق

ملحق رقم (١)

مسؤول جهاز الدعوة السابق بحركة حماس يعترف بدوره في قتل ٣ من قادة «القسام»، «الشرق الأوسط» ٢٠٠٢/١٠/١٢.

كشفت اعترافات وليد راضي إبراهيم حمدية مسؤول جهاز الدعوة سابقا في حركة (حماس) عن دوره في اغتيال ثلاثة من قادة كتائب القسام الجناح العسكري للحركة، واثنين من كوادره. وكانوا جميعهم مطلوبين للمخابرات الإسرائيلية، وهم قائد القسام في غزة ياسر النمروطي عام ١٩٩٢ وخليفته عماد عقل في عام ١٩٩٣، ومروان الزايغ مؤسس الكتائب، وياسر الحسنات ومحمد قنديل. ووفق اعترافات حمدية لدى جهاز المخابرات العامة الفلسطينية التي ستنظر فيها محكمة أمن الدولة في السلطة الفلسطينية ، فقد كان مسؤولا بارزا في جهاز الدعوة لحركة (حماس)، وكان من مبعدي (حماس) إلى مرج الزهور عام ١٩٩٢ وحصلت «الشرق الأوسط» على نسخة من اعترافات حمدية (٤١ عاما). يقول حمدية في اعترافاته: «بدأت نشاطي في حركة (حماس) قبل الإعلان عن تأسيسها مع بداية الانتفاضة الأولى في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ بدأت نشاطاتي في عام ١٩٨١ في إطار المجمع الإسلامي بغزة، بتنظيم شباب متحمس للمجمع الإسلامي (مركز حركة الإخوان المسلمين)، ومنذ عام ١٩٨٤ بدأت نشاطاتي تتسع في إطار الدعوة. وفي عام ١٩٨٦ حدثت خلافات حيث تبادلت هذه القوى السياسية عمليات الضرب والاعتداءات مع نشطاء الفصائل، وساهمت شخصيا في الاعتداء بالضرب على قيادي في حركة «فتح» في غزة هو أسعد الصفطاوي.

وفي ٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٧ داهمت المخابرات الإسرائيلية منزلي وجاء ضابط إسرائيلي وفتش المنزل ثم أمر باعتقالي حيث بدأ التحقيق معي عند الساعة الثالثة صباحا، وداخل سجن غزة المركزي كانت بداية جولات التحقيق، وأول جولتين كانتا عبارة عن تحقيق عادي بدون عنف، وكان لدي انطباع مسبق بأن المخابرات عالم مخيف فكنت محبطا وخائفا من وسائل تعذيب المخابرات الإسرائيلية، ففكرت في أن أعرض خدماتي على المخابرات الإسرائيلية حتى أتخلص مما هو قادم من تعذيب واعتقال، وفعلا عرضت الأمر على المحقق وبمجرد أن تقدمت بهذا العرض أخذني إلى المسؤول عن التحقيق في السجن

وقاموا بالاتصال بضابط المخابرات الإسرائيلي «ميني» المسؤول عن منطقة الشجاعية بغزة حيث اسكن هناك، وجاء الضابط «ميني» وجلست معه حيث أعطاني رقم هاتفه وافرج عني في ١٩٨٧/١٠/١٣ ويتابع حمدية القول: «تحددت المقابلة الأولى مع ضابط الاستخبارات الإسرائيلي «ميني» بعد أسبوعين بأن أقف أمام سجن «ابو كبير» في تل أبيب، وفي الموعد المحدد جاء الضابط الإسرائيلي بسيارته فنزل منها ومشى ومشيت وراءه حتى توقف ودخل عمارة في تل أبيب فدخلت خلفه حتى وصل إلى شقة في الطابق الثاني، فدخلت الشقة معه فوجدت هناك ضابط مخابرات إسرائيلياً آخر اسمه «ابو حبيب»، أخذ يسألني عن الحركة الإسلامية وقياداتها فأعطيته صورة كاملة عن الحركة وذكرت له أسماء قيادات الحركة مثل الشيخ احمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي وخليل القوقا. وسألني عن تفاصيل كثيرة في الحركة. وواصلت نشاطاتي بتزويد ضابط المخابرات الإسرائيلي بمعلومات عن نشاطات الحركة الإسلامية حتى أعلن عن تأسيس حركة حماس في يناير ١٩٨٧ بعد اندلاع الانتفاضة الأولى وشاركت شخصيا في فعاليات الانتفاضة فاعتقلت في أغسطس (آب) ١٩٨٨ لمدة ستة شهور بسبب اعترافات لعناصر من حماس عن نشاطاتي وكان لا بد من اعتقالي للتغطية».

وأضاف حمدية في اعترافاته: «وحدد لي ضابط المخابرات «ميني» موعدا آخر في تل أبيب بعد ذلك ضمن إجراءات أمنية خاصة ولكن هذه المرة في فندق ودخلت إلى جناح في الفندق ووجدت ضابط المخابرات الإسرائيلي «أبو صقر» وهو مسؤول كبير، وجرى حديث طويل ثم أعطاني الضابط الإسرائيلي مبلغ ١٥٠ شيكلا وطلب مني أن يكون اسمي الحركي «ابو جعفر».

وقال: «في مايو (أيار) ١٩٨٩ فوجئت باعتقالي وحاولت أن أكلم الضابط «ميني» فقال لي: إن كل شيء انكشف. وكانت إسرائيل قد اعتقلت عددا كبيرا من عناصر حماس . وبعد يومين من اعتقالي في «أنصار ٢» استدعيت للتحقيق فوجدت «ميني» فقال لي: كل الجهاز العسكري لحماس قد انكشف. مكثت في السجن أربعة أشهر، وواصلت تزويد الضابط بمعلومات من داخل السجن عن المعتقلين من حماس والجهاد الإسلامي. وبعد الإفراج عني بفترة وجيزة اتصل بي الضابط «ميني» وحدد لي موعدا هذه المرة على الشارع الرئيسي في منطقة الشجاعية، وجاءني في الموعد بسيارة من نوع بيجو ٤٠٤ (وهي السيارة الأكثر شيوعا في غزة قبل إقامة السلطة الفلسطينية). وكان في السيارة أشخاص متنكرون بلباس عربي ووضعوا سجادة للصلاة على تابلوه السيارة، وزينوا السيارة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وسبحات معلقة وأسفل أرجلهم بنادق عوزي إسرائيلية. جلست في الكرسي

الخلفي حيث كان يجلس الضابط «ميني» وكان يلبس باروكة على رأسه وبشنب مزيف، وكانت عملية تنكر كاملة وكأن الموجودين في السيارة من الحركة الإسلامية. وسارت بنا إلى مستوطنة قريبة من قطاع غزة حيث تم اللقاء هناك».

ويواصل حمدية قصة تجنيده: «بدأت توجيهات ضابط المخابرات الإسرائيلية لي بأن أتقرب من قيادات حماس حتى أصل إلى مواقع قيادية في الحركة، وقال الضابط "أبو صقر": لماذا لم تصل إلى موقع قيادي حتى الآن؟ فالجبهة الشعبية يصل العضو فيها خلال ستة أشهر، وبدأت عملية توجيه ودفع كي أصل إلى موقع قيادي، وتدرجت في مسؤوليات في جهاز الدعوة لحركة (حماس) حتى أصبحت مسؤولا عن الجهاز في منطقة الشجاعية بعد أن اعتقلت إسرائيل المسؤول السابق لإفساح المجال لي.

وفي عام ١٩٩١ اقترحت على الكابتن «ميني» ان يقوم باعتقالي وكان هدفي الأساسي التغطية على علاقتي بالمخابرات الإسرائيلية، وفعلا اعتقلت خمسة أشهر، وسلمت المخابرات الإسرائيلية كافة أسماء جهاز الدعوة الذين كنت أنظم لهم استعراضات بالزي العسكري الخاص بحماس، وبعد ذلك بدأت عملية متابعة المطاردين من حركة (حماس) من طرفي وابلاغ المخابرات الإسرائيلية بأي معلومات احصل عليها، فزودتني المخابرات الإسرائيلية بقنبلة «مفخخة» وعلبة ديناميت كي أسلمها إلى المطارد محمد قنديل، وتابعت رصد محمد قنديل حتى وصلت المخابرات الإسرائيلية إليه مع اثنين من المطاردين من (حماس) واستشهد الثلاثة، محمد قنديل وياسر الحسنات ومروان الزايغ من الجناح العسكري لحركة (حماس). وحول اعتقال النمروطي قائد الجناح العسكري لحماس في غزة قال حمدية: «تابعت ياسر النمروطي لأنه حضر إلى منزلي وكان مطاردا وأعطاني الشهيد النمروطي مبلغ خمسة آلاف دولار لشراء أسلحة وأدوات للعمل في المنطقة فأبلغت الضابط الإسرائيلي أولا بأول على الهاتف، فزودني الضابط الإسرائيلي ببندقية وقنابل «مفخخة» أيضا، وفعلا تم تزويده بها، وكنت قد زودت مساعده محمد أبو الخير ببندقية «كارلو» عن طريق المخابرات الإسرائيلية، وبعد خروج ياسر النمروطي من عندي وتسلمه الأسلحة، قامت المخابرات الإسرائيلية بمتابعته حتى وصلت اليه في مكان بعيد عني واستشهد في ١٧ يوليو (تموز) ١٩٩٢ بعد مواجهة مع الجيش الإسرائيلي. وتسلمت مبالغ كبيرة من المخابرات الإسرائيلية لقاء هذه المعلومات، ولكنهم قرروا اعتقالي بعد أربعة أيام من اغتيال ياسر النمروطي لابعاد الشبهة عني لمدة ٤٠ يوما. وبعد خروجي من السجن قال لي الضابط «أبو امجد»، لقد ضيعت فرصة فأنت الآن مسؤول منطقة الشجاعية بحركة حماس ونريد دعمك للوصول إلى

هدفنا في مركز قيادي للحركة. فأبلغت الضابط بأن عز الدين الشيخ خليل تسلم مسؤولية الدعوة خلال اعتقالي، فقام الضابط الإسرائيلي باعتقاله حتى أعود لمركزي. ثم جرى اعتقالي مجددا بإطار عملية المبعدين إلى مرج الزهور، وقال لي الضابط: «هذا الإبعاد لفترة مؤقتة» وأعطاني خمسة دنانير عليها رقم هاتف».

ويصف حمدية دوره في اغتيال عماد عقل فيقول: «إن دوري في اغتيال الشهيد عماد عقل قائد الجناح العسكري لحركة حماس في غزة بعد عملية اغتيال ياسر النمروطي، كان بابلاغ ضابط المخابرات الإسرائيلي بتردد عماد على منزل نضال فرحات فأخذني إلى لقاء سري في مستوطنة «غوش قطيف» في غزة وقال لي: «إن رئيس الحكومة الإسرائيلية حتى أصغر إنسان في إسرائيل يريد رأس عماد عقل»، وضم اللقاء عددا من ضباط المخابرات الإسرائيلية فعرضوا عليّ مكافأة نصف مليون دولار مقابل رأس عماد عقل، فأبلغتهم سلفا بمكانه في منطقة الشجاعية في بيت «فرحات»، فطلبوا مني شراء بنطلونين بنفس اللون تماما، وفعلا قمت بشرائهما فأخذوا واحدا منهما ووضعوا في الثاني جهازا لاسلكيا صغيرا جدا، وطلبوا مني أن أرتديه عندما أذهب إلى منزل فرحات حيث يوجد عماد عقل، بحيث يكون الكلام الذي يدور بيننا مسموعا لديهم. فدخلت منزل عائلة «فرحات» وجهاز اللاسلكي في سروالي مفتوح، فأقمنا صلاة المغرب وكان عماد صائما وتناولنا طعام الإفطار على سطح المنزل وفجأة حاصر الجيش الإسرائيلي المنزل من كل الجهات، وأطلق الشهيد عماد الرصاص فأصيب بقذيفة إسرائيلية واستشهد، وبقي الحصار لمدة ساعتين تقريبا وطلب الجيش من كل سكان المنزل الخروج، وخرجت معهم إلى الشارع فشهر الجنود أسلحتهم في وجهي وقال ضابط: نريد هذا. وأخذوني بعيدا عن منزل فرحات فسألني ضابط المخابرات: ماذا حصل؟ قلت له: استشهد عماد عقل. فأحضر سيارة عادية وركبنا فيها. وفي السيارة طلب مني خلع السروال ففعلت وناولني السروال الآخر وذلك ليستعيد جهاز الإرسال. وبعد ذلك قابلت الضابط الإسرائيلي وحصلت على مكافأة اغتيال عماد عقل بما يعادل خمسة آلاف دولار، وكان استشهاد عماد عقل في ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٣».

وواصل حمدية في اعترافاته: «في شهر فبراير (شباط) ١٩٩٤ حصل لقاء مهم مع ضابط المخابرات، حيث لاحظت في لهجة الضابط الإسرائيلي التهديد، إذ ذكرني بتسليم خمسة من قادة وكوادر الجناح العسكري لحركة حماس الذين اغتالتهم إسرائيل وهم: النمروطي وعقل وقنديل والحسنات والزايغ (مؤسس الجناح العسكري لحركة حماس في

غزة)، أي ثلاثة قادة من الجناح العسكري للحركة. والسبب من التهديد هو مكوثي فترة بدون تزويدهم بمعلومات جديدة. وبعد إقامة السلطة الفلسطينية تقابلت مع ضابط المخابرات الإسرائيلي في معبر «بيت حانون» فطلب مني آنذاك ألا أتصل هاتفيا من منزلي خوفا من مراقبة السلطة الفلسطينية للهاتف، وبدأت المخابرات الإسرائيلية تزودني بالأسلحة لبيعها إلى المطاردين الشهيدين كمال كحيل وعوض السلمي. ثم بدأت مطالب المخابرات الإسرائيلية بأن أصل إلى يحيى عياش، وان اتصل به، وحتى مايو ١٩٩٥ والمخابرات الإسرائيلية تلح علي بأن أجلس مع عياش. وسعيت لذلك ولكنني فشلت في أن اصل إليه رغم أن المخابرات الإسرائيلية زودتني بأسلحة كثيرة لإيصالها إلى عياش عن طريق الشهيد عوض السلمي كطعم كي اصل إليه. وانتهت علاقتي بالمخابرات الإسرائيلية بعدما اعتقلتني المخابرات الفلسطينية عام ١٩٩٥.

ملحق رقم (٢)

متعاون فلسطيني وضابط «شين بيت» سابق يكشفان كيف بنت إسرائيل طابورها الخامس

استخدام النساء والإغراء بالخروج من السجن لمرتكبي الجنح والتهديد بالصور والغزو كأساليب للتجنيد

القدس المحتلة: كاثرين تيلور

يعلم هاني أنه كان مخطئا فيما قام به، لكن الشاب الفلسطيني يقول إنه لم يستطع مقاومة المرأة التي أغرته للذهاب معها إلى حقل قريب من بيته. حدث ذلك قبل سنتين، ولم يحضر قط إلى ذهنه، آنذاك، ما سيترتب على لقائه بتلك المرأة.

وسط اللقاء، فاجأتهما مجموعة من رجال الأمن الإسرائيلي، ثم قام بعضهم بتهديد هاني (ليس هذا اسمه الحقيقي) بإخبار زوجته عن خيانته لها إذا لم يتعاون معهم. تراود هاني الآن قناعة بان كل شيء قد رتب مسبقا للإيقاع به، لكنه يسلّم بأنه كان هدفا سهلا، فهو كان مطلوبا لبعض الجرائم الصغيرة، وفي حوزته كانت هناك عدة بطاقات هوية مزيفة. وخلال أيام وافق هاني على التخلي عن حريته ليصبح عميلا لإسرائيل لمدى الحياة.

داخل الضفة الغربية وغزة، هناك آلاف من الفلسطينيين في نفس وضعية هاني، ولا أحد يعرف عدد أولئك الذين يقبضون رواتب من إسرائيل لقاء خدماتهم، لكن العدد، حسب بعض منظمات حقوق الإنسان، يصل إلى ١٥ ألف عميل.

وكان استخدام إسرائيل للمخبرين الفلسطينيين قد مكنّها من منع الكثير من العمليات الانتحارية، ودعم أمن إسرائيل. إضافة إلى ذلك، خلق التعاون مع الإسرائيليين روح الشك بين الفلسطينيين، من أن يتمكن شخص من تحقيق قدر من النجاح في تجارته أو عمله، حتى تثار الشكوك حوله.

في حالة هاني كان سبب التعاون مع إسرائيل، هو الخوف لا الجشع: «أنا وافقت على العمل معهم من أجل الحصول على العفو. أنا وافقت على مساعدتهم في حل بعض المشاكل المتعلقة بالمخدرات والسرقة».

يقول هاني أن مسؤوله الإسرائيلي، اتصل به العام الماضي، وطلب منه مراقبة رجلين يسكنان في قريته بالضفة الغربية ــ أحدهما عضو في حركة (حماس)، والآخر من

حركة «فتح». «أنا لم أرد أن أقوم بذلك لكنه قال انه يود فقط معرفة حركاتهما. أنا أعطيتهم معلومات كثيرة عنهما، لكني بدأت أخاف من أن الإسرائيليين يخططون للقيام بشيء أكثر من مراقبتهما فقط. فقد شاهدت في التلفزيون كيف تغتال إسرائيل الناس وكيف تلاحقهم بطريقة منهجية. ووصلت إلى استنتاج أنني أساعدهم في تحقيق ذلك فهربت».

لكن تصرفات هاني الغريبة، قد أثارت الشكوك لدى الشرطة الفلسطينية، التي اعتقلته، فكان ذلك بمثابة مفتاح فرج، إذ أن اعتقاله ساعده على الخروج من «الحفرة العميقة التي أسقطت نفسي فيها. لذلك اعترفت بكل شيء. كنت أتكلم أسرع مما يستطيع المحقق كتابته».

دور حاسم

* منذ اتفاقية أوسلو التي نقلت أجزاء من الأراضي المحتلة إلى السلطة الفلسطينية، أصبح تجنيد العملاء مهمة أساسية من مهام الأجهزة الأمنية الإسرائيلية. وفي البداية تطلب إعطاء رقم سيارة أحد الجيران أو تفاصيل عن مكان عمله. ومع انغمار العملاء أكثر فأكثر بعملهم، أصبح مطلوبا منهم التسرب إلى التنظيمات السياسية على أعلى المستويات، أو وضع أفخاخ تساعد الإسرائيليين على اعتقال أو اغتيال الناشطين الفلسطينيين. وكانت إسرائيل قد تبنت سياسة الاغتيالات منذ اندلاع انتفاضة القدس، ولتنفيذ هذه السياسة استخدم المتعاونون الفلسطينيون بشكل نموذجي، لترتيب الضربة، مثلما فعلوا مع هاني.

يتساءل موشي كوبربرغ، أحد الضباط السابقين في جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي (الشين بيت): «متى كانت إسرائيل بدون متعاونين فلسطينيين؟، انه عمل سهل جدا». وكان كوبربرغ يقوم بتجنيد المتعاونين و إدارة شبكة منهم في الضفة الغربية قبل تقاعده سنة ١٩٩٩. يرى صالح عبد الجواد، رئيس قسم العلوم السياسية في جامعة بير زيت، القريبة من رام الله، أن أحد أهداف اجتياح الضفة الغربية الأخير هو الحصول على متعاونين جدد، إذ تم خلال الغزو اعتقال المئات من الفلسطينيين، وإذا كان الهدف المعلن من اعتقالهم هو اقتلاع الناشطين من بينهم، فان الكثير من المعتقلين، حسب ما يقوله عبد الجواد، قد عرضت عليهم فرص التعاون أثناء التحقيق معهم.

ويقول عبد الجواد: «في الكثير من البلدان، يعتقل المرء أو يحتجز لأنه قام بعمل خاطئ، أو خطط له، بينما هنا، مر جميع الرجال الراشدين بهذه التجربة. أنا أرى عملية الاعتقال كمصفاة لانتاج متعاونين».

من جانب آخر، دعمت، حكاية هاني، بحوث قامت بها منظمات حقوق الإنسان، بضمنها منظمة حقوق الإنسان الإسرائيلية «بيتسليم» ومنظمة «مراقبة حقوق الإنسان الفلسطينية». فكلتا المنظمتين قد سجلتا شهادات لأولئك الذين ارتكبوا جرائم مدنية سابقا، ثم عرض عليهم الخروج من السجن مقابل التعاون مع الأجهزة الأمنية الإسرائيلية. وآخرون عرضت عليهم صور قريباتهم أثناء قياسهن لملابس جديدة في محلات لبيع الثياب، وهددوا بأن هذه الصور سيتم نشرها إذا لم يقبلوا بالتعاون. يقول عبد الجواد: «هناك الكثير من المحرمات في المجتمع الفلسطيني، وهذا يساعد على توفير الفرص للضغط على الناس للتعاون مع الإسرائيليين».

طرق بارعة

* يتميز كوبربرغ بحيوية متميزة وجاذبية محببة، ولعله استخدم هذه القدرات في مجال عمله. يقول كوبربرغ أن أساليبه شديدة البراعة، وتتركز على خلق شعور باليأس والخيبة بين الناشطين الشباب من منظماتهم، وذلك بتسليط الضوء على التذبذب في خطاباتها، أو في فشلها في تحقيق الدولة الفلسطينية التي تزعم أنها تقاتل من أجلها. استطاع كوبربرغ أن يقنع بعض الفلسطينيين بأنهم سيخدمون أهلهم، بشكل أفضل، ان هم تعاونوا مع إسرائيل، بسبب ما سيحصلون عليه من ضمانات للتحرك بحرية داخل الضفة الغربية.

ويقول كوبربرغ: «التجنيد الناجح للمتعاونين يستند إلى بناء الثقة. على المتعاونين أن يفهموا جيدا أسباب العمل معنا. نحن أصحاب حرفة، وهم يتعاونون لأننا نخبرهم) .

كوبربرغ يهودي علماني، ويتكلم العربية بطلاقة، وكان قد درّب لتقمص شخصية فلسطينية اسمها «موسى»، وغالبا ما يستهدف شبانا ينتمون إلى منظمات فلسطينية ناشطة. يقول كوبربرغ: «بالنسبة للطالب الجيد والمعتدل، نحن لا نقترب منه. لكن إذا كان متطرفا، نستطيع أن نقول له أنه يعيش في حلم. أحيانا، حتى إذا لم يصبح متعاونا، فالحديث معه يمكن أن يبعده عن القيام بهجوم مستقبلي».

يستغرق كسب المتعاون، أحيانا، ساعة واحدة، وأحيانا يستغرق أشهراً كثيرة. يقول كوبربرغ، انه يعد الفلسطينيين من بين أصدقائه، وهو يؤيد ظهور دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل. بعد كسب المتعاون، على كوبربرغ أن يعلّمه كيف يتجنب أن يُكشف. وحسب هذه الدروس، على المتعاون أن يحذر الجميع حتى أمه، إضافة إلى تجنب البذخ لتجنب الشكوك. كذلك، كان كوبربرغ يعد بتوفير الحماية للمتعاون، داخل إسرائيل، في حالة انكشافه.

يقول كوبربرغ، ان «شين بيت»، تدير شبكة واسعة من المتعاونين السابقين، الذين منحوا بطاقات هوية بأسماء أخرى. «نحن نرسل بعضا منهم إلى الخارج». لكن هذا النـوع من الحماية محفوظ بشكل خاص للمتعاونين المنتمين إلى أعلى المراتب وظيفيا، وهـذا مـا جعل المتعاونين الصغار يطالبون إسرائيل ببذل جهد أكبر لحمايتهم، وبعـضهم قـام برفـع دعاوى قضائية ضد الدولة اليهودية.من جانب آخر، وجهت انتقادات قوية للسلطة الفلسطينية للطريقة التي تتبعها في التعامل مع هذه المشكلة. وعبرت منظمات حقوق الإنسان عن قلقهـا من أن أولئك المنعوتين بـ «المتعاونين» لا يمنحون محاكمات عادلة. فالمحـاكم العـسكرية التي تنظر في قضاياهم تجري جلساتها بسرعة، والأحكام تصدر بسرعة أيضا.

لكن المشكلة لا تقتصر على المحاكمات الصورية، فخلال الانتفاضة الأولى، التي بدأت سنة ١٩٨٧، قتل ما يقرب من ألف فلسطيني أثناء المصادمات مع الجنود والمستوطنين الإسرائيليين. وحسب البحث الذي قام به المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، هناك ما يقـرب من ألف شخص آخر قد قتلوا على أيدي أبناء جلدتهم بسبب الاشـتباه فـي تعـاونهم مـع الإسرائيليين، في الوقت نفسه لم تبلغ، بين المقتولين، نسبة الذين ثبتت ضدهم تهمة العمالـة ٤٥ في المائة.

الكثير من المشكوك في تعاونهم مع الإسرائيليين، تم إطلاق الرصاص عليهم فـي الشوارع، من مجموعات أمن أهلية، ولم تقم السلطة الفلسطينية بأي جهد لإيقـاف عمليـات القتل، وقد استخدمت هذه الطريقة أحيانا لتصفية الحسابات حول خلافات شخـصية لا تمـت بصلة بموضوع التعاون مع إسرائيل.

وهذا الموقف من السلطة الفلسطينية، يتعارض مع اتفاقيات أوسلو ٢، فعلى سـبيل المثال، هناك فقرة تقول «إن الفلسطينيين الذين كان لهم اتصالات مع السلطات الإسـرائيلية، لن يعرضوا للأذى أو العنف أو الانتقام أو الاضطهاد».

* خدمة «كريستيان سانس مونيتور» ـــ خاص بـــ «الشرق الأوسط» ٢٣ مايو ٢٠٠٢ .

الفصل الثالث

حركة حماس:

المواجهة والبحث عن السلطة

من أين ننطلق في تحليل المواجهات التي حصلت بين حركة حماس وبين السلطة الوطنية الفلسطينية بأجهزتها الأمنية؟ ومن أين كانت البداية في سلسلة المواجهات التي حصلت بين حركة حماس وحركة فتح؟ والتي أسست أو أظهرت سلوكا عاما يتسم بالتردد والتذبذب والتراجع والتقدم، رغبات ودعوات صادقة مقابل أفعال مناقضة وتحريض مخالف، و ما قد يكون يشير بقوة لخلافات متفجرة على السطح أو تحت السطح في التنظيمات الفلسطينية والسلطة وفي حركة حماس، بين تيارات أبرزها تياران أحدهما تصعيدي متشدد، وآخر واقعي معتدل يتفهم المرحلية وينظّر لها داخل هذا التنظيم أو المؤسسة أو ذاك، ومنه في حركة حماس... من أين كانت البداية في المواجهة أو المواجهات؟ وكيف هو الأمر على حقيقته؟! وماذا يمكن ان نستنتج في السلوك والمواقف والسياسات والنتائج؟ لحركة حماس تحديدا وتخصيصا في ورقتنا هذه التي نحاول فيها الإطلال على ما نعتقده يقدم مساهمة متواضعة في دفع المسيرة وتحقيق الفهم والرؤية والمصلحة الوطنية.

هل البداية من عملية نتانيا؟

قتل ثلاثة اشخاص واستشهادي وجرح حوالي ٤٠ آخرين في عملية تفجيرية نفذها فلسطيني يوم ٢٠٠٥/٧/١٢ في مركز تجاري في منتجع نتانيا قرب تل أبيب – حسب وكالات الأنباء – وتبنت حركة الجهاد الإسلامي العملية ما آثار غضب الإسرائيليين على السلطة الفلسطينية، فأوقف المسؤولون الإسرائيليون جميع لقاءاتهم مع نظرائهم الفلسطينيين عقب العملية.

هل كان للطالب في الثانوية العامة من منطقة طولكرم وهو أحمد سامي أبو خليل البالغ من العمر ١٨ عاما، هل كان السبب في اشتعال المواجهة بين الفلسطينيين والإسرائيليين من جهة؟! وبين الفلسطينيين وبعضهم من جهة أخرى؟ لقد خرج الطالب أحمد متحزما بحزام ناسف، وبعلم أسرته أنه ذهب لمعرفة نتيجته في امتحانات الثانوية العامة. ولكنه كان قد وصل إلى مركز تجاري في نتانيا المواجهة لمدينة طولكرم بعد جدار الضم وسرقة الأراضي، وحاول عدد من الإسرائيليين منعه من الدخول فقام بتفجير نفسه في مدخل المركز.

وقتها عبرت رئيسة بلدية نتانيا (مريم فايربرغ) التي كانت في مكان الانفجار عن خوفها قائلة (رأيت رجلا ينفجر على بعد أمتار مني، انه أمر مرعب) هكذا قالت... ولم يكن ليرعبها دهس مستوطن إرهابي لتسعة فلسطينيين قبل أيام على سبيل المثال، ولم يرعبها سقوط الصواريخ الإسرائيلية على بيوت الآمنين مترافقا مع رصاص الحقد بين جنود العبث واللهو الإسرائيلي بدم الفلسطينيين جهارا نهارا في كل يوم بل في كل ساعة... ولما لم يكن هذا مسار حديثنا ولكننا استطردنا في الاتجاه الوطني... نعود للموضوع الرئيسي لنتساءل هل تفجير أحمد أبو خليل لجسده كان سبب المواجهة الجديدة الإسرائيلية الفلسطينية، والتي تلتها أيضا الفلسطينية – الفلسطينية؟!

في السرد الذي يشير له عدد من الكتاب الفلسطينيين والعرب يعتبرون هذه العملية بداية سلسلة متصلة لاحقة من المواجهات الفلسطينية الداخلية لا سيما والعملية جاءت مفاجئة بعد الاتفاق الملزم في القاهرة بين كافة فصائل المقاومة الفلسطينية على وقف إطلاق النار ضد إسرائيل أو ما سمي (التهدئة) ما حقق به الرئيس محمود عباس (أبو مازن) مكسبا وطنيا مهد لإعادة البناء والانسحاب الإسرائيلي اللاحق من قطاع غزة.

ولقد فتحت هذه العملية الباب واسعا أمام العنصرية الإسرائيلية للبروز والظهور بقوة وفق تصريحات معظم قادتها، ومنهم وزير الزراعة (إسرائيل كاتس) الذي طالب بتجديد سياسة الاغتيالات ضد الناشطين الفلسطينيين– كالعادة– وفتحت الباب أمام ضغوط جديدة لتمارس ضد السلطة الفلسطينية من مثل ما قاله (سلفان شالوم) وزير الخارجية الاسرائيلي بأنه يجب (ممارسة الضغوط على السلطة الفلسطينية لتنفذ واجبها وتحارب الإرهاب)، ودعا وقتها (خافيير سولانا) السلطة الفلسطينية إلى اعتقال المسؤولين عن الهجوم واحالتهم إلى القضاء وقامت الدنيا ولم تقعد بالادانات المختلفة.

كانت الساحة الفلسطينية قد خرجت من صراع مرير حول استمرار المقاومة من عدمها وشكلها وتوقيتها ووحدتها، ولا نريد الخوض في هذا المجال لأننا لا نختلف على أن الاحتلال الإسرائيلي وبطشه وقوته وعلاقاته الدولية كانت الأرجح وان المقاومة استطاعت – رغم التفاوت– أن تفهم المعادلة مع كثير من الألم والإحباط وعدم اليقين والتشكك وتنخرط في المسيرة السلمية وتقبل بالتهدئة لذلك لا نعود لمحاكمة كل ممارسة إسرائيلية بمنطق ما قبل الاتفاق على وقف النار وعلى خوض العملية السياسية التي يستدعى السير فيها تفهم للمرحلية والمتغيرات واستخدام أدوات جديدة ليس من بينها العنف الفلسطيني رغم أنه عنف مشروع.

هل كان جسد الطالب أحمد سامي أبوخليل سبب الأحداث المؤلمة التي تمثلت بإطلاق الصواريخ بحضور الرئيس أبو مازن إلى غزة نقضا للاتفاقات الفلسطينية؟! ثم الاشتباكات الطاحنة بين مقاتلي وأطفال حركة حماس – أطفال بالفعل وليس شتما– مع الشرطة ثم التفجيرات والاستعدادات والانتشارات والاستعراضات والتحريضات ... الخ هل كانت كل هذه النتائج لسبب تفجير نتانيا وما أحدثه في الماء الراكد؟ أم انه هناك أو سبق ذلك أسباب أخرى؟!.

إطلاق (صواريخ) على (سديروت)

أعلنت عدة أجنحة عسكرية تابعة لفصائل المقاومة الفلسطينية مسؤوليتها عن إطلاق عدد من (الصواريخ=القذائف) باتجاه مستوطنة (كفار داروم) وباتجاه (سديروت) وغيرها حيث أعلنت كتائب القسام التابعة لحركة حماس أنها في صباح ٢٠٠٥/٧/٦ قصفت (كفار داروم) بأربعة صواريخ – في الحقيقة لم تحدث أثرا كما هي الحال مع معظم هذه القذائف بدائية الصنع – ثم اتبعتها بأربعة أخرى، كما أعلنت كتائب أبوعلي مصطفى التابعة للجبهة الشعبية إطلاق صواريخ المصطفى على (سديروت)، ولم تسكت سرايا القدس التابعة للجهاد الاسلامي فأطلقت أيضا ثلاثة (صواريخ) – لم تصب أحدا كالعادة – من طراز قدس على مستوطنة (سديروت)، وأعلنت ألوية صلاح الدين اطلاق صاروخ (ناصر٣) على تجمع للمستوطنين في مستوطنة (غوش قطيف) ومستوطنة أخرى ونهضت كتائب الشهيد أبو الريش لتقصف (نفيه دكاليم) بصاروخين من طراز صمود ١ ردا على الجرائم الإسرائيلية.... وكل هذه (الصواريخ) وهذه (الموديلات) من القسام وناصر وقدس والمصطفى وصمود بالمسميات الضخمة التي تعطي انطباعا بحرب جهنمية تشن على

(الضحية الإسرائيلي) ما كانت إلا مواسير وشحنات غير مؤذية بغالبها ولكن صوتها في الإعلام الغربي بمنطق التصور بأنها (صواريخ) ما تتيح للقارئ أو السامع أو المشاهد أن يتصورها كصواريخ (سكود) أو (الحسين) أو (كروز) فنخسر دوليا في كل يوم وفي كل ساعة ولا نحقق هدفا...

المهم، إذا لم نعتبر عملية نتانيا هي السبب في بدايات (الفتنة) الفلسطينية الداخلية فهل نعتبر الموديلات المتعددة من الصواريخ المنطلقة من غزة السبب؟! أم هل نعتبر الإصرار العجيب على تكرار نفس الأخطاء بل والخطايا باستخدام أساليب ثبت فشلها وطنيا، وثبت ضررها خارجيا هو السبب؟! الافتراق الحاصل بين رؤيتين؟... رؤية ترى التهدئة مرتبطة برأس واحد وقرار واحد وسلاح واحد وعلم واحد، ورؤية ترى أن من حقها الرد منفردة بلا رأس وبتعدد ألوية، وبأسلحة يلوح بها ضد العدو والصديق وكأننا نزحف زحفا باتجاه تل أبيب أو حيفا ونقصفها بـ (كروز) و (سكود) ؟!

أن الرؤية توحدت في القاهرة ولكنها عادت لتفترق في التطبيق على الأرض لتعيش الساحة الفلسطينية وخاصة في قطاع غزة ألم اقتتال الأشقاء وألم الاستعداء وألم التضليل وألم الاتهام للسلطة والشرطة أو الاتهام لحماس أو فتح ككل فيما حصل ؟! فهل كانت هذه (الصواريخ مجازا) غير المنضبطة ومن ورائها السبب؟ أم ان هناك سببا آخر يسبقها او سببا آخر غير واضح المعالم؟!.

رغبات وتوتير

لا أحد ينكر مطلقا الدور الإسرائيلي في توتير الأجواء الفلسطينية وتسميم العلاقات الوطنية الفلسطينية، والكثير يتحدثون ويحللون ويقولون أن هناك خطوطا داخلية في هذا التنظيم أو المؤسسة أو تلك يثيرون الضغائن والاحتراب ويسعون للتدمير الوطني بنقض الوفاق والدعوة لبتر هذا الطرف أو ذاك... نعم لا أرى من ينكر ذلك، فالدور الإسرائيلي يعبث بالحياة الفلسطينية من كوب الماء حتى حبة الزيتون إلى طريقة الحركة فنسمة الهواء... ولكن هذا الدور وأطرافه داخل أجسادنا لا يجعلنا معصوبي الأعين عن أدوار أخرى ربما لقصر النظر، وربما لرغبة في الاستيلاء على السلطة، وربما لتخفيف ضغط وربما لإنفاذ مشروع مقابل مشروع أو ربما لعدم قدرة على السيطرة على الموقف او الأعضاء، فينجرف او يخطط او يسير أصحاب هذه الأدوار باتجاه أدى لبدايات او بذور فتنة فلسطينية نراها مرعبة.... بالإضافة لما سبق بالصراع على الخطاب السياسي والصراع

على السلطة والصراع على الجماهير وما يستدعيه ذلك من توتير للأجواء وتحشيد للقوى وتضليل للرأي العام واستغلال كافة الإمكانيات للتحريض ما يحقق هدف هذا الفصيل او ذاك على حساب الكل.

هذا ما مارسته آلية الصراع الفلسطيني وخاصة في الاشكالات الكبيرة التي حصلت بين حركتي (فتح) و(حماس) او بين حركة (حماس) والسلطة الوطنية وبالتالي قد لا يكون الطالب أحمد أبو خليل الملام الرئيس في ذلك وقد لا تكون الصواريخ بموديلاتها المختلفة السبب في ذلك!!

هل التحريض هو السبب؟

وجّه القيادي في حركة حماس د.محمود الزهار هجوما حادا ضد السلطة الفلسطينية وضد حركة (فتح) وضد الرئيس محمود عباس وحذر في ذات الوقت – وذلك يوم ٢٠٠٥/٧/٥، وكالات الانباء – حذر السلطة من مواجهة حركة (حماس)؟! كما شن هجوما على دعوة اللجنة المركزية لحركة (فتح) لإدخال (حماس) في تركيبة وحدة وطنية ؟موضحاً انه لن يكون(جزءاً من حل المشاكل الداخلية وتجاوز صراعات داخلية في داخل الحكومة الحالية)؟! رغم أن ما أسماها بالمشاكل حلت بسلاسة.

وفي نفس الخطاب هاجم الزهار الرئيس محمود عباس وطريقة تعامله مشددا على ان حماس (فقدت الثقة فيه) لعدم تطبيقه ما تم الإتفاق عليه مع الحركة والفصائل وبكلماته:(ان ما اتفقنا عليه لم يتم تحقيقه، فاتفقنا على المرجعية الوطنية ولم يتم تنفيذها وعلى الجولة الثالثة من الإنتخابات المحلية ولم يتم تنفيذها)، ولكن للعلم تم تنفيذ المرحلة الثالثة من الانتخابات والرابعة في الطريق، ولا تلتزم حماس بالمرجعية الوطنية.

ونحن نتساءل هنا بدورنا هل فقدان الثقة هذا كان السبب في استقبال الرئيس عباس القادم إلى غزة عقب عملية نتانيا بموجة تصعيدية من (صواريخ) القسام ؟! ونعود لكلام الزهار الذي جاء في وقت كانت فيه حركة (فتح) تتقارب مع حركة (حماس) فيأتي كلامه بشكل تصعيدي غريب!! ما جعل زميله في حركته الشيخ حسن يوسف يرد عليه مستنكراً .

استطرد الزهار بصوته الجهوري انه لن يسمح بسرقة انجازات الشارع الفلسطيني (وانجازات حركة حماس وتضحيات ابنائها وقادتها من أجل ان تتحرر هذه الأرض لتتوزع على هذا او ذاك) ؟! ومن ثم انطلق مهددا ومتوعدا السلطة وحركة " فتح" " قائلا (يجب ان

يعلموا ان الذي يفعلونه الآن هو اللعب بالنار وخطر، ونحن نحذر، وحذرنا وقلنا ذلك للسيد محمود عباس).

ثم أكد – ما تنازل عنه لا حقاً كالعادة – (ان حماس تحتفظ بسلاحها وانها ستقوم بالدفاع عن أي شبر من الوطن في حال حدوث أي هجمات اسرائيلية) مؤكداً (ان غزة والضفة والقدس وحدة جغرافية واحدة، و لن تسكت حماس في غزة اذا تم الهجوم على الضفة)، ومشددا ان القضية الوطنية ليست مرتبطة لا بالضفة ولا بغزة ولا بالقدس(وإنما قضيتنا في حماس مرتبطة بفلسطين كل فلسطين).

تردد وتقلب واتهام

هل هذا الكم الهائل من التحريض والإتهام–والذي سنتعرض له لاحقا بتوسع– هو السبب الحقيقي وراء ما حصل في الأشهر اللاحقة من احتراب فلسطيني؟ وهل حركة حماس واقعة تحت ضغوطات التيارات العسكرية والتيار السياسي وتيار المتشددين وتيار المعتدلين؟! وتحت ضغط وصراع التعامل مع قراراها الإنخراط في العملية السياسية وربما مكرهة؟ ام ان قرار دخول حماس–القرار بذاته– في اللعبة السياسية هو السبب؟!

لقد أخطأ الزهار خطأ كبيراً في تهجماته وتحريضاته السابقة واللاحقة، لماذا؟ لأن مواقفه ومواقف حركة (حماس) المتقلبة، في ر فض الهدنة او وقف النار ثم قبولها لاحقا، وفي رفض العمل السياسي ثم المشاركة به، وفي الموافقة على قرار وقف المظاهر المسلحة ثم ممارستها هذه المواقف المتقلبة و المتسمة بالتردد في ذات الوقت هل هي براغماتية كما يراها البعض أم مؤشر لصراع داخلي كبير؟؟ في جميع الأحوال فإنها قد أضعفت صدقية (حماس) كما يقول الكاتب ماجد كيالي لأنها في سعيها –مستطرداً– لتأكيد وجودها في الساحة الفلسطينية خلقت واقعاً سلبياً من ازدواجية السلطة، وفي نفس الوقت الذي تحاول إدارة النظام الفلسطيني تمتنع عن الانخراط في هذا النظام مما يضعف من قدرتها هذه فتنفجر مواقفها بالتصريحات النارية وباطلاق النار باتجاه الاشقاء.

أم هل يشعر الزهار وتيار في حركة حماس، وكما قالت حنان عشراوي في ٢٠٠٥/٧/١٦ متسائلة هل (انها فوق القانون او "تنظيم" يستطيع فرض مواقفه على الجميع او يحرض على السلطة)؟؟ مضيفة اننا (يجب ان نحترم ان لنا سلطة واحدة وقانون ومؤسسات واحدة ومنها المؤسسة الأمنية وهي للشعب).

ان هجوم د. محمود الزهار لم يلق قبولا في الشارع السياسي الفلسطيني فوصفه الكاتب عدلي صادق في زاويته في الحياة الجديدة من هنا وهناك (بالخطأ السياسي) واعتبر ان (ما شهدته الأسابيع الاخيرة من تطورات ايجابية في العلاقة بين فتح وحماس جعل تصريح د. الزهار مفاجئا سيما وان مجرد الدعوة إلى التشارك الفعلي في تحمل المسؤولية، تمثل نقلة نوعية في العلاقة قابلتها حماس بنقلة نوعية ايجابية لمجرد اعلانها عن دراسة الموضوع).

إن تصريحات السيد الزهار والتي كانت فاتحة الغضب، والزيت الذي صب على النار ومدخل الاشتباك الداخلي لم تلق القبول حتى من قادة حماس (المعتدلين) وعلى رأسهم حسن يوسف -كما أسلفنا وكما سنفصل لاحقا- الذي قال ردا على الزهار (انه لا أحد يستطيع نزع الثقة من الرئيس أبو مازن فهو رئيس منتخب من الشعب الفلسطيني) وموجها كلامه للزهار بالضرورة انه (على الجميع احترام هذا الاختيار) – الوكالات ٢٠٠٥/٧/٧ – واضاف محاولاً حفظ ماء وجه الزهار قائلا (إن الانسان قد لا يوفق في بعض التصريحات التي تحمل أكثر من معنى وتفسر خطأ، لذلك لا يجوز ان نحمل الموضوع اكثر من ذلك لان الجميع لديهم ثقة بالرئيس أبو مازن).

اذن قد لا يكون الطالب أحمد أبو خليل ولا (الصواريخ) المتعددة الموديلات السبب الرئيسي فيما واجهته الساحة الفلسطينية من اشتباكات، وقد لا يكون فقط لتصريحات الزهار السبب الرئيسي في ذلك، وقد لا يكون فقط للنخر الإسرائيلي في العظم الفلسطيني السبب!!

ربما يكون هناك اسباب أخرى مرتبطة باقتران الايديولوجية بالسياسة وصعوبة مطابقة الثابت مع المتغير وصعوبة طرح برنامج سياسي والبندقية تلمع في ضوء الشمس، وربما لكثير من الخلافات الداخلية التي قد تطفو في (حماس) على السطح حال استراحة البندقية وانخراط الفدائي في لعبة السلطة؟!

الانخراط في لعبة السلطة

أعلن د. محمد غزال القيادي في حركة حماس خلال مؤتمر صحفي عقد في نابلس بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١٢ ومن خلال بيان صدر عنها: ان حماس حسمت أمرها وقررت المشاركة في انتخابات المجلس التشريعي، ولم تمض بضع ايام لتعلن في ٢٠٠٥/٣/٢٨ انها اتخذت قرارا آخر بالدخول إلى منظمة التحرير الفلسطينية وذلك اثر لقاء مع الرئيس محمود عباس. وقال غزال ان قرار المشاركة جاء بعد مداولات ومشاورات مستفيضة شملت

مؤسسات الحركة وهيئاتها القيادية في الداخل والخارج وأكد ان هذا القرار يأتي لتعزيز (نهج الحركة في خدمة الشعب الفلسطيني في كل المجالات والميادين ورعاية شؤونة ومصالحه... وتحقيق الاصلاح الوطني الشامل والحقيقي... ومعالجة كل جوانب الفساد...) ونفى غزال ان يكون لتزامن اعلانهم عن المشاركة السياسية علاقة بإعلان القاهرة او علاقة بخلافات حركة (فتح).

وحول اتفاقات أوسلو أفاد ان انتفاضة الأقصى قضت على كل ما تبقى من أوسلو، وفي الحقيقة-برأينا- لتدخل حماس تحت مظلة سياسية اكثر انخفاضا أي عبر خارطة الطريق ذات السقف الأوطأ من اتفاقات أوسلو مهما كانت التبريرات، ولتكون المشاركة السياسية لحركة حماس ممثلة لنقلة جدية في فكر حماس كما قال عضو المجلس التشريعي عماد الفالوجي والقيادي السابق في حماس، ولتحقق استفادة عظمى من علاقاتها (المميزة مع جميع الفصائل بما في ذلك حركة فتح خلال سنوات الانتفاضة...) كما قال المحاضر الجامعي باسم الزبيدي والذي نتفق معه: في أن حماس نعم استنفادت من حركة (فتح) حتى في أسلوبها ومساوئها وثغراتها فهامت على وجهها تقلد هذه المثالب حتى أصبح التمييز بين مواقف التنظيمات في الحركة السياسية أمرا صعبا.

فهل كان الطالب أحمد أبو خليل او وجبات الصواريخ المنطلقة لتصيب المدنيين الفلسطينيين (قتل منهم ٨) أو لتصريحات د. الزهار النارية وغيره من قادة حماس السبب الرئيسي في اشتعال الساحة الفلسطينية والاصطفاف واستعراض القوى؟؟ ام ان لقرار حركة حماس خوض غمار العملية السياسية ان تفهم الصراع على السلطة فهما (تناطحيا) وليس فهما (تآزريا) فتقوم بافتعال الاشكالات ومختلف المصادمات والفتن بهدف إظهار ضعف السلطة ثم السيطرة على القطاع عسكريا وأمنيا . وسياسيا في شن الحملات المتتالية على رموز السلطة وحركة (فتح) .

لقد كشفت حماس أسماء قادتها العسكريين وأعلنت عن تطوير سلاح المقاومة لديها وزفت للجماهير بشرى تشكيل جناح مسلح للنساء ؟؟ ووعد الزهار بتدريب الناس حتى يحرروا فلسطين من البحر إلى النهر.... وقالت ان سلاحها يمثل شرف المقاومة (فحماس لن ترفع سلاحا في وجه فلسطيني، ولن تنازع السلطة الفلسطينية على السلطة – موسى أبو مرزوق في صحيفة الخليج الاماراتية بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٩) ما كذبته الأيام والحوادث حيث انطلقت الاستعراضات الصاخبة وتواصل الظهور العلني للسلاح غير المنضبط، ولم يتوقف اطلاق الرصاص المتعمد ضد رجال الشرطة والأمن وضد كتائب شهداء الاقصى وضد كل

من يقاوم المظاهر الاستعراضية لحماس...... لتذهب كلمات موسى أبو مرزوق وزمـــلاءه أدراج الرياح. فالصراع على السلطة يحتاج إلى سلاح على ما يبدو؟؟والديمقراطية ستمارس ضمن الحديد والنار . انها السلطة اذن وانه الصراع الحقيقي الذي فتح فوهـــة البركـــان... ولننظر بالتفصيل لبعض ممارسات وسلوكيات ومواقف حركة حماس لنكون اكثر دقة قـــدر الإمكان واكثر اقترابا من الموضوع.

مبادئ العمل السياسي لحماس

سنتعرض لعدد من القيم او المبادئ التي ظهرت جلية في سلوك ومواقف حركة (حماس) والتي قد تصف قرارا قياديا او تيارا في الحركة او تمثل هجمة كلية من قيادة او كوادر الحركة فلنرى.

أولا: في المصداقية

راهنت حركة حماس نتيجة ارتباطها بالبعد الايديولوجي الإسلامي على أنها تمثل المصداقية الاسلامية ثم الوطنية وبالتالي السياسية، ولان الاسلام دين شمولي فإن الحركة حاولت استخدام الدين في إضفاء قداسة غير صحيحة ولو بالايحاء على أطرها وأشخاصها وقراراتها وسياساتها الا ان كل هذه الاستخدامات لا تثبت امكانية الاستغلال المبرمج في اضفاء المصداقية، فالكل الجماهيري مسلم والكل مؤمن والفلسطينيون بإجمالهم محافظون لذا لا يمكن اقتسام ايمان الفلسطينيين بين مؤمنين هم فقط في حماس، وغير مؤمنين من الأغيار؟! حيث ان هنالك الجهاد الاسلامي وحزب التحرير وحزب الدعوة والسلفيين وحزب الخلاص... الخ من الاحزاب التي تضع لفظة (اسلام) في اسمها أو دستورها، وهناك التنظيمات الاخرى، وعامة الناس من هم باجمالهم مؤمنون سواء سواء.

اما المصداقية السياسية في حركة حماس فقد ضعفت كقيمة سياسية كثيرا خاصة بعد حادثة تفجير الشجاعية... التي ثبت نسبتها لحركة (حماس) ثم بعد حادثة جباليا... التي لم تصمد فيها رواية حماس أمام أدلة المدعي العام العسكري، فالشريحة الالكترونية التي عرضها القيادي في حماس نزار ريان في التلفزيون ليدلل على انها من صاروخ إسرائيلي قصف استعراض حماس العسكري المدجج بالسلاح، هي شريحة الكترونية توجد في مختلف الأجهزة ومنها الهاتف الخلوي على سبيل المثال.

يضاف لذلك بيان لجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والاسلامية والتي تضم الجهاد الاسلامي والتي أدانت (في ٢٠٠٥/١٠/٧) حركة حماس وحملتها المسؤولية (عن الاحداث المؤسفة الاخيرة–على حد قول البيان) التي وقعت في مدينة غزة بين الشرطة وعناصر من حركة حماس وخاصة يوم الاحد الدامي في ٢٠٠٥/١٠/٢ والذي راح ضحيته ثلاثة شهداء بيد حماس.

ان التطبيق العملي أفقد حركة حماس مصداقيتها السياسية الميدانية فبيان لجنة المتابعة العليا الذي أكد على الالتزام بعدم حمل السلاح والكف عن الاستعراضات وان السلطة الوطنية هي الوحيدة المسموح لكوادرها بحمل السلاح والذي وافقت عليه حماس سرعان ما نقضته خاصة في الحادثة التي ظهر فيها محمد الرنتيسي ابن الشيخ الشهيد عبد العزيز ممتشقا سلاحه ومجموعة من المرافقين ليبدأ الاستعراض القتالي في يوم الأحد الدامي.

وفي اطار فقدان المصداقية السياسية كانت حماس قد أعلنت مرارا وتكرارا ومنها في ٢٠٠٥/٨/٢١ (احترام وقف النار حتى نهاية العام استجابة لطلب الرئيس محمود عباس الذي يريد ضمان الهدوء لانسحاب المستوطنين من غزة، المقرر ان ينتهي الاسبوع القادم) كما أعلن ملثم من حماس في مؤتمر صحفي في غزة، وهو ما لم يطبق؟! حيث استمر اطلاق القذائف المسماة (صواريخ) الاستعراضية، واستمرت مواكب الثوار الممتشقين للسلاح، هذا السلاح الذي استخدم ضد الفلسطينيين وضد الأمن الفلسطيني... بكل وضوح ما يكذب ادعاءات حماس(انها لا تعتزم الاشتباك مع قوات الامن الفلسطينية) على حد قولها.

وفي مقابل ضعف المصداقية السياسية الميدانية فان المصداقية السياسية الإعلامية قد أصابها العطب الشديد أيضا فمن شعارات تحرير الضفة عبر غزة وان فلسطين ستحررها حماس من البحر إلى النهر إلى التراجع الكبير باعلانها الواضح بانها لن تستخدم السلاح من غزة مطلقا!! ثم إلى إعلان د. محمد غزال (٢٠٠٥/٨/٢٢ – رويترز) ان (الحركة قد تعدل يوما ما ميثاقها) الذي تدعو فيها إلى تدمير إسرائيل وتجري مفاوضات مع الكيان الصهيوني، وحيث قال بالحرف (هذا الميثاق ليس قرآنا) وقال ان أي محادثات بين حماس (لاحظ وليس السلطة الرسمية!!) واسرائيل لا تزال تعتمد على انسحابها من الضفة الغربية المحتلة والقدس الشرقية للسماح باقامة دولة مستقلة وأضاف (انه على الاسرائيلين ان يصلوا إلى تلك المرحلة التي يشعرون فيها بأنه لا بد من التفاوض معنا، وعندما يأتي هذا الوقت لا أظن انه ستكون هناك مشكلة بالتفاوض مع الإسرائيليين)؟؟؟.

ولما ثارت ثائرة القاعدة في حركة (حماس) نفى د. غزال انه قال ما ذكرته وكالة رويترز التي سارعت لتأكيد تصريحاته وانها تحتفظ بأشرطة رسمية توثق ذلك.

ثانيا: التعامل مع الضغوط

لا شك بان حركة (حماس) تعاملت مع الضغوط بمنطق براغماتية حركة فتح، فقدرت الموقف وتعاطت مع الأحداث، وغيرت من مواقفها ما مثل استجابة واقعية للضغوط الداخلية والعربية والاجنبية، فلم تعد حركة حماس تنظيما عقائديا مغلقا وإنما تنظيما -او حزبا- سياسيا يؤثر ويتأثر، ويستجيب للضغوط، فحماس الموضوعة على لائحة الارهاب العالمي ولتتخلص من هذه التهمة وافقت على وقف النار أو ما سمي بالتهدئة ثم اتبعت ذلك بسلسلة متصلة من التنازلات التي دللت على قدرة هائلة بالتخلي عما كان ثوابت فانضمت للعبة السياسية وغازلت منظمة التحرير الفلسطينية وحتى امكانية الدخول في الحكومة، بالإضافة الى إمكانية تغيير ميثاقها.

ان حماس (كما يقول الكاتب صالح القلاب في الشرق الاوسط ٢٠٠٥/٨/١٨) ليست زاهدة في الحكم كما تقول – قال الزهار في اعلان قبول دخولهم الانتخابات التشريعية انه اذا دخلنا التشريعي فلن ندخله من أجل السيارات او المرتبات بل من أجل ان نؤسس لحكومة تحارب الفساد- مضيفا أي القلاب عن حماس (بالتأكيد تعرف انها ان لم تغتنم هبوب الرياح الحالية فانها ستبقى تقضم أطراف أصابع يدها ندما وحسرة) وهي الحركة التي أوجدها تنظيم الاخوان المسلمين (لتكون بديلا لمنظمة التحرير، ولتحل محلها في المفاوضات المستقبلية ولتأخذ دورها في العملية السلمية-كما تابع القلاب) وبالتالي يضيف القلاب (لم تعد حركة حماس متمسكة بالتحرير من البحر إلى النهر كما قدمت نفسها للشعب الفلسطيني وللعرب وللعالم...). ومضيفا ان ما قامت به من عسكرة الانتفاضة – رغم ان فتح كان من بدأ وواصل العمل العسكري في الانتفاضة – كان (بهدف اقناع الإسرائيليين والامريكيين ان قرار الحرب والسلام بيدها وانها أقدر من حركة فتح ومنظمة التحرير على الوفاء بكل ما تتعهد به) وقد اعترف الاسرائيليون لحماس بأنها تلتزم بالهدنة او التهدئة وتسيطرعلى أعضائها كما أضاف القلاب، وما يثبته كلام د. غزال الواقعي جدا الذي يعترف باسرائيل والتفاوض معها، وهذا مما لا يعيب حماس-أو غيرها- لانها حركة تسعى للسلطة وللسلطة تكاليفها وبرامجها وسياساتها .

ثالثا: سلطة خارج السلطة

قال د. محمود الزهار بصيغة تحريضية اشتهر بها انه لن يسمح بسرقة الانجازات ومنها (انجازات حركة حماس و تضحيات ابنائها وقادتها من أجل ان تتحرر هذه الأرض

لتتوزع على هذا وذاك – الوكالات ٢٠٠٥/٧/٥) وقال : (ان السلطة التي تتهم نفسها ليل نهار بالفساد لا يمكن ان تطرح برنامج اصلاح في موضوع المستوطنات التي ستتم ازاحة الاحتلال عنها) وأضاف مقررا (ان حماس ستحتفظ بسلاحها وانها ستقوم بالدفاع عن أي شبر في الوطن في حال أي هجمات اسرائيلية) مؤكدا ان غزة والضفة والقدس وحدة جغرافية واحدة وان حماس لن تسكت – ولكنها سكتت بعد ذلك!! – في غزة اذا تم الهجوم على الضفة على حد قوله. وكرر مهددا انه لن يسمح بنزع سلاحه ولن يدخل احد السجن بناء على رغبة السلطة او استجابة للضغوط الإسرائيلية الامريكية.

ماذا يعني كل هذا وغيره من التصريحات النارية ومن الأفعال على الأرض الا تكريس سلطة واقعية على الأرض مناهضة للسلطة الرسمية، بل وتتحداها بالسلاح وبكل قوة. وماذا يعني هذا غير ان المشروع السياسي لحركة حماس لدخول السلطة هو مشروع تصادمي لا يقبل الوسطية او التفاوض – على الاقل من طرف واحد متشدد فيها – وانها كما يقول الكاتب ماجد كيالي (مصرّة على العمل من خارج النظام الفلسطيني الأمر الذي يضعف مساعيها للتحكم في إدارته).

رابعا : شيء من التملص شيء من التخبط

لقد شككت حركة (حماس) بأمكانية الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة واعتبرت ان القطاع لم يتحرر ولكن المفارقة – كما يقول الكاتب ماجد كيالي – تمثلت انها عملت وبشكل أحادي منفرد على تنظيم المظاهر الاحتفالية الضخمة بتحرير غزة!؟ ولم تكتف بهذا بل ان مظاهر الاحتفال بالنصر! لم تقتصر على المهرجانات والخطابات وإنما شملت عرضا عسكريا صاخبا حصل فيه مقتل ٢٣ شخصا في جباليا اثر انفجارات في صواريخ تحملها عربة حصل لها تصادم ما أثبتته الدلائل والشهود والمدعي العام وأنكرته حماس؟! وكأنها تريد ان تعلن–باستعراضاتها المسلحة الصاخبة– للعالم (ان الشعب الفلسطيني يمتلك جيشا وعتادا مكافئا لاسرائيل، رغم ان الفلسطينيين يجهدون لشرح معاناتهم تحت الاحتلال).

وكان التملص وتخبط الحركة ان ظهر في تصريحات قادتها حول اتفاق القاهرة ففي حين – على سبيل المثال – أعلن الشيخ سعيد صيام (الوكالات ٢٠٠٥/٧/١٩) ان حماس ملتزمة باتفاق القاهرة قرر ان من حق الحركة الرد –منفردة ودون الرجوع لفصائل المقاومة الاخرى– على أي عدوان، بل وتجاوز ذلك بالقول ان الاتفاق ذاته يضمن لها الرد على الاعتداءات الإسرائيلية دون اجراء مشاورات مسبقة بمعنى عدم الالتزام لا بالسلطة ولا بأي

مرجعية وطنية ما يعني بوضوح محاولة للتملص من الاتفاق، وتخبطا بين تيارات الحركة او آرائها التي أدت بعد حادثة جباليا والقصف الإسرائيلي إلى اعلان حركة حماس وقف اطلاق النار نهائيا من قطاع غزة... على عكس ما أكده قادة حماس ومنهم مشير المصري (٢٠٠٥/٤/٢٦) من ان (أيدينا ستبقى على الزناد حتى زوال الاحتلال) من كل فلسطين.... الا اذا عنى ذلك توجيه السلاح لغير الإسرائيليين.

خامسا: وماذا عن المظاهر الاستعراضية!

رغم التعبئة المتصلة والاتفاقات الوطنية على ان يتم الاحتفال باندحار الاحتلال من غزة تحت راية واحدة وبشكل موحد الا ان (حماس) كانت أول من نقض ذلك، رغم موافقتها وكافة التنظيمات على الراية والوحدة، ثم تبعتها التنظيمات الاخرى.

لم يكن من السهل على تنظيم سياسي مثل حركة (حماس) قرر خوض غمار المعركة السياسية عبر انتخابات التشريعي ان يجعل فرصة زوال الاحتلال عن غزة تفوته، لذلك فلقد جيّش الناس وعناصره بطريقة استعراضية – تشبه استعراضية قذائف القسام – وانطلقوا للاحتفال في ابراز واضح للقوة العسكرية والقوة الشعبية في مقابل السلطة ومقابل كافة التنظيمات الاخرى وعلى رأسها حركة (فتح). لقد ظهرت الاستعراضية السياسية لدى حماس بأشكال عدة سنحددها بالتالي:

١- اطلاق القذائف على (إسرائيل).

٢- المسيرات المسلحة وتحت علم غير علم فلسطين.

٣- الكشف عن أسماء وتفاصيل عمل القيادات العسكرية.

٤- افتعال الاشتباكات مع حركة (فتح) ومع قوى الأمن الفلسطينية.

وسنترك النقطة الرابعة حيث سيرد فيها بند منفصل ونتعرض للثلاث الأول. لقد اعتبر الرئيس محمود عباس ان اطلاق القذائف (الصواريخ) من غزة (يسيء إلى القضية الفلسطينية، وليست وسيلة للهجوم ولا للدفاع لان لا تأثير لها، وأكثر من ٩٠% من هذه الصواريخ تسقط في الأراضي الفلسطينية – الوكالات ٢٠٠٥/٧/١٩) أضف إلى ذلك ان استعراضية اطلاق الصواريخ (يستحق احتفالا من اليمين الإسرائيلي، حيث أن شارون يبحث عن مبررات لاستمرار قمع الفلسطينيين وتحويل حياتهم إلى جحيم، وحركة حماس تقدم له هذه المبررات، بل تقدم قطاع غزة وسكانه المدنيين على طبق من ذهب لشارون – احمد الربعي، جريدة الشرق الاوسط ٢٠٠٥/٩/٢٥) مضيفا (هذه الاستعراضات العسكرية في غزة

ما هي مبرراتها؟ ولماذا بدل أن يفرح الفلسطينيون بالانسحاب الإسرائيلي ويعيدون زراعة أشجارهم المقلوعة وتنظيف شوارعهم ومدارسهم وبناء مؤسساتهم المدنية، يقومون باستعراضات عسكرية كان آخر ضحاياها أكثر من عشرين روحا بريئة، وأكثر من مئة جريح فقط من أجل ان تقول حماس "نحن هنا" ومن أجل تنافس سياسي لا يستحق هذه التضحية الكبيرة بالارواح).

و تساءل الكاتب د. احمد الربعي (إلى متى هذه الصواريخ البدائية التي تطلق على إسرائيل فلا تحدث سوى أصوات انفجار...) مضيفا هل (ان المصلحة الحزبية أصبحت أكبر من المصلحة الوطنية، وان الروح اللامسؤولة تغلبت على العقل والمنطق)؟!. وتساءل الكثيرون معه عن جدوى قذائف كانت نتيجتها التالي:

١- مقتل ثمانية مواطنين جراء سقوطها على منازلهم او محاولتهم اطلاقها.

٢- جرح ٧ وتدمير ٥ منازل بالكامل.

وذلك حسب تقرير لوزارة الداخلية أوردته الوكالات في ٢٠٠٥/٧/١٦. وادت- ومازال- لقصف متواصل للطائرات الإسرائيلية للأحياء الفلسطينية، بعد مأساة جباليا واطلاق الصواريخ من حماس للتغطية على حقيقة المأساة. وهو الاسلوب الاستعراضي الذي لم ينطلِ على أحد، والذي أجبر حماس بعده على اعلانها وقف اطلاق الصواريخ نهائيا من القطاع، ولتتخلى عن كل تصريحاتها بتحرير الضفة عبر غزة او بالرد من غزة على أي اعتداء يحصل في الضفة!!

أماعن النقطة المتعلقة بالكشف عن القيادات العسكرية لحركة حماس وهي عملية استعراضية ميدانية أخرى، في سابقة تعد الأولى من نوعها حيث، وزعت حماس اكثر من ربع مليون نسخة؟؟! من النشرة التي أوردت فيها اسماء (مجلسها العسكري) تحت عنوان (فجر الانتصار)! مع تفاصيل عن عمليات الكتائب والمسؤولين عن تنفيذها. فلقد شكلت مفاجأة حتى لكاتب يمني معروف وهو د. عبد العزيز المقالح الذي قال : (فوجئت كما لا بد ان يكون كثيرون مثلي قد فوجئوا – بالحديث عن توزيع شريط فيديو يروى الكثير من المعلومات عن صانع صواريخ القسام وما يضاعف من قسوة المفاجأة ان حركة حماس الفلسطينية هي التي تقوم بتوزيع هذا الشريط او انها هي التي سمحت بذلك لأسباب يراها البعض – وأنا واحد منهم – غير ذات معنى....) مضيفا (ايا كان السبب فإن الوقت – من وجهة نظر كثير من المتعاطفين مع الحركة والمؤيدين للقضية – لم يحن بعد للاحتفال المبالغ فيه بخروج الاحتلال...) انها استعراضية فاقت الحد وفاجأت حتى المتعاطفين مع القضية

وحماس وكما ذكر د. عبد العزيز المقالح في مقالة في صحيفة الخليج الاماراتية في ٢٠٠٥/٩/٣٠.

اما عن الاستعراضات العسكرية فحدث ولا حرج حيث الأعلام غير الفلسطينية ترفرف والميكروفونات تصدح والعربات المسلحة تسير والملثمون (يتدحدلون) والأسلحة في كل مكان بينما تمتليء الشوارع بالقاذورات التي خلفتها الاستعراضات وينقض الناس على ما تبقى من المستوطنات في مشهد معيب حيث لم يبقوا على شيء –من الاشيء بعد الهدم– الا وانتزعوه وسرقوه، ولحسن حظنا ان الإسرائيلين هدموا بيوتهم بأيديهم والا ظهرنا على شاشات القنوات الفضائحية كشعب من اللصوص فقط. ما يلقى باللوم الشديد على كافة التنظيمات السياسية وعلى حركة حماس من بينها التي استبدلت عمليات توعية الشعب وتعبئتة وحثه على المسلك الحضاري باستعراضات خاوية لا ينفع معها ان يخرج ٢٠٠ ألف متظاهر ليصلّوا في مكان مستوطنة او أخرى تاركين وراءهم القيم الإسلامية والوطنية الحقيقية.

ان الإستعراضية الطاغية في الإعلام وفي السياسة وفي الميدان مسلك الضعفاء، او مسلك الساعين لإثبات الذات دون سند حقيقي أو دون قدرة على تعبئة الناس ومخاطبة عقولهم لأنه من الصعب عليك ان تقنع شخصا فكرة لفكرة، لكن من السهل ان تؤثر عليه بالصراخ والشجن والبكاء والعاطفة وبالصورة. والصورة أصبحت مدخل السياسي كما هي مدخل رجل الإعلان لترويج بضاعته، واستبدلت بذلك الأصول الدعوية او التبشيرية او الاستقطابية (بالنطنطة والطنطنة والشقلبة) وهدير الحناجر والقذائف والعربات المدرعة.

سادساً: في التضليل

استخدمت حركة (حماس) التنظيم السياسي الفلسطيني أساليبا قلدت فيها الأحزاب عامة فتماهت مع أساليبها وسارت على دربها لتفقد تميزها في عيون الشعب الفلسطيني، ولتفقد نقاءها الذي رآه البعض من سماتها . فهي لم تتورع عن كيل الإتهامات وشن الحملات والتحريض ضد جهات وضد مؤسسات وضد أشخاص، ووصل الأمر إلى حد التهديد ثم في مراحل لاحقة إلى حد الإعتداء والقتل.

لقد كانت جل تصريحات قادة حماس تركز صراحة او تلميحا او ايحاءا أنهم من حرر غزة وهذا افتراء على الحقيقة وتضليل للناس خارج الوطن،كما حاولت حركة حماس ان تستخدم مصداقيتها المتهاوية في قلب الحقائق وتضليل الشارع من عدة حوادث من

ابرزها (حادثة الشجاعية) و(مأساة جباليا) والإعتداءات على قوات الأمن والممتلكات العامة والتي كان آخرها في ٢٠٠٥/١٠/٢ . ولكن هذه الحوادث كلها انكشفت ولم ينفع حماس محاولاتها التضليلية ولا كل تحريضاتها وتهديداتها على كل من ينكر روايتها او يخالفها.

في ٢٠٠٥/٩/٥ وقع انفجار في بيت أحد كوادر حماس في الشجاعية-غزة وهو الإنفجار الذي سبقه حريق جعل من أصحاب البيت يطلقون سيقانهم للريح، فيتجمع الناس لإطفاء النار لتتفجر فيهم المواد المتفجرة المخزنة فتودي بحياة أربعة أبرياء. ومع انكار حماس المعتاد للأمر الا ان كل الدلائل بما فيها أن أصحاب المنزل هم من حماس جعلت رواية حماس بالقاء التهمة على الإسرائيلين والقصف الجوي، وكما حدث منهم لا حقا في مأساة حادثة جباليا أيضا جعلت روايتهم تفقد مصداقيتها في الشارع ما لا ينفع معه تضليل او تحريض.

أدت مأساة جباليا حيث اصطدمت عربة عسكرية لحركة حماس محملة بالأسلحة-منها قذائف (أر. بي. جي) التي تتفجر بالصدمة- (بنبة) رملية أدت لترويع الناس حيث حصدت اكثر من عشرين شهيدا وأكثر من ١٠٠ جريح. لقد أدت هذه الحادثة في نفس الشهر من (حادثة الشجاعية) والتي تلاها في يوم الأحد الدامي ٢٠٠٥/١٠/٢ الإعتداءات من حركة حماس على مقرات الشرطة في مخيم الشاطئ والبريج واستشهاد ضابط من الشرطة هو في ذات الوقت من قيادات كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح على أيدى حشد كثيف من عناصر حركة حماس المدججين بالسلاح حاصرت المخفر وأطلقت عليه قذائف(أر بي جي) المضادة للدروع والدبابات؟! (ملحوظة: صرح موسى أبو مرزوق على سبيل المثال حسب الوكالات في ٢٠٠٥/٨/١٩ أن حماس لن ترفع سلاحا في وجه فلسطيني، ولن تنازع السلطة على السلطة.)؟

أدت كل هذه الحوادث وخاصة بعد بيان لجنة المتابعة للقوى الوطنية والإسلامية بتحميل حماس حصرا مسؤولية الإعتداءات على قوى الأمن إلى فقدان حماس مصداقية روايتها من جهة، والى عدم نجاح عمليات التحريض والتهديد والتضليل للرأي العام التي تصاعدت حدتها كلاما عبر التصريحات،وفعلا عبر تدمير عربات الشرطة والرقص عليها؟! وعبر محاولات القتل او القتل الفعلي للضباط والعناصر.

سابعاً: فن التحريض واثارة الإحتقان

تبادلت حركة حماس مع حركة فتح، وحماس مع السلطة الوطنية الفلسطينية الإتهامات بالتحريض وان كنا لا نعفي طرفا من ذلك الا أننا وفي سياق الحديث المنحصر عن حركة " حماس" فاننا نلاحظ أنها مارست عمليات تعبئة وتحريض اعلامية ضخمة ضد مؤسسات (فتح، قوى الأمن، وزارة الداخلية، المخابرات، الأمن الوقائي، السلطة...) . وضد قيادات وكوادر منهم (أبو مازن، عبد الله الإفرنجي، نصر يوسف، توفيق أبو خوصة، جبريل الرجوب...) .

فلقد أساءت حماس للواء جبريل الرجوب عبر تكرار اتهامه حيث(ان تصريحات الرجوب لا تستحق الرد لأنها تسعى لإثارة الفتنة، وخصوصاً ان تاريخه البائد معروف في اعتقال رجال المقاومة وملاحقتهم، ويجب على السلطة ان تضع له حداً لأنه بإطلالته على وسائل الإعلام يشوه الصورة المشرقة للشعب الفلسطيني في التعامل الداخلي) كما قال مشير المصري في ٢٠٠٥/٧/١٧ مضيفا اتهاما آخر للكاتب والناطق الإعلامي بإسم الداخلية الكاتب توفيق أبو خوصة(بأنه لا يملك معلومات) و(يسعى فقط للطعن في الحركة-المقصود حركة حماس) و(البعض يستغل ما يجرى ويكذب في إطار منافع شخصية وفئوية ضيقة) قبل ان تظهر عنصرية اللغة وقوة التحريض خاصة بعد مأساة جباليا في شهر سبتمبر والتي علق فيها الشيخ نزار ريان على شاشات الفضائيات قائلا: ان من يتهم حماس يتمتع (بأخلاق العبيد)؟؟! ناهيك عن الوصف التحريضي الآخر (الأفاعي السوداء) و(العبد الأسود) -يراجع مقال الكاتب يحيى رباح في الحياة الجديدة في ٢٠٠٥/٩/٢٨- حيث يقول ان تحريض واتهامات حماس وحملتها الظالمة على توفيق أبو خوصة تدخل تحت (بند العيب) والى (سلوك يدخل بند الجريمة) حيث ان (ذلك الإنفجار المروع الذي اثبت تقرير النائب العام الأخ والصديق العزيز أحمد المغني من خلال التحقيق الأصولي انه خطأ داخلي يتحمل مسؤوليته المنظمون لمسيرة حماس المسلحة في جباليا في تلك الجمعة الحزينة الموافق ٢٠٠٥/٩/٢٣....) والذي عنه (أعلن الأخ توفيق ... بيانا أكد فيه ان ذلك الانفجار هو خطأ داخلي) أدى إلى ان (ثارت ثائرة حماس التي كانت قد أعلنت ان الانفجار نتج عن صاروخ أطلقته طائرة اسرائيلية واعتمدت في الزوبعة التي أثارتها على فكرة مفادها ان بيان وزارة الداخلية جاء بعد وقت قصير جدا...) ما يمكن الرد عليه، الا ان هذا البيان والرد عليه لم يعد مربط الفرس كما يضيف يحيى رباح (وإنما الشيء الجديد والصاخب والمثير لألف سؤال وسؤال هو اللغة التي استخدمها بعض قادة حماس تعليقا على شخص الناطق الإعلامي بإسم

وزارة الداخلية !! انها لغة لا يقبل بها انسان يحترم انسانيته، فكيف حين يكــون المتحــدثون مسلمين بل ويدعون أنهم غيورون على الاسلام اكثر من غيرهم، فلقد استخدموا كلمات مثل أخلاق العبيد والأفاعي السود والعبد الاســود...) (مــا أثــار حفيظــة النــاس وصــدمتهم واشمئزازهم) وهم بذلك يشيرون للون بشرة توفيق أبو خوصة السوداء.. ان هذا تحــريض من النوع الثقيل والمرفوض والمثير للاشمئزاز. وما قد يذكر بقول الامام الحسين بن علــي حينما طالبه من بعث يستدعيه للنصرة بالاستسلام لأعدائهم في كربلاء، حيث قال ردا عليهم (لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لهم إقرار العبيد)؟!

وفي سياق التحريض لم يسلم الرئيس محمود عباس من لسان الزهار، ولكن كفانــا الرد عليه ما قاله فيه الشيخ حسن يوسف من قيادات حركة حماس، ليتلقــى الــوزير نــصر يوسف اتهامات وتحريضا شديدا بدوره حيث طالبت حمــاس (١٦ يوليــو ٢٠٠٥) بإقالتــه وذكرت انه (هو من وقف وراء مجزرة مسجد فلسطين وهو الذي قال في احد الاجتماعــات انه سيعمل على وقف العمليات ضد العدو حتى ولو جرى الدم للركب، وهــا هــو يــصدر أوامره بالقتل المباشر) وما هذا التحريض كله الا لسبب منع عناصر من قوى الأمن الوطني في يوليو ٢٠٠٥ لعدد من عناصر كتائب القسام من اطلاق القذائف (الاستعراضية) التــي لا تصيب الا الفلسطينيين والتي عادت على الفلــسطينيين بالعنــت والمآســي، وحينهــاجرت اشتباكات بذرت بذور الفتنة ولاحت منها حسب بعض المصادر نذر الحرب الاهلية.

ومع زوال الاحتلال عن غزة ووقف النار نهائيا من غزة ضد العدو ما يجعل مــن شعار مشير المصري ان (أيدينا ستبقى على الزناد حتى زوال الاحتلال- ٢٠٠٥/٤/٢٦) من الضفة وغزة غير ذي معنى، ويجعلنا ندعو بصدق إلى وقف التحريض ووقــف الإتهامــات ونزع السلاح لأنه ان كان الإحتلال مقصودا فيه غزة فقد خرج، وان كان مقصوداً فيه غزة والضفة فلقد اتخذت حماس قرارها بعدم استخدامه من غزة. فلمن هو موجــه اذن؟! ولمــاذا يبقى التحريض أيضاً؟.

ليس أبلغ من د. محمود الزهار في أسلوب التعبئة، وليس ابلغ منه في حماس فــي آليات وعبارات التحريض على ما يبدو، فهو اذ يبدى فقدانه الثقة بــأبي مــازن يقــرر ان الأرض حررت بالمقاومة لا بالمفاوضات ويقرر انه لن يسمح لأحد بسرقة الدماء والمقدرات ويهدد بالويل والثبور وعظائم الأمور حيث انهم (يجب ان يعلموا ان الذي يفعلونه هو اللعب بالنار وخطر، ونحن نحذر وحذرنا...) موجهاً كلامه لحركة فــتح والــسلطة (الــوكالات ٢٠٠٥/٧/٥) ومضيفا بقوة (ان حماس ستحتفظ بسلاحها وانها ستقوم بالدفاع عن أي شــبر

من الوطن في حال أي هجمات اسرائيلية) مؤكداً (ان الضفة وغزة والقدس وحدة جغرافيـــة واحدة ولن تسكت حماس في غزة اذا تم الهجوم على الضفة)، ومشيراً في أحاديث ســابقة إلى احتفالات (السكارى) يقصد قوات الأمن؟؟!-وهي القوات التي قــدمت مئـات الــشهداء والأسرى في الانتفاضة؟؟- ما يمثل تحريضا واضحا للآخرين علـــى التعـــدي علـــى رأس السلطة وعلى رجال أمنها وهو ما حصل لاحقاً مراراً وتكراراً، فالزهار وغيره يحرضـــون ويمهدون الطريق للمواجهة و الفتنة و الإشتباك ولا يبقى أمام النفـوس المعبئـة بالإيمـان الروحي والوطني الا ان تطيع قائدها فتطلق النار على أي كان يمنعها من تحريـــر الأرض خاصة متى ما كان هذا من (السكارى) أو من (الأفاعي السود) او من(محامي الشيطان- كما وصف الزهار وزارة الداخلية حسب الوكـالات فـــي ٢٠٠٥/٩/٢٥) او ممـن يتحلـون (بأخلاق العبيد) على حد وصف نزار الريان القيادي في حماس، والمقصود بالطبع هنا رجال قوات الأمن.

ان التحريض سيف بتار، واثارةالإحتقان مدخل لإحداث الفتنة، وما اللغة النارية او الثأرية أو التحريضية الا نار تصب على زيت الإحتقان، وما هي الا وســيلة سياســية فـــي الإتجاه الآخر للحفاظ على وحدة التنظيم وتوجيهه دائما نحو خطر خارجي فيظل القائد قائـدا والتنظيم مقدسا والعناصر أدوات ما هو حاصل في هذا الاتجاه من عدد من القيـادات فـــي حركة حماس بل، وفي حركة فتح التي هي القدوة لحركة (حماس) في هذا الامر.

هل عبارات مثل (التفكير الاهوج الذي يقوده بعض قيادات السلطة) (بيان لحماس – الوكالات ٢٠٠٥/٧/١٦) و(قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار) و(من قتل شرطيا دخل الجنة.. الخ) هل مثل هذه العبارات تقل حدة عن حد السيف البتار؟! أم اكثر قطعا؟!

لقد أحرقت حركة حماس في حربها ضد السلطة العديد من المركبات العـسكرية، وأطلقت النار على رجال الأمن، ولكن الأخطر هنا في ســياق التحـريض هـو اســتغلالها للمساجد التي مورس فيها ومن خلالها في غـزة عمليـات الـشحن والتهديـد والتـدريب والتحريض ما يلقى ظلالا سوداء قاتمة على دور المساجد في تكريس وحدة المسلمين ووحدة الشعب ووحدة الامة بعيدا عن اختلافات واشتباكات ومعارك التنظيمات السياسية وأجنحتهـا المسلحة.

ثامنا: لا بد من التضخيم والمبالغة

أكد الشيخ نزار ريان الذي كان يخطب في حشد قدرته بعض المصادر بمائتي ألف على أنقاض مستعمرة اسرائيلية (٩/١٧ /٢٠٠٥ الوكالات)، اكد ان (حماس لا تزال ملتزمة بتحرير القدس والضفة الغربية وكل فلسطين بما في ذلك ما يعرف حاليا باسرائيل) وأعلن ريان في الحشد وجود عدد من المسؤولين في جماعة الاخوان المسلمين المصرية؟! للمشاركة في الاحتفال وطلب من الحشد الترحيب بهم، وشارك نحو ألف مسلح من كتائب عز الدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس في مسيرة أمام مكان الاحتفال وهم يحملون الرشاشات وقاذفات الصواريخ وسط انقاض مستعمرة (نتساريم)، وحمل الحشد الذي ضم نساء وأطفالا أعلاما غير فلسطينية وصورا لمؤسس الحركة الشيخ أحمد ياسين، وكان كبار قادة حماس مثل محمود الزهار واسماعيل هنية وسعيد صيام في طليعة المشاركين في الاحتفال .. لماذا كل هذا؟.

١- حشد بعشرات الآلاف من النساء والاطفال والرجال.

٢- استعراض مسلح (سبقه ولحقه استعراضات أخرى).

٣- وجود جماعة الاخوان المسلمين المصرية (قدموا من مصر).

٤- اعلام سياسية خضراء (وليست اعلام فلسطين كما اتفقت جميع القوى الوطنية والاسلامية).

٥- اعلان التزام حماس بتحرير حيفا ويافا والقدس والناصرة.

٦- صور للشيخ ياسين وشهداء حماس فقط.

لماذا كل هذا الاستعراض المنفرد والمنفلت والمبتعد عن روح واتفاق الوحدة الوطنية والعمل المشترك، ولماذا هذا التضخيم والتفخيم والمبالغة في الإستعراضية ؟! هل للإحتفال بالنصر والتعبير عن الفرح فقط؟ والقطاع كان واستمر سجنا للجميع؟ ولماذا كل هذه المبالغة ؟! وكان الأجدى التوجه لقوت الناس ومعاشهم بدلاً من صرف الأموال على مظاهر مبالغ فيها لم تستطع تحقيق صورة ان حماس من حقق النصر في غزة، أي ما هو بعيد عن الواقع. ولم تستطع كل مظاهر التضخيم والمبالغة هذه من نقش صورة المنتصر في ذهن الناس الذين يعلمون ان انخلاع الجيش الإسرائيلي من غزة كان بسبب عظمة وصمود الجماهير وديمومة ياسرعرفات وحركة " فتح" التي فجرت الإنتفاضة ثم لحقتها التنظيمات الأخرى بعد عدة شهور (قال ياسرعرفات في اجتماع مع مكتب التعبئة والتنظيم لفتح في ٢٠٠٤/٢/٩ أنه اتفق مع رابين على تسلم كامل قطاع غزة، وبعد ذلك يتم التفاهم على

الضفة ما ينقض دعاوى حماس وغيرها). وللأسف الشديد-ورغم كل شيء- بدلاً من ان تتحول الإحتفالات إلى فرح وسعادة تحولت إلى غم ومأساة،مع فوضى السلاح وتعدد الرايات ومحاولات التضخيم والتفخيم فاستقرت صورة خروج الإسرائيلين من غزة مترابطة مع تواصل الدمار حيث مأساة جباليا التي سببتها حماس والتي لحقها القصف الإسرائيلي، على عكس ما حصل مع حزب الله والخروج الإسرائيلي من لبنان.

وفي اطار التفخيم والمبالغة صرح القيادي في حماس خليل أبو ليلى وبشكل قاطع مانع (ان السلاح الشرعي الوحيد هو سلاح المقاومة والسلاح الآخرغير شرعي!!- قناة الإخبارية ٢٠٠٥/٨/١٦) وردد مثل هذا الكلام قادة آخرون من حركة حماس، رغم موافقة حركة حماس بعد كل أزمة على انهاء المظاهر المسلحة جميعها _أي انهاء السلاح الشرعي بمصطلحاته_ باستثناء ما أسماه أبو ليلى بحدة السلاح الآخر (أي غير الشرعي بمصطلحاته) أي سلاح رجل الأمن؟! انها الكلمات التي تنفلت من أمام اللسان ولا مجال لإعادتها ثانية إلى الحلق، في محاولة بائسة للتضخيم والمبالغة وفي لغة غير مقبولة ذات طابع اتهامي وتحريضي وتشكيكي.

وفي اطار التضخيم والمبالغة حاولت حماس والتنظيمات الأخرى ايضاً ان تضفي هالة من الأهمية على القذائف البدائية-ما تستمتع إسرائيل بتسميتها الصواريخ لتظهر وكأن بين الفلسطينيين والإسرائيليين حربا متوازنة حيث صواريخ مقابل طائرات، وحيث الإسرائيليين في موقف دفاع ضد الصواريخ الجبارة التي تقع على الأطفال والنساء والمدنيين- في محاولة لإسقاط فكرة في ذهن الناس أنها السبب ضمن أسباب أخرى في تحرير غزة؟! ولكن الواقع للأسف يفند ذلك ولم تفد محاولات التضخيم والنفخ، فلقد بلغ عدد القتلى جراء سقوط هذه (الصواريخ) متعددة الموديلات على منازل المواطنين ثمانية إضافة لعدد آخر من الجرحى، وتدمير خمسة منازل بالكامل (الوكالات ٢٠٠٥/٧/١٦) لماذا كل هذا ؟! هل فقط لتقول حماس عبر المواجهات أنها في مركز السلطة ولتصرخ (نحن هنا)؟! ولتقدم كل المبررات للحكومة الإسرائيلية ولشارون على طبق من ذهب ليظهر نظيفاً مؤدبا ملتزما في مقابل الفوضى واللإنضباط الفلسطيني، بل وتقدم قطاع غزة كوجبة لشارون ليلتهمها "ويحلي" وراءها بالضفة الفلسطينية وهو مطمع هذا الإرهابي وهاجسه الأول.

تاسعا: الهجوم والاعتداءات عابرة ام نهج؟

تحت أي ظرف من الظروف لم يكن ليتصور أحد ان يقوم فصيل فلسطيني بالاعتداء وعمدا على مواطنين فلسطينيين او على ممتلكات وعلى مواقع ومراكز هي ملك للشعب ولكن هذا للاسف وفي ظل الفوضى مارسته حركة حماس، وبشكل ينافي نظافة السلاح الموجه نحو العدو فقط كما رددت قيادات حماس مرارا وتكرارا؟! وينافي أبسط الاتفاقات المعقودة بين القوى الوطنية والاسلامية، بل وينافي الاصول والعادات والمنطق والدين. او بعبارات القيادي في حماس اسماعيل هنية الذي عبر – وتكرر ذلك فيما سبق ولحق– عن الالتزام (بتفاهمات القاهرة بين فصائل العمل الوطني الفلسطيني، والالتزام بالتهدئة وقدسية السلاح الداخلي بين أبناء الوطن الواحد – يراجع مقال الكاتب يوسف القزاز حماس والموقف الشجاع ٢٠٠٥/٧/٢١ الحياة).

جميع القوى الوطنية بلا استثناء عبرت عن حرمة الدم بعد كل حادثة اقتتال داخلي وخاصة ما حصل في شهر يونيو ٢٠٠٥ والتي أدت لاستثارة الناس جميعا. لقد استباحت حركة حماس دماء رجال الأمن والشرطة الفلسطينية وأحرقت المركبات العسكرية وأطلقت النارعلى رجال الأمن وحرضت من خلال المساجد وزرعت عبوات ناسفة في الأحياء وأطلقت النار على مراكز الشرطة وتوالت الاعتداءات والتي نشير لحادثة منها أساسية وقعت ضد الضابط رائد أبو حالوب (الوكالات ٢٠٠٥/٧/١٨) حيث قام المواطنون في بلدة بيت لاهيا بإغلاق الشوارع الرئيسية تعبيرا عن الغضب لمحاولة حماس اغتيال أبو حالوب وانزلت كتائب شهداء الاقصى بيانا استنكرت فيه التطاول على مرافق وممتلكات السلطة باعتبارها ممتلكات الشعب الفلسطيني قائلة (لقد فاجأتنا تلك الفئة الضالة التي كانت تشتري السلاح وتخزنه بحجة مقاومة الاحتلال ثم تبين بأن هذا السلاح يتم استخدامه في الاعتداء على مقرات الشرطة التي تؤدي واجبها الوطني لحماية الناس وممتلكاتهم) وأدانت الكتائب الاعتداء الذي تعرض له الضابط أبو حالوب وطالبت محاسبة من قام بتلك (الجريمة الوقحة).

ماذا فعلت حماس؟! (لقد هاجمت مئات من عناصر حماس مواقع صغيرة للسلطة لا يزيد عدد أفرادها عن ٣ او ٤ جنود، وهو تكتيك عسكري استخدم من قبل حماس مرات عديدة لخلق انطباعات زائفة عن القوة...)، وانتقلت حماس بميدان المواجهات إلى مدينة غزة وأحيائها المكتظة (وكانت بعض مجموعاتها قد أعدت سلفا لمهاجمة بعض مجموعات رجال الامن وآلياتهم، وأية آليات تحمل لوحات السلطة الوطنية، وقد وصل الترتيب المسبق إلى حد

استخدام قذائف (آر. بي جي) الصاروخية ضد الآليات – يراجع مقال الكاتب يحيى رباح المقيم في غزة، في الحياة ٢٠٠٥/٧/١٧).

وماذا فعلت حماس في مسيرة اعتداءاتها (الظافرة) أيضا؟! لقد هاجمت سيارة تابعة لحماس من طراز (فلوكس) مقر الأمن الوقائي القريب من مسجد الهداية في تل الهوى في مدينة غزة، وقام ركابها المسلحون باطلاق زخات من الرصاص، كما قامت باطلاق النار على دوريات الشرطة وأحرقت ٣ سيارات للأمن في شمال القطاع (الوكالات ٢٠٠٥/٧/٢٠) وتواصلت اعتداءات حركة حماس حيث قامت كتائب القسام التابعة لحماس باطلاق النار على عناصر من كتائب الاقصى توسطوا لتطويق المشكلة بين حماس والسلطة الفلسطينية؟؟! وكلما صرح القيادي في حماس سعيد صيام (ان الاشتباكات بين عناصر حماس والأمن الفلسطيني اصبحت جزءا من الماضي...) وان حركته (تحرص على ايجاد كل المناخات الضرورية لعودة الأمور إلى سابق عهدها – الوكالات ٢٠٠٥/٧/١٩) كلما حصل العكس و ازدادت حدة مناخات التحريض لدى حماس، وتكاثرت الاعتداءات، أي على نقيض ما يصرح به سعيد صيام.... والتي أدت إلى مقتل الرائد مكاوي في جباليا في حادثة في منتهى الخطورة سنتعرض لها بتفصيل أكثر.

لقد بدأت مجموعة من الاعتداءات المتكررة من حركة حماس في ٢٠٠٥/٧/١٤ عندما حاول أفراد الامن الوطني منع عناصر من كتائب عز الدين القسام في بلدة جباليا شمال غزة من إطلاق القذائف البدائية –التي لم تصب الا الفلسطينيين ولم يتضرر منها الا القضية – فهددت كتائب القسام بعدم التهاون – لاحظوا عبارة التهديد الصعبة عدم التهاون؟؟! والندية – مع قوات الامن الفلسطيني ان هي اقدمت على منع "المجاهدين" بالقوة من اطلاق الصواريخ (الشرق الاوسط ٢٠٠٥/٧/١٦) فشهدت الأراضي الفلسطينية نتيجة (عدم تهاون) حماس ودفاعها عن سلاح (المجاهدين) اشتباكات تجاوزت الخط الأحمر بين الأمن الوطني وعناصر من حركة حماس اسفرت عن مقتل فلسطينيين وجرح العشرات وتدمير ٣ مدرعات و ٤ ناقلات للجند تابعة للشرطة...

اذن لم تكن الاعتداءات وأشكال الهجوم المختلفة مجرد حوادث عابرة وإنما (نهج) بدأ يتم رسمه من قبل بعض الدوائر والتيارات في حركة (حماس) لانها (لا تتهاون) مع قوات الامن ؟؟؟ وترفض منع "المجاهدين" بالقوة من إطلاق القذائف الاستعراضية؟! – مع العلم ان وقفا شاملا قد وقع بعد حادثة جباليا التي حصدت ٢٣ شهيدا بفعل أخطاء في الاستعراض العسكري لحماس – ومع كل اتفاق على الوفاق الداخلي تعود كوادر التيار

التصعيدي في حماس الى الظهور لتحطم المؤسسات ومراكــز الأمــن وتقتــل المناضـــلين ويتضرر الناس المتواجدين في المكان.

استشهاد الرائد علي مكاوي

نعت حركة حماس في بيانها أعقاب يوم الأحد الدامي في ٢٠٠٥/١٠/٢ الــشهداء الذين سقطوا أثناء المعركة التي حصلت بين مقاتلي حماس ورجال الشرطة الفلسطينية (فــي الواقع هي نعت اثنين ولم تنعى الثالث وهو الرائد مكاوي؟؟! الذي قتلته مع الآخرين) وحملت مسؤولية ذلك – كالعادة– للسلطة الفلسطينية؟؟! رغم ان القوى الوطنية والإسلامية جميعا بما فيها الجهاد الإسلامي قررت إدانة حماس في ذلك، ورغم ان بيان لجنــة المتابعــة للقــوى الوطنية والإسلامية بعد حادثة جباليا التي سبقت مقتل مكاوي كان قد أكد على: – الالتزام بعدم حمل السلاح.

- **الكف عن الإستعراضات.**
- **سلاح السلطة هو السلاح الوحيد المسموح بحمله**

فإذا بمحمد الرنتيسي ابن الشهيد عبد العزيز الرنتيسي يتجول مع مرافقين مــسلحين واذ به على اثر خلاف مَن يسحب المال قبل مَن، من صراف البنك الآلي يــستدعي"فيلقــا" مجحفلا من حركته، واذ بعناصر حماس تنتشر بشكل مكثف في المنطقة الممتدة من الشاطئ حتى الشيخ رضوان في استعداد مسبق للإعتداءات المتكررة، واذ بالصواريخ الحقيقية هــذه المرة تطلق على مراكز الشرطة وعلى الرائد مكاوي.

ان عدم اعتراف حماس بالدم المراق في جباليا رغم دفعها دية القتلــى لاحقــاً حــسب الأخبار المحلية؟! وتكرار اعتداءاتها ضد السلطة يشير بأكثر من علامة استفهام كبيرة حول اهداف وسياسات وتيارات هذه الحركة!!.

ونعود لحادث الإعتداء على مركز شرطة الشاطئ والذي أودى بحياة مكاوي حيث يقول زميله على المملوك ثم أحمد كحيل " الحياة ٢٠٠٥/١٠/١٨" (كنا ١٣ شرطيا....، و٥ أفراد من الشرطة فقط كانوا مسلحين ببنادق كلاشنكوف مع أعداد محسوبة مــن الــذخيرة) مستطرداً(فوجئنا بسيارة جيب من نوع ماغنوم مسرعة من الجهة الشرقية للمركز.... تقــل مجموعة من الملثمين إلى جانب مجموعات أخرى اعتلت أســطح العمــارات.... توقفــت السيارة عند مسافة ٧٠ متر تقريبا من الحانوت القريب).

(وقامت عناصر حماس بالإشراف على المركز من نوافذ وشرفات بعض المنازل التابعة لأشخاص معروفين بانتمائهم للحركة) وفي رده عن كيفية معرفة المسلحين الملثمين والجهة التي ينتمون إليها أجاب: "كل سكان المخيم يعرفون الجيب بعلاماته المميزة..... ونحن كذلك". بالإضافة إلى "أنهم يرتدون لفافات خضراء على الرأس مكتوب عليها كتائب القسام". ونحن نقول ايضاً أن حماس أصلا لم تنكر الحادثة مطلقا وإنما انكرت مسؤولياتهاعن القتل فقط لاثنين من ثلاثة؟ ويسترسل كحيل (بقينا نراقب ونتابع ما يجري بحذر) ولم تمر دقائق(وإذ بوابل من الرصاص ينهمر علينا من كل صوب، دخلنا إلى المركز للإحتماء ومن غزارة الرصاص).

(وفي هذه اللحظات رأيت الرائد علي رحمه الله يصعد إلى سطح المركز المكون من طابقين وهو يتحدث بهاتفه الخلوي والحسرة والأسف بادية على وجهه نتيجة الأحداث.ولم يكن يتوقع بأن يبدأ المهاجمون بإطلاق قذائف صاروخية) مشيراً إلى ان الرائد مكاوي وهو من قادة كتائب شهداء الأقصى أيضا لم يكن يحمل سلاحاً حتى مسدسه الشخصي، وأضاف (توجهت اليه مسرعاً لأحذره من الصعود للسطح فهولا يعرف المكان بكل تفاصيله، ولم يعرف لأن خدمته كنائب لمدير المركز حديثه العهد. واعتقدت حينها أنه لا يعرف بأن المنازل المحيطة بالمركز تعود لأشخاص ينتمون لحركة حماس، إذ كنت متأكدا بأنه سيتعرض لإطلاق نار بمجرد ظهوره على السطح خاصة وان المركز قد تعرض لإطلاق النار من هذه البيوت ومن المسلحين عدة مرات)؟؟؟؟! وعندما ركض كحيل باتجاه مكاوي وقبل ان يصله بأمتار انفجرت قذيفة صاروخية من نوع"اربي جي" فأصابت الرائد بجانبه الأيسر فسقط أرضا مضرجا بدمائه . ويقول الشاهد أحمد كحيل: نزلت بعد ذلك مسرعا ناطقا بالشهادتين بصوت عال وأصرخ وأهلل بأن الرائد علي استشهد..... ولم تكتف القوات المهاجمة المجحفلة بقصف المركز وقتل الرائد ثم مواطنين، بل الأدهى والأمر أنها منعت أفراد المركز من سحب الرائد الشهيد من مكانه باطلاق الرصاص عليهم؟! وبعد مرور ٢٠ دقيقة حضرت سيارة الإسعاف (بعد تدخل أخوة من تنظيم فتح من مخيم الشاطئ للتفاوض مع أفراد حماس للسماح لسيارة الإسعاف بالوصول؟!!)-لاحظوا تمركز وهجوم وتدخلات ومنع إسعاف ومفاوضات وكأننا في معركة مع العدو؟؟!- وأضاف: انه أثناء اخلائنا للمكان كان أفراد من حماس يتمركزون فوق" الجامع الأبيض" القريب جداً من المركز حيث كان يتمركز فوق الطبقة الأولى من المئذنة اثنان من المسلحين وفوق الطبقة الثانية اثنان آخران.

لم تكتف جحافل حماس-شارك في الاعتداء الآثم أكثر من ٦٠ عنصرا- بمحاصرة المركز وقصفه واطلاق النار على من فيه ومنع اسعاف الرائد مكاوي ومنع سيارة الإسعاف واستغلال المساجد في (الحرب المقدسة) بل قتلت طفلا كان يقف قرب سيارة الإسعاف ايضا وإمعانا في التخريب قاموا بقصف محولات الكهرباء في المنطقة أيضا؟!.

هل نقول ان ذلك من فراغ؟! أم (عيّل وغلط؟!) أم انها حادثة عابرة؟! ام ان التحريض الأسود من بعض قادة حماس في الإعلام والمنابر والمساجد والمهرجانات يؤدي إلى ما حصل؟! ام ان قرار المواجهة قد أخذ على أعلى المستويات، وعين على الزناد وعين على السلطة... و(قتلانا- أي قتلى حماس- في الجنة وقتلاكم -أي الآخرين- في النار)، و(من يقتل شرطيا دخل الجنة) كما ردّد المهاجمون لمراكز الشرطة؟! لا ينكر عاقل أن لمثل هذه الأحداث قد يكون علاقة مباشرة بعقلية تحريضية، وأخرى تخريبية مرتبطة بالضرورة بمصالح غير وطنية، وتصب في خدمة أعداء الشعب الفلسطيني ولا نعفي الكثيرين من الارتباط بالإسرائيليين وكما هو الحال في كثير من حالات العمالة التي اكتشفت في التنظيمات الفلسطينية ومنها البعض من حركة حماس في هذه الانتفاضة.

عاشراً: القوة ام القانون

لا جدال في ان القانون والناس والوطن هم الخاسرون من قرار المواجهة الذي قد تكون اتخذته حماس ضد السلطة، ولا جدال في ان القانون مغيب من قبل جميع التشكيلات المسلحة سواء كانت تابعة لحركة " فتح" او تابعة لحركة "حماس" أو الجهاد الإسلامي. متى ما كان الخروج على الإتفاقات المتتابعة الواحدة تلو الأخرى هو ديدن عدد من هذه التشكيلات وعلى رأسها حركة حماس.

عبرت "حماس" عن احترامها للقانون لفظا، ولكن على أرض الواقع وقع صوت الرصاص في الأذن وفي الصدر ليكذّب مفهوم الإحترام للقانون الا اذا كان أخذه باليد قانونا يقتل معه اللواء موسى عرفات والعميد تيسير خطاب، ويطلق عبره النار على مدير المخابرات الفلسطينية، وعلى كوادر كثر منهم أبوحالوب، وتوفيق أبو خوصة في محاولات من حركة حماس للإغتيال.

ان أخذ القانون باليد تمثّل بجميع الأعمال المنافية للإتفاقات وللوحدة الوطنية ولشرف السلاح وليس أقلها الهجوم على كازينو في غزة أو ممارسة القتل المباشر والمتعدد وكما حصل بقتل الرائد علي مكاوي. واحترام القانون لا يعني الموافقة على نتائج انتخابات

ورفض أخرى، فعلى سبيل المثال أعلنت حركة حماس انها تحترم قرار المحكمة الفسطينية الغاء نتائج انتخابات البلدية جزئيا في رفح والتي فازت فيها حماس في الخامس من ايار وطعنت في ذلك حركة فتح لسبب التزوير، رغم التذبذب والتردد الذي طال تصريحات حماس من الموافقة على القانون واعلان احترام القضاء ثم الانتقال بعد ذلك إلى رفضه واتهامه.

ان من يريد للقضاء والقانون أن يسود لا يقوم بتشكيل جيش مناهض، ولا يقوم بتدريب قوات في أرض لا عدو فيها، ولا يقوم باستعراض قواته في بلد يجب ان تحكمه سلطة واحدة وحكومة واحدة وارادة واحدة كباقي حكومات وشعوب العالم... والا فإن غير ذلك دمار للناس وللقضية واسقاط للقانون من جهة، ومن جهة ثانية دفعا للمواجهة في رغبة الانقلاب على السلطة.

حادي عشر: استغلال الاطفال

كلنا يذكر الإساءة الكبيرة للفلسطينيين، ابان زخم الانتفاضة في العام ٢٠٠٣، حيث قام أكثر من ١٢ طفلا بمحاولة الوصول إلى (المستوطنة) القريبة من بيوتهم في غزة لتنفيذ عملية (استشهادية- تفجيرية- انتحارية) حيث استغلت إسرائيل حينها ذلك استغلالاً كبيرا فاتهمت الفلسطينيين بالإساءة لأطفالهم إلى حد التخلص منهم بالعمل الإنتحاري ولأنها فضيحة حقيقية تم فيهااستغلال الأطفال، فلقد اعلنت التنظيمات جميعا حينها التبروء مما حدث، و رفض استخدام الأطفال للقيام بمثل هذه الأعمال رغم ان جميع اشارات الإتهام كانت تشير بوضوح لحركة" حماس" التي ما فتأت تعبئ الأطفال وتحرضهم في المدارس والمساجد، وكما هي عادة بعض القيادات السياسية التي تستخدم الآخرين لأهدافها.

واذا تركنا هذا المثال جانبا وقبلنا رواية حركة حماس فإننا لا يمكن ان نعفيها من المسؤولية لأن التحريض المباشر أو غير المباشر في المساجد والحارات والمدارس يفعل فعله في نفسية الطفل فيقدم على ما لايجوز لمن في مثل سنه أن يفعل، ولإمكانية الدلالة على دور حركة (حماس) او تيار تصعيدي فيها وميداني نقول: ان الأطفال الذين صورتهم جميع كاميرات العالم (وهم يرقصون ويهتفون فوق آلية الشرطة الموقدة بنار الجهل والتجهيل، والمولوتوف المخلوط بفيروسات حارقة للخطوط الحمراء ....-الكاتب موفق مطر في الحياة ٢٠٠٥/٧/١٧) هم من تم استغلالهم كبراءة وطفولة، وزرع الحقد في نفوسهم ضد السلطة وضد قوى الأمن الى تلك الدرجة، وإلى درجة انهم في بعض مدارس غزة يدمرون حنفيات

المدارس التي يشربون منها الماء (ألهذا الحد تم العبث بمشاعر وأحساسيس وأفكار وعواطف اطفالنا وفتياننا وشبابنا فصارت مظاهرات الكراهية والعداوة والإفتخار بالدعوة لإهدار الدم الفلسطيني حالة تستحق رفع شارة النصر لأجلها، وكأن ذوي الزي الأزرق المرقط – الشرطة الفلسطينية– غزاة محتلون،– الكاتب المقيم في غزة موفق مطر، مقال في جريدة الحياة الجديدة).

(لماذا جمع الأطفال وحشروا في حافلات أقلتهم من أمام مساجد عدة ليساقوا الى حي الزيتون ليس لقطف المحصول فأوانه لم يحن بعد!!! في حركة صبيانية لعرقلة عمل ومهام الشرطة. ألم يفكر المعبئون لأدمغة أولادنا بمفاهيم الكراهية والحقد والعدوانية والحض على "القتل الحلال" وهدر الدماء بإن انعكاس الحالة على قلب المجتمع بنفس القوة أمر لا بد منه ولو بعد حين –الكاتب موفق مطر).

(هل يعقل هذا؟! وما هو تبرير القيادات السياسية والدينية لحركة حماس؟! الا يحق لنا ان نسأل أي نوع من التوجيه هذا الذي يجعل الفتيان يصلون إلى هذا المستوى في التعامل مع الإشكالات والمشاكل والقضايا الأمنية الداخلية؟!ولماذا الأطفال في الواجهة دائماً –موفق مطر، المقال السابق).

(هل يعرفون إلى أي مدى بلغ عمق المخاوف وكثافتها التي يخلقها في المجتمع طغيان العنف والتكفير والتطرف ونشر مفاهيم الكراهية في المجتمع الفلسطيني) .... نعم انه مدى عميق يؤدي بالطفل إلى الإنتحار على اعتاب المستوطنة، حيث–للمعلومة– قتل الأطفال جميعاً دون ان يصلوا لهدفهم أصلاً، ومدى عميق يجعل الأطفال يخربون الآليات الفلسطينية ويرقصون عليها رافعين شارة النصر، ويدمرون الممتلكات العامة في مدارسهم، ويحدثون بذلك شرخاً عميقا ومواجهة قادمة، وكل ذلك باستغلالهم من القيادات من أجل السلطة! أم ماذا؟!.

ثاني عشر: الخلاف السياسي والتكفير

تخوض حركة حماس" حربا" داخلية على جبهتين الأولى وهي الجبهة السياسية والثانية وهي الجبهة الأيدلوجية ولأنها تنظيم يجمع بين صفات الجماعة الدينية والتنظيم السياسي فانه يتم استخدام الدين لأغراض سياسية بكل وضوح، حيث يستخدم السياسيون خطاباً ايمانيا يقصرونه على أنفسهم وأطرهم ويستغلون المساجد أبشع استغلال، كما يستغلون المدارس والحارات . الديني في خدمة السياسي، والسياسي يدعم الأدلجة، فالأطفال

والكوادر متعلقون بقادتهم الذي يسعون للمواجهة ويسعون للسلطة لأنهم قادتهم دون غيرهم، فهم " ربانيون"، وفي السياسة مصالح الناس هي الأساس وليس حماس هي الأساس كما تقول شعاراتها، وتلبية احتياجات الناس هو الحل وليس الشعار الكبير والهام ولكنه المسيس والمفرغ من مضمونه الحقيقي بأن الاسلام هو الحل.....

كيف لا تكون تلبية احتياجات الناس من إعمار وتنمية وبناء شوارع ومدارس ومياه وكهرباء وهو ماتقوم به السلطة الوطنية- واي حكومة في العالم تجاه شعبها- هو الحل، ونعتقد ان الإستعراضات بالقذائف البدائية لأنها تأتي من دعاة شعار (الإسلام هو الحل) هي الحل ؟! وكيف نعتقد ان الإستعراضات العسكرية بآلاف البنادق، و(بالصواريخ) التي قتلت من الفلسطينين أكثر من الإسرائيلين هو أو هي الحل؟! ولا يكون استثمار الأموال التي تم شراء الأسلحة بها في بناء البيوت ورصف الشوارع ونظافتها والحفاظ على حنفيات المياه هو الحل!!.

ان استغلال ما هو ديني بمعنى الإيمان والكفر وبمعنى تصنيف درجات الإيمان ودرجات القرب من الله عز وجل بالسير وراء هذا الحزب أو ذاك هو من أسوأ أنواع الإستغلال. ان التنظيم السياسي يسير في ركاب الجماهير ويلبي متطلباتها،والجماعة الدينية تقوّم السلوك وتزرع الإيمان، ولأن حاجات الناس متغيرة والعقائد ثابتة فلا مجال لإسقاط الثابت على المتغير أو المتغير على الثابت إلا بعقل مفتوح ووسطية رحبة تتفهم المتغيرات ولا تحكمها بالحلال والحرام والأبيض والأسود والايمان والكفر فقط بل تميز بينها كثير من الألوان.

(ان الحركة -المقصود فتح هنا- تقفز على الكثير من الممارسات والتصريحات والأقوال التي تحمل التحريض الصريح المباشر ضدها، وضد قيادات السلطة الوطنية الفسطينية التي من الأساس قيادات فتحوية، صادرة عن بعض قادة حركة حماس خاصة تصريحات خطيرة لأحد قادتها المركزيين في مخيم البريج والنصيرات التي وصلت إلى حد التصريح المباشر والصريح بالقتل وقطع الأعناق وسفك الدماء- بيان لحركة فتح في ٢٠٠٥/٥/١١) وان الإتهامات التي طالت تلك الفترة كل من عبد الله الافرنجي ونصر يوسف عضوا مركزية فتح يتقاطع فيهما السياسي والديني، فالتحريض عليهما لا فرق فيه في العقل المؤدلج بين السياسي والديني فيصبح الإتهام الموجه لأي شخص إلى حد القتل أحيانا اتهاما صريحا بالتكفير ما يعنى جر الناس والكوادر إلى شق المجتمع الواحد إلى مؤمنين وكفرة أو مؤمنين وغير مؤمنين بنسب تتناقص إلى درجة ان يستباح دمها.

ان من مخاطر استغلال الدين هو في إضفاء القداسة حتى على الخطيئة التي ان جاءت من شخص مقدس، إطار مقدس.... فهي كذلك أي فعلة منزهة مقدسة، وليست خطيئة. اما المكرمة وان جاءت من شخص مصنف في الخندق الآخر فهي نقيصة وخطيئة وان كانت في ميزان الحسنات مقدمة.

تم إلصاق أوراق كبيرة على أعمدة مسجد خالد بن الوليد في مدينة رام الله-عين منجد يتهم فيها كاتبوها وزارة التربية والتعليم الفلسطينية بأنها تعلم الأطفال الكفر ؟؟! لمجرد انها تتحدث تاريخيا عن" الإله بعل"، وعن " حقوق الإنسان" وقضايا أخرى غير ذات أهمية. وفي استفتاء تم عبر أحد المواقع "الاسلامية" التابعة لحركة حماس ردا على سؤال عن امكانية الكذب على طلاب حركة فتح في جامعة بيرزيت ممن يقدمون مبلغ ٢٠٠ شيقل للطلاب لجذبهم لانتخابهم أنه هل يجوز أخذ هذه الأموال منهم وعدم انتخابهم؟ وماذا عن طلبهم القسم على انتخابهم أيضا؟! وكان رد المفتي الإسلامي العظيم من الموقع الذي تحت رعاية د. يوسف القرضاوي كما يقولون بالإيجاب. بمعنى أنه يجوز لك ان تخدعهم، تكذب عليهم، تضللهم، لأنهم من دعاة الفساد في الأرض وعليه يمكنك أخي الطالب المسلم الإستيلاء على ال٢٠٠ شيقل، ولكن المسلم لأنه ينزه نفسه عن هذه الأموال فليعطها للمؤسسات الخيرية(بالطبع على رأسها حماس) ويكفرعن يمينه الذي حلفه لهم بانتخابهم بدفع الكفارة وقدرها المفتي العظيم ب٥٠ شيقلا. بمعنى آخر يسرق الطالب من حركة حماس ال٢٠٠ شيقل من الفسدة الكفرة طلبة فتح ويعطي ١٥٠ شيقل لحماس و٥٠ شيقل لله كفارة يمينه ولا ينتخبهم. هكذا يتم استغلال الدين في السياسة؟؟! ورغم دعوة موقع طلبة حماس على الإنترنت لقيام الليل نصرة لقائمة حماس فلقد فازت حركة "فتح" في انتخابات جامعة بيرزيت.

ان الإسلام دين عظيم يهتم بتهذيب الذات عقلاً ونفسا وروحا ويسمو بالنفس ويحترم العقل ويترك لكل مسار من مسارات الحياة ان تتخذ قوانينها باستدلالات الشرع والعقل، ولا يخلط بين شأن هو للعبد وربه في شأن هو للعبد تجاه شعبه أو له تجاه أهل بيته.... ان الدين الحنيف يضع خطوطا ويرسم حقائقا ويضع توجهات، وفي المجتمع المسلم الكل مسلم وليس لأحد أن يتهم الآخر بنسب محددة في ايمانه ما دام الصراع في ميدان مصالح الناس فلا تكفير ولاسقاط لقيم العلاقة مع الخالق على قيم العلاقة بين الشخص والآخر فلكل من العلاقات قيمها.

ان استخدام ثوابت الدين في صلب الأمور المتغيرة وهي حاجات الناس إدخال المطلق في شؤون يومية قد تقبل اليوم وترفض غدا،لأن اختلال المعادلات ودخول العوامل يجعل من القبول كاملا أو جزئيا أو مرفوضا، ولأن ادخال ثوابت العقيدة في البحث السياسي إقفال لباب الرأي والرأي الآخر، فالأول مقيد بالنص والثاني مرتبط بحاجات الناس، وهنا تكمن الخطورة وخاصة لدى من لا يستطيع التفريق فيتحول الخطأ أو الرأي المخالف إلى كفر، فيتم تجييش الأطفال والنساء والرجال في مواجهة قادته لإنتزاع السلطة من أهل الفساد والفسق والإلحاد.

انقسام و مواجهات ونزاع

ماذا تقصد حركة " حماس" بعمليات التحريض وشن الحملات بعمليات الإستعراض، وكيف نفسر الإصرارعلى العمل خارج النظام؟ وما هو سر أساليب التفخيم والمبالغة؟ وما السبب الذي يؤدي بتنظيم سياسي يستلهم سيرة الصحابة كما يقول، ويزرع قادة ربانيين كما يقول أيضا، مالسبب الذي يجعله يعتدي على الناس ويكفّر كوادر الأمن ويطالب الله ان يدخل بهم الجنة؟ وما الذي يجعل تنظيم مثل حماس -وان نشأ في مرحلة متأخرة جدا عن انطلاقة الثورة- يقرر انه الذي يحقق النصر في الإنتفاضة وفي غزة؟ ويستغل الأطفال ويرفض احترام القانون ويوقع الاتفاقات تلو الاتفاقات مع حركة فتح ومع السلطة ثم لا يلبث ان يمزقها؟! هل السبب هو في دخول هذه الحركة أوالية الصراع السياسي مكرهة حيث البندقية نكست وصوت السياسة علا ؟ أم السبب ان تيار المقاومة المستمرة تيار التصعيد تيار القاعدة العسكرية هو المسيطر على الأرض؟ بينما الجزء الآخر من القيادة السياسة التي تشكل تيار الإعتدال وتيار نبذ العنف لا تستطيع ان تحقق شرعيتها بالإستجابة للضغوط أو بالتماهي مع السلطة لذلك تجد نفسها مضطرة للتماهي والإستجابة للضغوط القاعدية؟ فكل فلسطين ضمن نطاق المقاومة ثم ينقض هذا القول، وسلاح المقاومة يذود عن الوطن ثم يوجه لصدور أبناء الوطن!! ولن نسلم سلاحنا لأي كان ومع ذلك ندخل العملية الديمقراطية التي تفترض حوار الألسن لا البنادق!!

ان السلوك العلني لحركة حماس كما أوضحنا بالدليل وأثبتنا فيه كثير من التخبط وكثير من التملص أدى لفقدانها مصداقيتها. فالتنظيم الرباني المقاوم الذي يرفض الغنائم والمرتبات والسيارات-كما يقول- ها هو يندفع بقوة للسلطة ويقاتل عن حقه بحصة كبيرة في هذه السلطة بالسلاح؟!

ان الرايات الإنفصالية التي ترفع، والسلاح غير المنضبط والمظاهرات المنفصلة والصدامات مع الجماهير ومع الشرطة والأمن الوطني وفتح، وأصوات التحريض العالية في الإعلام والأشد قسوة في المدارس والجوامع والحارات... أدوات في المجابهة والنزاع. ودلالة على انقسام لا يحل الا بالوجهين المتناقضين ديمقراطية سلمية واستئساد قاعدي، مكبر صوت مع كلاشينكوف!!

(ان حماس ليست سلطة داخل السلطة ولا هي في مواجهتها ولا فوق القانون ولا تنازع أحدا في ذلك- بيان لحماس الوكالات ٢٠٠٥/٨/١٤) ولكنها في ذات البيان تعلن التمسك بسلاح المقاومة"؟؟؟" حيث ان أي سلاح غيره غير شرعي؟! كما قال خليل أبو ليلى وغيره من قادة حماس وتصر على (حماية الجهاز العسكري دفاعاً عن أرضنا وشعبنا-كما تورد- واستكمالا لمسيرة التحرير والنصر بإذن الله.-حسب البيان)

إن حركة حماس التي ليست سلطة داخل السلطة تفعل ما تفعل من فعل سلطوي طاغ مما أوردناه وأكثر وتهدد أصحاب السلاح الآخر من (السكارى)؟! كما وصفهم الشيخ الزهار، وستعمل هذه الحركة التي ليست فوق القانون كما تقول (على قطع الأيادي الأثمة التي تمتد إلى المجاهدين وتعرض وحدتنا للتصدع – من بيان لحماس ٢٠٠٥/٧/١٤). وهي ذاتها أي حماس (التي لا تنازع أحدا في ذلك) أي في السلطة، تقول في احد بياناتها (٢٠٠٥/٧/١٤- الوكالات) (انها لن تتهاون مع الذين ينفذون......) وستقطع أيديهم وربما أرجلهم من خلاف أيضا، وبذلك فإنها (تسعى للشراكة مع أبناء شعبنا في القرار – بيان ٢٠٠٥/٨/١٤).

انشقاق داخلي:

ان في حركة حماس قرارا واضحا بالمواجهة والتصعيد يلقى قبولاً من طرف، ويرفضه طرف آخر حيث تعاني الحركة من انشقاق بين التيارات والتي من الممكن أن نرصدها بوضوح. ففي مقابل تيار المرحلية والتسوية والإعتدال الذي يظهر من اقطابه الشيخ اسماعيل هنية، و د. محمد غزال والشيخ حسن يوسف فك الله أسرهما، يقف معسكر د. محمد الزهار وسامي أبو زهري والشيخ نزار ريان وآخرون في الركن أو الإتجاه الآخر.

لقد أكد الشيخ اسماعيل هنية ان حركته ليست ضد المرحلية، وان حماس ترى ان تحرير أي شبر من أرضنا الفلسطينية انجاز لشعبنا – نفس ما قالته حركة فتح بالنص منذ عام ١٩٧٣- وأكد في لقاء مع الصحفيين في قاعة مندرين في غزة (الحياة الجديدة ٢٠٠٥/٧/١٦) (ان المصلحة الوطنية تقتضى المشاركة السياسية بالمشاركة في

الإنتخابات...وشاركت" حماس" فيها واقتضت أيضاً ان تعطي تهدئة مـن خـلال حـوار القاهرة فأعطت الحركة والفصائل الأخرى هذه التهدئة خدمة للمصلحة الفلسطينية الداخلية)، وأكد ان منهج حماس هو (الوسطية والإعتدال للفكر)-ما تقوله فتح أيضا فيما سبق- هـذه الوسطية والإعتدال التي لا نراها مثلا عند الشيخ سعيد صيام الذي قال في نفس اللقـاء(ان الإنسحاب يعتبر ثمرة من ثمرات المقاومة) فقط؟! ما لا يعد حقيقـة . حيـث عبـر قـادة إسرائيل عن خشيتهم من القطاع الذي يمثل قنبلة ديمغرافية وبمشاكل عدة منذ سنوات طوال دعت رابين لاتفاقه مع الراحل الزعيم عرفات بالخروج من غزة، ورغم ان صيام اعتبر (ان خروج المستوطنين من القطاع وشمال الضفة ليس نهاية المطاف، ولا يشكل تحقيقا للحـد الأدنى من مطالب شعبنا) فلا أحد يفهم جليا كيف يجيّش الجيوش ويسيّر المسيرات ويقـيم الإستعراضات الباهظة التكاليف التي تتفجر بالناس احتفالاً بالنصر العظيم(الـذي لا يـشكل تحقيقا للحد الأدنى من مطالب شعبنا)؟؟... ان صيغ المبالغة سواء في التهوين أو التفخـيم صيغ تشدد ذات دلالة وليست صيغ اعتدال ووسطية.

ان اتصالات حركة حماس مع الأوروبين (الوكالات ٢٠٠٥/٦/١٧) تـشكل دعمـا للتيار المعتدل في حماس بينما يؤكد د . نزار ريان رفضه للإعتدال ولمنطق المرحلية حيث حماس (لاتزال ملتزمة بتحرير القدس والضفة الغربية وكل فلسطين بما في ذلك ما يعـرف حاليا بإسرائيل- الوكالات ٢٠٠٥/٩/١٧). وفي لعبة الدعم الإسرائيلي والـداخلي والـدولي للتيارات في حماس فإن إسرائيل على حد قول داني روبنـشتاين فـي صـحيفة هـآرتس الإسرائيلية (٣ تشرين أول ٢٠٠٥) (عبر الإعتقالات الجماعية والتصفيات تعيد حماس إلى الوراء وتعزز التيار المتطرف فيها) فيصر هذا التيار على ان حادثة بـل مأسـاة جباليـا وال٢٣ شهيد قضوا ليس بسبب سوء ادارة المنظمين للإستعراض الذين استخدموا الـسلاح الحي والقذائف بين الجماهير على سبيل المثال؟! ويصر هذا التيار علـى الاحتـراب مـع السلطة وكما حدث في مركز شرطة معسكر الشاطئ والشيخ رضوان حيث سـمع أهـالي المنطقة ومنهم الملازم أول هاني المملوك مكبرات الصوت من المساجد المجـاورة لمركـز شرطة مخيم الشاطئ تصدح بالشعار التحريضي التفكيري الكبير (قتلانا في الجنة وقـتلاكم في النار) فيبدأون في قصف محول الكهرباء ثم مركز الشرطة؟ فهل هذا من فعـل مـن يحترمون القانون وتيار الوسطية ونقاء السلاح؟! ام من فعل تيار المواجهة والتصعيد ممـن يحركهم إما الحقد أو مجموعة من غير المبرئين من الإرتباط بالعدو لا سيما وهـو ينخـر عظامنا وعظام تنظيماتنا السياسية والمجتمعية؟!.

ان الإختلاف في الرأي وفي المجتمع وفي التنظيم الواحد شيء مقبـول ولكـن ان يستخدم السلاح لفرض الرأي والقفز للسلطة فهذا غير مقبول. لأن في ذلك مفسدة كبيرة....

وكما قلنا ان في حركة حماس تيار اعتدال ووسطية يقابله تيار تصعيد ومجابهة، فإن لتصريحات الشيخ حسن يوسف (الوكالات ٢٠٠٥/٧/٧) في الرد على د. الزهار حقيقة جليّة على التعسكر، حيث أدان الزهار وقال رداً عليه (انه لا أحد يستطيع نزع الثقة من الرئيس أبو مازن فهو رئيس منتخب من الشعب الفلسطيني وعلى الجميع احترام هذا الخيار) أي بمن فيهم الزهار الذي قال قبل يومين من هذا الرد انه فقد الثقة بأبي مازن واطلق تهديداته ضد السلطة. واعتراض الشيخ حسن يوسف على تصريحات د. محمود الزهار حيث قال (ان الإنسان قد لا يوفق في بعض التصريحات....) أردفه بالقول الكبير انه يجب(علينا ان نتسع لبعضنا البعض لأننا أمام معركة كبيرة مع الإحتلال وبالتالي لا يجوز ان نخوض معارك جانبية هنا وهناك وتحت أي ظرف من الظروف).

ان تنظيم (فدا) على سبيل المثال حذر من استخدام السلاح في الصراع على السلطة، مشيرا لأسفه من تزامن اطلاق الصواريخ من قبل حركة حماس على المدن والقرى داخل إسرائيل وقيام المجموعات المسلحة لحركة حماس بالهجوم المسلح على مقرات قوات الأمن مع وصول الرئيس محمود عباس إلى قطاع غزة (٢٠٠٥/٧/١٦) . والجبهتان الديمقراطية والشعبية دعتا لعدم الإنجرار للفتنة وحيث(لايحق لأي من الفصائل اتخاذ خطوات ذات أبعاد خطيرة تهدد أمن واستقرار الوطن) كما قالت حنان عشراوي، ما يشير إلى أي عملية عسكرية أو اطلاق قذائف أو خلافه لأنه(يجب ان نحترم ان لنا سلطة واحدة وقانون ومؤسسات واحدة ومنها المؤسسة الأمنية وهي للشعب) (وألا يشعر فصيل أو طرف انه فوق القانون أو يستطيع ان يحرض على السلطة) كما اضافت د. حنان عشراوي. ان حركة حماس التي يحركها تيار تصعيدي تحريضي يسعى للمواجهة بغية الإنقلاب على السلطة القائمة واقامة سلطة جديدة (ليست زاهدة في الحكم) – كما يقول صالح القلاب ٢٠٠٥/٨/١٨– (ولم تعد متمسكه بالتحرير من البحر إلى النهر كما قدمت نفسها للشعب الفلسطيني وللعالم عندما انطلقت عام ١٩٨٧– صالح القلاب نفس المقال السابق). وعليه فإن تدني مساحات الدوائر التي تتحرك فيها وادراكها – أو تيار فيها– بضرورة عدم السباحة ضد التيار لا يعجب التيار الآخر ما يعني وجود مخاوف حقيقية من الإنزلاق نحو الإقتتال الداخلي والحرب الفعلية.

خاتمة

في هذه الورقة المعنونة حركة حماس: المواجهة والبحث عن السلطة حاولنا النظر في أساليب حركة حماس خاصة منذ اتخذت قرارها الجريء بالدخول في العملية الإنتخابية في النصف الأول من عام ٢٠٠٥، ومدى تأثير ذلك.... ما ظهر في التصريحات والأقوال والفعاليات الميدانية والاستعراضات والاقتتال.

هل استطعنا أن نبين الأسباب التي جعلت من المواجهة -بحسب ما رأينا- قرارا تتخذه حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ضد الخصوم في العملية السياسية؟ ام اننا بعرض الأفكار والمبادئ في نطاق العمل السياسي ولعبة السلطة التي استخدمتها حركة حماس بخشونة أحياناً، ومرونة احياناً أخرى نكون قد سبرنا غور نهج جديد للحركة، ام عدة أنهج في نطاق التنظيم الواحد وهو ما نميل إليه.

لربما تكون الكثير من التساؤلات مشروعة خاصة وان المراقب للأحداث يرى تصعيدا غير مفهوم أحيانا من قبل هذه الحركة التي قدمت نفسها كبديل ولكن دون صراع على المناصب كما قالت ما تناقض والتطبيق الفعلي لها..... وما يترك مفهوم النضال والمقاومة وكأنه مجرد أداة ضاغطة لمزيد من السلطة والقوة، خاصة والرفض العلني للوحدة في الإرادة والقرار والأداة.

تساءلنا في ورقتنا هذه عن جذور بدايات الإقتتال الداخلي الفلسطيني الذي قد يصل لحد الفتنة الكبرى في مرحلة قادمة والذي شكلت حركة حماس فيه محورا هاما وقوة رئيسية.... فهل كانت الأسباب مرتبطة بخرق الاتفاقات السياسية؟ ام انها كانت مرتبطة بالفعاليات الميدانية العسكرية غير المنضبطة؟ ام كانت مرتبطة بالخلافات داخل حركة حماس ؟ ام كانت مرتبطة بالتحريض الشديد الإعلامي والداخلي وانعاكاساته على الكوادر والميدان؟ قد نكون أجبنا على ذلك.... وقد نكون فتحنا الباب فقط !.

وحاولنا الإطلال على الترددات والتقلبات والرغبات وآليات التحريض والتوتير والهجوم حتى حد القتل ما بدر من حركة(حماس) التي قالت بشرف السلاح وعدم توجيهه للفلسطينيين ما تعارض مع التطبيق. ومع اننا لا نعفي الأطراف الأخرى في الخلاف أو الإشتباك أو الإقتتال من المسؤولية الا ان تركيزنا هنا بالبحث على حركة حماس اولاً، وثانياً: لأنها طرحت بذاتها تميزا عن الآخرين لم نراه ابداً، بل ظهرت حركة حماس في

لبوس التنظيم السياسي الباحث عن السلطة الذي لا يتورع عن استخدام أي وسيلة لتمتين أو لتمكين ذاته منها.

رأينا ان سلوك حركة حماس -بحسب ورقتنا هذه- ضربت فيه المصداقية ما أثبتناه هذا أولاً، وثانياً انه-أي سلوكها- تساوق مع الضغوط الداخلية والخارجية، وشكلت بالفعل سلطة خارج السلطة ثالثا، وشاب سلوكها رابعا التملص وشيء من التخبط لا سيما والمظاهر الإستعراضية الكبرى أصبحت من مقومات عملها اليومي وهذا خامسا. كما هو الحال مع آليات التضليل المستخدم في التصريحات والبيانات وعلى الفضائيات ما كذبتة الوقائع والذي كان من السلوكيات التي عرضناها (سادسا) إلى جانب فن التحريض واثارة الاحتقان سابعا، كما ان سلوكيات وقيم وأساليب التفخيم والمبالغة في الغايات والأهداف مع قلة الإمكانيات (ثامنا) لم تتفهم التعبئة الأيدلوجية والواقعية السياسية فحققت الخلط في الممارسة والتشويش للكوادر، لاسيما- وهذا تاسعا- ان الهجوم والاعتداءات التي بدرت من كوادر حماس خرقت حرمة الدم واستجابت للتضليل والتحريض القيادي ما أشار إلى ان حركة حماس أو على الأقل تيار فيها تصعيدي تشددي وربما فيه خط خارجي يحاول فرض رؤيته ومشروعه مستخدما القوة وضاربا بعرض الحائط القانون كما أسهبنا، وكما من الممكن إرجاع عقلية الصدام والتشدد الى زمن أبعد حيث حادثة المسجد العمري في غزة التي حاصر فيها كوادر من حماس الرئيس الراحل ياسرعرفات عام١٩٩٤ مسببين عراكا قويا و مفسدة عظيمة . وكانت هذه النقطة العاشرة.

وعليه كان لا بد من استغلال كل الامكانيات والانسان وحتى الأطفال (حادي عشر) وأيضا اتهام الآخرين والتعريض فيهم والتحريض عليهم بناء على الخلاف السياسي الذي يضعهم في خانة الكفرة

(ثاني عشر) مالا يجوز أن يصدرعن تنظيم سياسي قد يصيب كثيرا وقد يخطئ كثيرا. لنخلص انها ضريبة قرار المواجهة والبحث الحريص عن السلطة وضريبة الإنقسام في الساحة الفلسطينية وفي داخل حركة حماس. كما هو شأن التنظيمات الأخرى وعلى رأسها حركة " فتح" ونتيجة المواجهات الداخلية والخارجية وتعاظم النزاعات في إطار التصعيد والبحث عن الذات والسعي وراء السلطة وتحقيق المشروع البديل.

اننا نقول ان في العمل السياسي صدق مع الجماهير لا كذب أو تدجيل أو تملص أو إلقاء التهم على الآخرين (نظرية الشماعة) كأسهل طريقة للوقاية. ونقول ان العمل السياسي هو الممكن في إطار الواقع، والعدالة في إطار الممكن كما علمنا القائد الشهيد الفذ

خالد الحسن أحد أكبر مفكري الثورة، والتعامل مع المتغيرات التي ان لم يستطع التنظيم رؤيتها عميت بصيرته وخاض الحروب فيمالا لزوم له، وفي التجييش خارج الأولوية وبعيدا عن البديل الحقيقي مالا يتفق مع الهدف.

ان هناك قواعد في العمل السياسي أولها ان الخلاف شيء طبيعي بين الجماعات أو المنظمات أو داخل التنظيم الواحد، وثانيها ان الايمان بالتعددية ليس شعارا وإنما مبدأ وحالة يجب تطبيقها على الأرض، رأي يقابله آخر أو آراء . وثالثا ان آليات الديمقراطية هي الفصل بين تعدد الآراء، ورابعا: فإن ضريبة الحرية المكفولة هي النقد، ويظل هذا النقد ضروريا ومقبولا متى ما كان السلاح خارج اللعبة، ويرفض إلى حد الكسر عندما تصبح البندقية هي الفيصل والحكم ضد الحكومة أو الدولة أو الاخر.

إن عدم الاقرار بقواعد العمل السياسي يعني ان حركةحماس تنظيم فلسطيني لجماعة من الاموات؟! فحينما تغيب الحرية والديمقراطية والتعددية والنقد في إطار التنظيم الواحد، يغيب الاعضاء عن القرار أو يغيبون . أو في الاتجاه الاخر حين يرفض تنظيم ما الاقرار بالتعددية أو الخلافات فإنه يخفي ما يخفيه جبل الثلج الذي لا يظهر منه على السطح إلا الشيء اليسير.

ان الخطاب الإعلامي الناقد للآخر يظهر الوجه المشرق أو المشرف ولكنه لا يستطيع ان يخبئ حقائق الأرض أو لكنة التحريض ضد المخالفين... ما يجر جرا ولأ سباب قد لا تكون داخلية فقط – بل وربما بدفع خارجي – إلى الاحتراب حيث مقولة حماس الشهيرة (قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار)؟! ويجوز بذلك اصدار فتاوي القتل ضد الفسقة والمفسدين في الأرض ضد السلطة وقانون السلاح ضد وحدة الراية والقرار والسلاح.

إن بروز التيارات في التنظيم السياسي دلالة على الحيوية لا على الضعف. والضعف الحقيقي محاولة التغطية عبر التضليل أو التشويه أو ابدال الحقيقة. لانه كما هو الشأن في التنظيمات الفلسطينية عامة فإن في حركة (حماس) تيار تشدد وتصعيد، وتيار واقعي، وجمهور عريض لا تنطبق عليه مواصفات المنتمي لجماعة دينية بقدر انطباق مواصفات أعضاء التنظيم السياسي الجماهيري الذي يضم الغث والسمين.

هل نكون قد وفقنا في محاولتنا رسم صورة عن المواجهة في حركة (حماس) مع الآخرين ومسارها في طريق البحث عن السلطة ربما..... وان أخطأنا فلنا أجر.

رام الله–فلسطين– ٢٠٠٥/١١/٨

الفصل الرابع

قراءة في مواقف وخطابات

حركة حماس قبل أزمة الاقتتال في غزة

تمهيد

إن استعراض منجزات حركة حماس، والحكومة الفلسطينية من خلال التعرض لمواقفها ولخطابها السياسي يمثل قراءة محققة لهدف فحص مدى التقدم أو الاقتراب من برنامجها الانتخابي من جهة، ومع متطلبات الحفاظ على السلامة الوطنية، ومع تأثير هذا الخطاب على الواقع السياسي الداخلي من ناحية الديمقراطية وتحقيق الوحدة الوطنية، ومع الواقع السياسي الخارجي.

لقد تعرضت حركة حماس منذ الانتخابات التشريعية في ٢٠٠٦/١/٢٥ لمجموعة من الأزمات لم تستطع معها أن تلتقط الأنفاس، أو تبلور خطاً سياسياً واضحاً، فمن الانبهار الذي أصاب حماس بالفوز غير المتوقع، حيث حققت تقدماً كبيراً وغير متوقع من معظم الأوساط والمحللين ومنها، إلى الدفاع المستميت عن الحكم.

لقد كان الفوز مفاجئاً لحماس كما فاجأ الآخرين، فتوزعت ردود الأفعال بين الابتسامات والأناشيد، والحواجب المرفوعة، فكان الانبهار الذي أعقبه صورة عميقة من الرغبة في الحفاظ على الحكم، ولو أدى الأمر إلى الخراب أو الدمار، وكما أشار أو هدد عدد من ممثلي حركة حماس الكثر وبلا تحفظ، وكما أظهرت مواقف التعامل مع هذه الأزمات.

ولو أننا من الممكن أن نرى أكثر من خطاب لحركة حماس على هامش الخطـــاب الطاغي أو الرسمي منها خاصة ذاك الواقعي المتفاعل مع التغيرات الراغب فـــي التعـــاطي السياسي المرن.

الأزمات الداخلية

لقد مرت حكومة حماس كما مرت الحركة نفسها بمجموعة من الأزمات الداخليـــة، أي داخل الحركة والخارجية سواء على الصعيد الوطني أو الصعيد العربي والعالمي، لقيـــت العنت وتقطع الأنفاس في اللحاق بها والتعاطي معها.

الأزمة الاولى: مع الزهار

الأزمة الأولى مع الزهار، بحيث من الممكن القول أن أول أزمة داخلية في حركة حماس كانت مع تصريحات د.محمود الزهار وزير الشؤون الخارجية في لقائه مع الكاتـــب شاكر الجوهري في ٢٠٠٦/٢/٢٦، والتي نشرت في صحيفة الـــشروق القطريـــة بتـــاريخ ٢٠٠٦/٣/٤، حيث شن هجوماً كاسحاً على الشرعية الدولية ورحب بالحل أحادي الجانـــب، هذا الحل الذي لقي من حركة حماس رفضاً، عبرت عنه بوضوح خالف الخطـــاب أحـــادي الجانب للدكتور محمود الزهار الذي أضطر لاحقا للاعتذار من السيد كوفي عنان في خطاب من ثلاث صفحات.

الأزمة الثانية: مع مشعل

الأزمة الثانية مع مشعل، وكانت الأزمة الثانية مع خطاب خالد مشعل من دمـــشق، الذي اتهم فيه (الطابور الخامس) الفلسطيني بأنهم الذين يـــساهمون فـــي حـــصار الحكومـــة وبمحاولة تدبير انقلاب عسكري عليها، واعتبر الأجهزة الأمنية (مـــأجورة تبـــاع وتـــشترى بالمال) وقسم العالم إلى فسطاطين (معسكرين) كما فعل الرئيس الأمريكي تماما حـــين قـــسم العالم لمحورين، وشتم الوزراء السابقين في الحكومة الفلسطينية الذين اتهمهم بسرقة الـــشاي والقهوة والدفاتر بخطاب لقي مظاهرات جماهيرية رافضة له تزامن مع تصريحات للـــدكتور ناصر الدين الشاعر، قال فيها إن للحكومة موقفها وناطقها، في إشارة لرفض خطاب مشعل، ثم تبع ذلك تصريحات لرئيس الوزراء إسماعيل هنية (الأيـــام ٢٠٠٦/٤/٢٦) أشـــاد فيهـــا

"بتحركات الرئيس محمود عباس من أجل فك الحصار والمساهمة الجادة في تخفيف المعاناة عن شعبنا" في ابتعاد واضح عن خطاب مشعل وبظهور قوى للخطوط داخل الخطاب الرسمي لحركة حماس.

الأزمة الثالثة: أزمة وثيقة الأسرى

أما الأزمة الداخلية الثالثة فكانت مع ظهور وثيقة الأسرى (الصحف ٢٠٠٦/٥/١١)، التي وقع عليها الشيخ عبد الخالق النتشة من قيادات حركة حماس بالسجون ودعمها الأسرى، وعلى رأسهم الشيخ عبد الناصر عيسى المنسق العام لحركة حماس في السجون (الحياة ٢٠٠٦/٥/١٩)، حيث فجرت الخلافات داخل حماس بقوة بين قابل للوثيقة ومرحب بها، بين رافض لها بالمطلق وبين من اعتبرها أساساً للحوار. في حين كانت ردة الفعل الأولية للحركة هي المفاجأة البحتة، حيث قال مشير المصري لإذاعة صوت فلسطين (٢٠٠٦/٥/١١) أنه يستبعد صحة هذه الوثيقة !

الاصطفافات داخل حماس

لقد أظهرت هذه الأزمات الثلاث في المواقف والخطاب بداية ظهور اصطفافات داخل حركة حماس من الخطاب المتشدد في الخارج، حيث القيادة تتأرجح بين دمشق وإيران، وبين خطاب توفيقي يتبناه رئيس الوزراء إسماعيل هنية، وبين خطاب مرن واقعي يقف وراءه كل من د. عمر عبد الرازق، ود. ناصر الدين الشاعر، عدا عن الاصطفاف العسكري الميداني ذو الانفصال العملي عن القيادة السياسية في الوطن.

الأزمات في المجال الوطني:

من الممكن أن نعدد خلال ستة شهور من وصول حماس للسلطة مجموعة مترافقة من الأزمات نرصد أبرزها كالتالي:

١. أزمة تشكيل الحكومة.
٢. أزمة الشروط الدولية.
٣. أزمة الرواتب.
٤. أزمة وثيقة الأسرى والحوار الوطني

٥. أزمة القوة التنفيذية.

٦. سياسة الإحلال الوظيفي في الوزارات.

١- أزمة تشكيل الحكومة

لقد كان واضحاً للعيان رغبة حركة حماس في أن تقود السلطة لوحدها لذلك لم يكن يعنيها الاتفاق على برنامج سياسي مع الفصائل الأخرى، فكانت الحوارات التي سبقت تشكيل الحكومة تصطدم بحائط صلب، حيث الرفض الواضح لحماس لكل من منظمة التحرير الفلسطينية وإعلان الاستقلال والقرارات الدولية، وكلها مسائل سياسية تعتبر مدخلا أساسيا لأي حوار، لا سيما وأن حماس لم تضمن برنامجها الانتخابي أي خطة أو رؤية سياسية سوى التأكيد على (التمسك الكامل بحقوق شعبنا الثابتة والأصيلة في الأرض والقدس والمقدسات والمياه والحدود والدولة الفلسطينية كاملة السيادة وعاصمتها القدس) كما جاء في البند السادس من (ثوابتنا)، فقامت الحركة مأخوذة بالفوز (الكاسح) بتشكيل حكومة من لون واحد لتواجه أزمة التعامل مع الموقف العربي والدولي دون وحدة وطنية، ودون رؤية للتعامل على الساحة الدولية.

من الممكن القول هنا إن حماس استطاعت ان تنجح في تجاوز أزمة تشكيل الحكومة بسهولة أتاحها لها الرئيس محمود عباس، حينما كلف رئيس القائمة إسماعيل هنية بتشكيل الوزارة، وحينما أقر الوزارة. ولكن هذه السهولة النظرية كانت بداية التفجير المتسلسل لأزمات لاحقة.

٢ – أزمة الشروط الدولية

تعلم حركة حماس علم اليقين أن أي حكومة جديدة لا بد وأن تواصل تنفيذ الاتفاقات المعقودة لأي حكومة قديمة لا سيما وأن حماس دخلت الانتخابات تحت مظلة اتفاقيات أوسلو الموقعة في واشنطن (١٩٩٣-١٩٩٥)، والتي جاءت استناداً للقرارات الأممية والاستراتيجية التفاوضية الفلسطينية، والتي أدت إلى الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية. إلا أن حركة حماس والحكومة المشكلة منها رفضت كل من المبادرة العربية الصادرة عن قمة بيروت (٢٠٠٢/٣/٢٨)، ورفضت القرارات الدولية على اعتبار أن (الشرعية الدولية في نظرنا هي عبارة عن بلطجة سياسية تمارسها أمريكا على العالم كله) كما قال الزهار في لقائه الشهير السابق الإشارة إليه.

استحقاقات الحكم

إن حركة حماس التي فازت ديمقراطياً بنسبة من الأصوات تقارب ٤٢% اعتقدت أن الانتخابات هي المدخل للتغيير الكلي حتى في موازين القوى الإقليمية والعالمية وهو ما كذبته الأيام.

تعلم حماس علم اليقين أن استحقاقات الحكم تختلف كلياً عن استحقاقات المعارضة، ففي الأولى التزامات داخلية (معاش الناس، والأمن والأمان...) وإقليمية وعالمية (مفتاحها الاعتراف بالاتفاقيات...)، وفي الثانية قدرة على توسيع نطاق الأمل أو الطموح دون حدود ملزمة، فلم تستطع حركة حماس حتى الآن أن تلائم بين خطاب المعارضة التي لبست ثوب الحكومة ليكون خطابها ومواقفها أكثر اتزاناً وقرباً من المجتمع الدولي حتى لو كانت الولايات المتحدة تمارس فيه دور القائد الأوحد.

العالم ينصاع لحماس

لقد اعتقد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحماس أن (أمريكا وإسرائيل ستجد نفسها مجبرة على التعامل مع لغة حماس الجديدة) التي (لن تتراجع قيد أنملة عن البرنامج الذي انتخبها على أساسه الشعب)[1]، لذلك لن (نرفع الراية البيضاء ونتنازل عن الثوابت)[2]، تلك الثوابت غير الواضحة في بنود البرنامج الانتخابي أو برنامج الحكومة ومشدداً كما هو شأنه معظم خطباء حماس (لن نعترف بإسرائيل وسنحافظ على راية المقاومة) تلك المقاومة المتوقفة لما يقارب ١٦ شهراً بالتزام حديدي من حماس.

و(لأن الفشل ليس جزءاً من قاموسنا ولا مفاهيمنا) فان حركة حماس – كما ترى – قادرة على (تحريك الشعوب العربية والإسلامية ضد إسرائيل وأمريكا وأوروبا)[3] عبر (الهبات الشعبية) التي ستحرك (خزائن الأمة خلال أسابيع قليلة)[4] وعليه ستجبر أمريكا وإسرائيل على التعامل مع حماس كما تريد هي كما قال متيقنا مشعل.

---

[1] عبر الهاتف في مهرجان ذكرى استشهاد الرنتيسي وياسين في رام الله ٢٠٠٦/٣/٣١

[2] كما يقول د. خليل الحية في ذكرى سيد الأنبياء في غزة ٢٠٠٦/٤/١١

[3] يوسف رزقة وزير الإعلام في الحياة ٢٠٠٦/٤/١٢.

[4] فرحات أسعد الناطق باسم حماس في الضفة.

ورغم هذا الخطاب الناري فان الخط العقلاني الواقعي في حركة حماس يعلم علم اليقين معنى تكاليف الحكم والسلطة وضرورة الاستجابة لها لتحقيق مصالح وحاجات الجماهير، ولتحقيق التقدم في مسار القضية، حيث يقول وزير المالية عمر عبد الرازق[٥] (نعم هناك مرونة، نبحث عن صيغة لا تفهم على أنها تنازل عن الثوابت)، وقال أن الحكومة (أعطت تفويضاً كاملاً للرئيس عباس لإجراء مفاوضات مع إسرائيل)، وقال أيضا (أنا شخصياً مع الدفع باتجاه تغيير الخطاب السياسي والإعلامي للحركة الإسلامية، ولكن ليس باتجاه التنازل عن الحقوق) مخالفاً بشكل كلي التمسك الحازم لخالد مشعل وسامي أبو زهري بعدم التغيير (قيد أنملة) .

ويستطرد عمر عبد الرازق معبراً عن فهمه لتكاليف الحكم والمطالب الدولية والالتزامات السياسية، حيث يقول (هل طلب أحد من الحكومة الجديدة في ايطاليا الالتزام بالاتفاقيات التي وقعتها الحكومة السابقة؟ مفهوم أنها لن تتنصل منها)، وعن نبذ العنف قال (على أي حال هناك وقف فعلي للعمل العسكري) في فهم واقعي للالتزامات والتعامل معها مخالف لما قاله خالد مشعل في ذات اليوم، ولكن في طهران، حيث أكد (أن حماس لن تعترف بإسرائيل، رغم الضغوط الدولية، وأنه لم يعد هناك طريق سوى المقاومة لدحر الاحتلال)[٦] مطالبا الأمة العربية بإدخال السلاح. ومضيفاً أنه (على الأمم الإسلامية دعمنا سياسياً ومالياً ومعنوياً ضد الولايات المتحدة وإسرائيل)، ومؤكداً (أن الفلسطينيين يعتمدون على الله وعلى إرادتهم).

مواقف متعاكسة

ما يمكن أن نستنتجه من مواقف حركة حماس في التعامل مع الضغوط الدولية أو الالتزامات المطلوبة من الحكومة أنها متضاربة ومتعاكسة منها المتشدد متى ما اقترب من دمشق وإيران، ومنها الوسطي الذي يحاول أن يوفق، ومنها المرن والواقعي ما يشير لحالة من التخبط أو الاختلاف العميق، ولبروز مجموعة من القيادات السياسية داخل حماس التي فاجأتها السلطة، فلم تستطع خلال مدى زمني قصير أن تكيف خطابها وفق تطورات الانتقال

---

[٥] صحيفة الأيام الفلسطينية ٢٠٠٦/٤/١٦

[٦] أفادت وكالة نت أفيسن النرويجية في ٢٠٠٦/٤/١٢ أن خالد مشعل التقى سرا السفير الأمريكي في قطر قبل حوالى أسبوعين من تاريخ الخبر. ووزير التخطيط سمير أبوعيشة يظهر في برنامج مع جدعون مئير مدير عام الشؤون الإعلامية (الإسرائيلي) على قناة الجزيرة في ٢٠٠٦/٤/١٠ ورئيس الوزراء يسمح لجميع الوزراء إجراء اتصالات مع الجانب الإسرائيلي"مادام ذلك يتعلق بالشؤون الحياتية" الصحف ٢٠٠٦/٤/٦ .

إلى سدة الحكم الذي جاء مبهراً وجذاباً كما أسلفنا. ونميل لهذا التحليل مضعفين من ذاك القائل أن حماس واحدة موحدة وما يحصل فيها من تضارب في الآراء والتصريحات إنما مرده للتكتيك، وكلهم متفقون. لا بل من الممكن الإشارة بقوة لخط كل من وزير التربية ووزير المالية المرتبط بعناصره مع رؤية وافق المعتقل الشيخ حسن يوسف، صاحب البصيرة والنظرة الوحدوية منذ أيام الرئيس الخالد ياسر عرفات.

٣ – أزمة الرواتب

تعاملت الحكومة الفلسطينية مع أزمة الحصار المالي الذي نتج عنه أزمة الرواتب بشكل مضطرب، ففيما بدأ وزير المالية وعدد من الوزراء تائهين غير واعين لمقدار الخطر أدلوا في البداية بمجموعة من التصريحات التطمينية أن الرواتب خلال هذا الأسبوع أو الأسبوع التالي أو هذين اليومين وهكذا، ولما لم تصدق كل المواعيد والمواعيد اللاحقة، انقطع جميع قادة ووزراء وناطقي وممثلي حماس عن التصريح بأي موعد، حيث استقرار اليقين أن الأزمة خانقة وصعبة ولا قدرة لهم على حلها. ليبدا مسلسل أن الخزينة فارغة وبأرقام متضاربة وكأن هذه الخزينة كانت يوما مليئة بالنقود طوال الأحد عشر عاما السابقة!

نعم للجوع ولا للركوع

في المرحلة الثانية من التعامل مع الحصار المالي –الذي عاشت مثله فلسطين إبان مرحلة الشهيد القائد الخالد ياسر عرفات عام ٢٠٠٢ لشهور طويلة، لكنه أدار الصراع بشكل آخر– الذي يكرر العديد من قادة حماس انه لم يحصل مثله في التاريخ، بدأت تسير المهرجانات والمسيرات والندوات التي رفعت شعاراً تصبيريا هو (نعم للجوع لا للركوع)، إلا أن هذه المهرجانات الاستعراضية التي جمع فيها من الشعب الفقير أموالاً قليلة للحكومة في سابقة جديدة يدفع فيها الناس للوزراء لم تفد في فك ولو نسبة قليلة من الأزمة المالية، كما لم تفد في المرحلة الثالثة من التعامل مع هذه الأزمة، حيث انطلق الوزراء لجمع الأموال من (الأمم الإسلامية) كما سماها خالد مشعل، التي دفع بعضها دراهم معدودة مقارنة بموازناتها، ولم يدفع البعض الآخر، وأعلنت جميعاً أنها لا تستطيع أن تفعل شيئاً لإدخال الأموال القليلة –وإن كانت بالملايين– التي جمعت، ثم بدأت مسيرة إدخال الأموال بالتهريب، تلك التي لو أدخلت كلها وعبر هذا الطريق لن تفك حصاراً ولن تصنع دولة أو تحدث تغييراً.

أما بالمرحلة الرابعة من التعامل مع الأزمة المالية فلقد كانت في ظل التحركات الاحتجاجية للموظفين والتي تعامل معها كثير من قادة حماس بعدوانية وشتائم أو تبسيط واستهزاء، حيث اعتبر محمد نزال من دمشق أن الموظفين كلهم من حركة فتح ويقبضون منها لذا فلا أزمة، في حين اتهم د. يونس الأسطل قيادات في السلطة السابقة والأجهزة الأمنية بوضع العراقيل أمام الحكومة معتبراً مسيرات الرواتب جزء من المؤامرة[7] بينما كان خالد مشعل قد اعتبر في خطابه الشهير أن الذين يقبضون من الأجهزة الأمنية مأجورين، ثم تلاه تصريح الناطق الرسمي باسم كتلة حماس في التشريعي صلاح البردويل الذي وصف ما يحصل بالوزارات أنه (عربدة)[8]، وهو ما عاد ليقوله في اليوم التالي غازي حمد، حيث علق على تظاهرة ثلة من رجال الأمن مطالبين بالرواتب، أننا (نرفض أسلوب العربدة في الشوارع كما كان يحصل سابقاً). وعندما تصاعدت احتجاجات الموظفين لم يتمالك صلاح البردويل نفسه إلا أن يصفها بأنها تأتي (في إطار الانقلاب على الديمقراطية)[9] ووصف المتظاهرين (بالغوغاء المنظمين)، وليقوم نواب حماس بإرجاء جلسة الرواتب ما أثار حنق الموظفين ونقابة الوظيفة العمومية في فلسطين متهمين نواب حماس بأنهم يعملون ضدهم.

من الاستهانة إلى الاعتراف

من الممكن القول أن مواقف وخطابات حماس من الحصار المالي تغيرت من صيغة الاستهانة والاستهتار، وأن المشكلة قابلة للحل وتحت السيطرة، وأن الشعب صابر مكافح سيأكل الزعتر، ونعم للجوع ولا للركوع، لأنه لا أزمة لدى الحكومة مطلقاً كما كرر كثيراً رئيس الوزراء إلى الاعتراف الفعلي-أخيرا في شهر يونيو- ومنه نفسه أي رئيس الوزراء بوجود أزمة حقيقية، حيث (الحكومة معنية بإنهاء أزمة الرواتب وهي مسؤولية جماعية)[10].

وبعد أن حاولت حماس توجيه الاتهامات بالأزمة المالية لأصابع من يد الحكومة القديمة أو حركة فتح أو جماعة من المأجورين أو الطابور الخامس -كما أسمتهم- أو لسبب

---

[7] صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية ١٥/٤/٢٠٠٦ .

[8] (موقع دنيا الوطن ١٤/٤/٢٠٠٤).

[9] (الحياة الجديدة ١٥/٦/٢٠٠٦).

[10] (الحياة الجديدة ٥/٦/٢٠٠٦)

الفساد السابق حسب حماس، عادت لتتعامل مع الموضوع تحت ضغط الشارع ومظاهرات الجوعى، فألغت مهرجانات الفرح بشعار (نعم للجوع لا للركوع)، وحاولت إسكات جوع الناس بسلف لشريحة محدودة، بمبالغ لا تغطي نصف شهر من مجموع شهور أربعة حتى الآن وبشكل غير منظم افترض أن الشرائح الأخرى (التي تتقاضى أكثر من ٦٠٠$) لا تجوع.

والخلاصة أن الحكومة فشلت بجدارة في إدارة هذه الأزمة التي حاولت تسكينها بالدعوات للصبر والثبات وبأن تتبنى العائلات في فلسطين بعضها البعض، وبصلوات الاستسقاء والخطب العصماء كما يقول الكاتب عمر حلمي الغول، حيث انتكس الخطاب ليقوم رئيس الوزراء بإعلان أنه لا حول له ولا قوة في خطبة الجمعة ٢٠٠٦/٦/٣٠ حيث دعا الشعب الفلسطيني الى التكافل ومساعدة بعضه بعضا ماليا ما يعد تهربا فاضحا من التصدي لحل هذه المشكلة العويصة.

حقوق الموظفين والتهديدات

إلا أن الموقف الأكثر قرباً من الشارع في التعامل مع قضية الرواتب للموظفين صدر من النائب عن حركة حماس محمود مصلح، الذي أعلن الوقوف إلى جانب حق الموظفين في التعبير عن آرائهم واحتجاجهم على الأوضاع الصعبة التي يعيشونها مؤكداً إدانة التصريحات التي أساءت وتسيء للموظفين في القطاع العام[١١] في نفس الوقت الذي أرسلت الحكومة للموظفين تهديدات في حال مارسوا الإضراب عن العمل.

وأضاف النائب محمود مصلح أنه إذا لم يتم فكفكة الحصار السياسي والمالي، فإن المجلس التشريعي سيواجه خيار حجب الثقة عن الحكومة الحالية وإسقاطها في خطاب غير مسبوق يتعارض مع أن هذه الحكومة أبدية ولعشرات السنين، وهي والا الزرقاوي، كما ردد العديد من قيادات حماس. وليدخل النائب مصلح أيضا في بند الخيانة في قاموس القيادي في حماس أحمد النقلة الذي صرخ في مهرجان في دير البلح (أن كل من يتخلى عن الحكومة في هذا الوقت فهو خائن ولن نسامحه أبداً) (الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٥/٦).

---

[١١] (خلال برنامج واجه الصحافة في رام الله بتاريخ ٢٠٠٦/٦/٤)

٤ – أزمة وثيقة الأسرى والحوار الوطني

بتوقيع خمسة من قيادات السجون من جميع الفصائل الفلسطينية، وهم مروان البرغوثي أمين سر حركة (فتح) في الضفة، والشيخ عبد الخالق النتشة عضو الهيئة القيادية العليا لحركة (حماس) والشيخ بسام السعدي من حركة الجهاد الإسلامي وعبد الرحيم ملوح عضو اللجنة التنفيذية لـ (م.ت.ف) وعضو قيادة الجبهة الشعبية ومصطفى بدارنة عن الجبهة الديمقراطية أصدروا وثيقة أطلق عليها اسم (وثيقة الوفاق الوطني الفلسطيني) وظهرت في الصحف منذ ٢٠٠٦/٥/١١، وبدلاً من أن تلقى الوثيقة المشكلة من ١٨ بنداً القبول والترحاب من حركة حماس كانت ردة الفعل الأولى تشكيك في صحتها كما صرح بذلك مشير المصري (٢٠٠٦/٥/١١- اذاعة صوت فلسطين) ثم قامت وزارة الداخلية باطلاق القوة التنفيذية برئاسة أخو الزهار يوسف، ولأن (الحكومة لا تمر بمأزق ولا تعاني من أزمة)، كما قال رئيس الوزراء إسماعيل هنية (الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٥/٢١)، فإن الالتفات للوثيقة لم يكن كبيراً . وعلى اعتبار أنها أساس صالح للحوار كما عبر بعض قيادات حماس دون تحديد آلية للتعامل معها حتى جاءت دعوة اللجنة السياسية ورئيس المجلس التشريعي د.عزيز دويك للحوار الوطني، والذي تأجل لأكثر من مرة لأسباب تقنية ولجهة من يرعى الدعوة الرئيس ام غيره، لينعقد المؤتمر في ٢٥-٢٠٠٦/٥/٢٦، في رام الله وغزة معاً، وليلقى الرئيس أبو مازن بمفاجأته الكبرى عبر خطابه الجماهيري المؤثر أنه خلال عشرة أيام إذا لم تتفق الفصائل فإنه سيعرض وثيقة الأسرى على الاستفتاء الشعبي.

تدخلات الخارج

وفي هذا الوقت أخذت الوثيقة اعتبارها، وبدأت تحتل عناوين الصحف، كما أسهب الكثيرون في حماس باعتبار الاستفتاء غير قانوني أو ليس من صلاحيات الرئيس أو يمثل خيانة أو كفراً، كما قال بيان حزب التحرير الإسلامي، أو أنه يبدد الجهد ولا يوجد مال كما قال الزهار الذي كان في جولة آسيوية طويلة. أو أنه لا يجوز القفز على المجلس التشريعي المختص بهذه الأمور كما قال موسى أبو مرزوق (الأيام ٢٠٠٦/٥/٢٨) واعتبر رأيهم معتبر داخل حركته (لكنهم لا يقررون بالنيابة عن الحركة).

مراحل التعامل مع الوثيقة

مرت عملية التعامل مع وثيقة الأسرى من مرحلة الإنكار لوجودها أصلاً إلى المرحلة الثانية مرحلة التعامل معها كوثيقة كغيرها من المبادرات المطروحة، ثم في المرحلة الثالثة تحولت من أساس صالح للحوار إلى آيات شيطانية، وذلك بعد إعلان الرئيس لوضعها موضع الاستفتاء.

بدأت البيانات في المساجد والبيانات من المعتقلات تصدر ضد الوثيقة التي هي فقط وثيقة سجن هداريم لا غير والتي تحوى مخالفات شرعية، والتي (لا تعبر عن حقيقة موقفنا)، كما قال بيان للأسرى من حماس ١٢، مضيفاً (بل لدينا اعتراض ورفض صريح لقضايا عدة وردت فيها) رغم تأكيد غازي حمد الناطق باسم الحكومة أنها (الأساس للحوار للوطني بين كافة الفصائل) وليضيف صلاح البردويل (الأيام ٢٠٠٦/٥/٢٩) أن وثيقة الوفاق الوطني (تحوي مغالطات ضمنية وشكلية، فهناك بنود تعارضها الحركة مفصلاً أنه من المستحيل أن تعترف حماس أو الحكومة بإسرائيل، مستدركاً قبوله بدولة ضمن حدود ١٩٦٧).

الاستفتاء بين القانون والإيمان

أما عن الاستفتاء بحد ذاته الذي رآه موسى ابو مرزوق تهديداً من الرئيس، فقد أشار غازي حمد بما يخالف ذلك مخالفة قطعية حينما قال (إن حماس والحكومة ليستا ضد الاستفتاء)١٣ مشيراً إلى أن (هذا يمكن أن يوضع في إطار المصلحة الوطنية من حيث هل سيكون الاستفتاء مثمراً ومفيداً) لكنها كانت صرخة وحيدة في مقابل الرفض من حركة حماس بغالبها للوثيقة والاستفتاء، حيث (أن شعبنا ليس عنده مزيد من الوقت لعمل مزيد من الانتخابات أو الاستفتاءات) كما قال إسماعيل هنية (الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٦/٣) مذكراً بالتآمر العالمي على قضيتنا وشعبنا، كما أكد أن حكومته (لن توقع على ورقة تعارض وتخالف شرع الله)، ثم تمادى سامي أبو زهري ليتهم الرئيس محمود عباس بأنه سبب فشل الحوار.١٤ ولينطلق بعدها إسماعيل هنية موضحاً أن (إجراء الاستفتاء غير قانوني) (الأيام الفلسطينية ٢٠٠٦/٦/٥)، ما أكده بعد ذلك عدد من الناطقين والنواب، فهو -أي الاستفتاء- غير قانوني كما قال النائب من حماس ياسر منصور، والشعب استفتى قبل ٤ اشهر ولا

---

[12] (٢٠٠٦/٥/٢٨ – صحيفةالأيام الفلسطينية)

[13] (٢٠٠٦/٧/١ صحيفة الأيام)

[14] الصحف ٢٠٠٦/٦/٥)، وكان المذكور قد تسرع لأن الحوار نجح.)

داعي لاستفتاء آخر كما قال النائب عدنان عصفور (الحياة ١٢/٦م٢٠٠٦) في ظهور إشارات للخوف أو حتى الذعر من حصول الاستفتاء الذي قد يضر بصورة حماس ويخفض من شعبيتها وربما يعلن فشلها إذا ما صوت الناس بنعم لوثيقة الأسرى مما يجعل حماس في حرج شديد من الاستمرار بالحكم وتثبيت الصورة التي رسموها أنهم انتخبوا بالأغلبية وأنهم دون سواهم يمثلون الشعب.

غير شرعي شكلاً ومضموناً

وتمادى النائب عن حماس أنور زبون ليقول أن (الاستفتاء غير شرعي شكلاً ومضموناً) مهددا أن حماس (تتجه لعدم المشاركة في الاستفتاء) و أنهم لن يقبلون نتائجه. خاصة وأن محمود عباس (يحاصر نواب الحركة) (ولا جهود له في فك الحصار) كما قال صلاح البردويل (١٥/٦/٢٠٠٦)، فيما كان عزيز الدويك قبل يوم من ذلك قد أشاد بالجهود التي بذلها الرئيس محمود عباس، وقائلاً (إن حماس لا تخاف استفتاء الناس) بل (وتدعو دائماً لهذا الأمر، لكن في هذه الظروف -وليس لسبب قانوني أو أنه خيانة أو يخالف شرع الله... الخ – لا يمكن استفتاء شعب جائع)١٥ أو كما قال محمد نزال لا يستفتى جائع لأنه لا يمتلك الإرادة الحقيقية والقرار الصائب.

لا للحوار

من الضروري الإشارة إلى عدم رغبة حماس أصلاً بانعقاد أي جلسات للحوار الوطني لا على أساس وثيقة الأسرى أو غيرها، وذلك قبل ظهور الوثيقة بمدة، وأثر إعلان عدد من الأطر الشعبية والخاصة لمبادرات لفك الحصار، حيث كان الموقف متصلباً، لأن (المرحلة لا تحتمل مبادرات سياسية) كما قال رئيس الوزراء، رافضاً ما كرره دوما أن تكون الحكومة في مأزق سياسي، ورافضاً أن يبدأ الحوار الوطني على خلفية أزمة راهنة أنكر وجودها.١٦

---

[١٥] الحياة الجديدة ١٤/٦/٢٠٠٦

[١٦] (الصحف ٤/٥/٢٠٠٦).

٥ – أزمة القوة التنفيذية

في يوم ٢٠٠٦/٥/١٧ أعلن وزير الداخلية سعيد صيام أنه (من منطلق مسؤولياتي عن الأمن الداخلي أعلن بدء عمل القوة التنفيذية التي تم تشكيلها في إطار وزارة الداخلية لحماية أمن المواطنين وممتلكاتهم) متهماً (بعض الأجهزة الأمنية–التي هو مسؤول عنها– بالعجز عن أداء دورها والتباطؤ في تنفيذ القرارات)، حيث كان قد أشار وزير الداخلية إلى قيام العصابات بإطلاق النار على شابين من حماس في خانيونس وغزة، واقتحام شركة جوال وإطلاق النار داخلها وتكسير محتوياتها، وخطف المهندس سليم ضمرة منذ أسبوعين، والاعتداء على مستشار رئيس الوزراء النائب سيد أبو مسامح أمام مقر الوقائي، وأحداث عبسان.

وكانت حركة فتح قد أشارت إلى انتشار المظاهر المسلحة لحركة حماس ليلاً، واستهداف المؤسسات العامة وبيوت المواطنين الأبرياء، وعدم اتخاذ إجراءات فاعلة من قبل وزير الداخلية، وتفجير السيارات الخاصة بعناصر كتائب شهداء الأقصى بالعبوات الناسفة التي طالت أيضا منازل تسعة مناضلين من فتح ومحاولات لاغتيال خمسة كوادر من فتح في أكثر من مكان.

استقطاب سياسي ميداني

ولم يكن مثل هذا الإعلان من وزير الداخلية وليد اللحظة كما هو واضح من سردنا للاتهامات المتبادلة بأحداث الفوضى والبلبلة بين كل من الحركتين الكبيرتين فتح وحماس. فلقد كانت حالة الاستقطاب السياسي والميداني قد أثرت سلباً على واقع الحال في قطاع غزة والذي كانت مظاهره القتل والاختطاف وإطلاق النار الذي أدى لقتل ما لا يقل عن ١٤ شخصاً من الطرفين والجمهور.

إذن جاء الإعلان عن القوة التنفيذية في خضم الإعلان عن وثيقة الأسرى، ورغبة من حركة حماس بإعطاء شرعية لقواتها مقابل حركة فتح ولسبب عدم قدرتها السيطرة على الأجهزة الأمنية القائمة، ورغبة في تكريس قوة حماس سياسياً وميدانياً، خاصة في ظل وقف لاطلاق النار استمر شهور عدة فيما التنظيمات الأخرى ومنها كتائب شهداء الأقصى التابعة لحركة فتح ما زالت غير ملتزمة .

لا جندي فاشل بل قائد فاشل

وفي ظل تهمة وزير الداخلية للأجهزة الأمنية بالفشل ما دعاه لتشكيل جهاز أمني جديد كان رد حركة فتح على لسان توفيق أبو خوصة لاذعا حيث قال أنه (ليس هناك جندي فاشل بل هناك قائد فاشل)، ما يؤكد حالة الاستقطاب الشديد.

إلا أن الأمر المهم هو أن الترتيب لإطلاق ما سمي بالقوة التنفيدية، كان مدار بحث في حماس التي روجت بقوة لنظرية المؤامرة الخارجية والداخلية عليها ما دعى وكما قال خالد مشعل من دمشق الجمعة في ٢٠٠٦/٤/٢١ أنه (من حق الحكومة أن تشكل قوة حماية للوطن، وهي تشكيلات لا تتقاضى رواتب مثل تلك المأجورة التي تباع وتشترى بالمال) أي قبل شهر من اطلاق القوة التنفيذية الموعودة... والتي رأى سعيد صيام أن لها الدور في (وأد الفتنة) وضد (العصابات) لكن ما حصل على الأرض كان مخالفاً، حيث انخرطت القوة التنفيذية التي أسمتها حركة فتح (المليشيا السوداء) في الصراع الداخلي ما دعى الرئيس أبو مازن لأن يصدر أوامره للأجهزة الأمنية بالانتشار في كافة المناطق للقيام بمهامها حفاظاً على الأمن ولمنع أي شخص من القيام بما يربك في إشارة لتلك القوة، والتي من الممكن أن نسجل أول إشارة علنية لتشكيلها، جاءت في ٢٠٠٦/٤/١٦ من د. أحمد صالح مستشار رئيس الوزراء حينما اقترح إنشاء جهاز أمني جديد يسمى (حماة الوطن).

ماذا فعلت القوة التنفيذية؟

وعلى رأي المثل القائل (أول غزاته كسر عصاته)، قامت القوة التنفيذية بإطلاق النار على دوريات للشرطة وعلى مقار للأجهزة الأمنية كما أطلقت النار على أفراد من الشرطة -على الأقل وفق الناطق باسم فتح توفيق أبو خوصة- ما أدى لاحتقان شديد في الشارع، كما قامت القوة التنفيذية بجرح عدد من المواطنين واعتقال آخرين، كما اتهمت حركة فتح هذه القوة باطلاق النار على طارق العفيفي[١٧] وهو داخل سيارته الحكومية ثم إثر الخروج منها، بل و تركته ينزف ومنعت إسعافه وحمله الى المستشفى الذي يبعد أمتار من قبل عضو في القوة الخاصة التابعة لوزيرالداخلية، وأمام كاميرات التلفزة العربية.

---

[١٧] الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٥/٢١

شرعية مهزوزة

حاولت قيادة حركة حماس اسباغ الشرعية على القوة –الخاصة أو قوة المساندة أو القوة التنفيذية أو قوة حماية الوطن،كلها مسميات أطلقتها حماس على ذات القوة–أو المليشيا السوداء كما سمتها حركة فتح في غزة، وذلك من خلال القول أن القانون يتيح ذلك لوزير الداخلية ما أثبت عكسه النظام والقانون المعمول به، فعادوا لتكرار القول أن الرئيس محمود عباس كان موافقا على تشكيل القوة،وهذا ما ورد على لسان رئيس الوزراء ووزير الداخلية وما أوضح عدم صحته الرئيس محمود عباس في لقاء له مع الفعاليات الوطنية قبل أيام من انطلاق مؤتمر الحوار الوطني.

أزمة مركبة

ومرة أخرى في محاولتها لحل أزمة الفلتان الأمني تدخل حماس في أزمة مركبة بين وعود أعطيت لكوادر حماس باستيعابهم بمرتبات في إطار وزارة الداخلية وليس كما قال مشعل بلا مرتبات، وبين عدم شرعية القوة التي وافق الرئيس عباس على استيعابها ضمن الأمن الداخلي والشرطة لا تكتلها كقوة منفصلة. بين القدرة على ضبطها وعدم القدرة على السيطرة على فصائل العمل الميداني العسكري التي تواصلت في ضرب الإسرائيليين عبر الحدود مع غزة، والوقوف بلا موقف من العصابات المنتشرة في القطاع تلك الخارجة عن التنظيمات السياسية والتي تستغل الحالة في تدعيم حالة العنف والاقتتال ما يحقق مصالحها الذاتية والمرتبطة ربما مع الجوار.

توقفت القوة التنفيذية وسحبت من الشوارع إثر تفاقم الأزمة، وتم فكفكة الأزمة من خلال ما طرح أن الرئيس وافق على إدماج عناصر القوة في أطر الشرطة إدارياً ومالياً.

٦ – سياسة الإحلال الوظيفي في الوزارات

لربما كانت أول إشارة سلبية في التعامل مع الموظفين هي أيضا ما جاءت في خطبة لخالد مشعل حينما أطلق صيحته المشهورة تجاه موظفي الأمن حينما قال منتفخا (اذهبوا فأنتم الطلقاء) على اعتبار المقارنة بين موقف النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكفار مكة، حينما فتح الله البلاد لرسول العباد.

وظلت مثل هذه الإشارة السوداء عالقة في الخطاب السياسي لحركة حماس لاحقاً.

أزمات منفصلة

وقع عدد من الوزارات في أزمات منفصلة مع موظفيهم ارتبطت بسياسة وأسلوب الوزير، ولكن في أطار سياسة طويلة الأمد لإحلال كادرات حماس مكان كادرات فتح كما أشارت وثيقة تسربت بتوقيع أحد كادراتهم في أحدى الوزارات.

في وزارة الصحة ووزارة شؤون المرأة ووزارة الحكم المحلي ووزارة الثقافة ووزارة الخارجية ووزارة الداخلية ظهرت كثير من التوترات والمشاكل بين الوزير والوكيل أو الوكيل المساعد كما هو الحال الواضح في وزارة شؤون المرأة، أو بين الوزير والموظفين، كما هو الحال بين د. محمود الزهار وزير الشؤون الخارجية وعدد من الموظفين الذين قام بفصلهم، وهكذا حالات شبيهة في الوزارات الأخرى تم فيها تعيين مدراء ووكلاء أو وكلاء مساعدين تحت التعيين ومستشارين يقومون بدور الموظفين الآخرين، خاصة في المراتب العليا.

إلا أن الاستثناء الهام جاء من قبل د. ناصر الشاعر وزير التربية الذي حافظ على وزارة التربية بعيداً عن الصراعات السياسية، وأقام نصاب عدد من الأمور بإرجاع الحقوق لعدد من الموظفين الذين عانوا في ظل الحكومة السابقة، وقد نضع فرضية لذلك أن المدرسين الذين يشكلون غالبية موظفي السلطة هم بمعظمهم غير منتمين لحركة فتح أصلا. إضافة لسلاسة أسلوب د. ناصرالدين الشاعر وأسلوبه الواقعي المرن.

إلا أن سياسة الإحلال الوظيفي والتهديد المباشر أو غير المباشر بدأت تظهر في داخل الوزارات وتهدد بعديد الأزمات إذا ظل القانون عاملاً ثانوياً في طريقة التعامل مع الموظفين.

الأزمات مع المحيط الخارجي

أما عن الأزمات الخارجية مع المحيط فكانت أولها أزمة عدم استقبال وزير الشؤون الخارجية من قبل الحكومة المصرية والتي مرت بسهولة، والثانية هي أزمة تهريب الأسلحة إلى الأردن باتهام الحكومة الأردنية لجماعات من حماس مدفوعة من قيادة الحركة في دمشق، والتي نأت الحكومة الفلسطينية عن الخوض فيها تاركة الأمر لقيادة الحركة في الخارج، ثم غيرت موقفها لتعلن استعداها للالتقاء مع الحكومة الأردنية.

سمات الخطاب السياسي لحركة حماس

أما عن الخطاب السياسي لحركة حماس، وهو الذي استند لطريقة تفكير وإدارة المتناقضات والصراعات والأزمات، وبالتالي اتخاذ المواقف، فمن الممكن أن ننظر له من عدة زوايا أو من الممكن أن نحدد سمات ومواصفات له كالتالي:

أولاً: الاستهانة بالشرعية الدولية

وكان هذا المظهر أول ما تمت مواجهته مع حديث د. محمود الزهار الشهير مع شاكر الجوهري، والذي أعلن فيه أن (الشرعية الدولية في نظرنا هي عبارة عن بلطجة سياسية)، (هذه الشرعية الدولية إذا اقرينا بها نكون قد اعترفنا بالعدو الإسرائيلي...) وبذلك يكون وزير الشؤون الخارجية لاحقاً قد نزع الغطاء الدولي عن الحكومة الفلسطينية المعمدة باتفاق اوسلو والشرعية الدولية، التي يزدريها ولا يعترف بها.

بل أن هذا الاستهتار والازدراء للشرعية الدولية –وهي الشرعية التي سعى الصهاينة لكسبها أولاً عبر وعد بلفور عام ١٩١٧ قبل أن يقيموا دولتهم- قد طال قيادات وكوادر حماس، لأنه كما يقول قيادي حماس في البريج (أنيس ابو شمالة) في ٤/١٤/ ٢٠٠٦(الحرب الشاملة بدأت –يقصد ضد الحكومة- ولا أحد يعلم إلى أين يمكن أن تنتهي) و يدعو أن (لا مخرج إلا أن تخضع حماس أو ترحل، فإما أن تدخل جحر الضب الذي دخله الراكعون –الذين فهموا المعادلات الدولية قبل حماس- وأما أن تخلي الميدان لمن يفهم الأمريكي والإسرائيلي).

حيث أن حكومة حماس تقع تحت وطأة مؤامرة (أمريكية أوروبية ودولية وإقليمية وداخلية لإسقاط الحكومة، وانتزاع مواقف سياسية تنازلية منها) كما قال مشير المصري (الحياة ٢٠٠٦/٦/١٢).

وبذلك تكون حماس قد اتخذت منذ البداية موقفا مناهضا للشرعية الدولية، وموقفا متحالفا مع الخط الايراني–السوري في عقلية محاور كان الرئيس ياسر عرفات قد نأى بنفسه وشعبه عنها مهما كان الثمن ليجنب شعبه استحقاقات لا ناقة له بها ولا بعير، حيث الأولوية في قاموسه لفلسطين لا أي محور كان.

وانعكس مثل هذا الموقف على رفض حركة حماس الاعتراف بقرارات الشرعية الدولية (غير المنصفة) أو كما نص البرنامج الانتخابي لحماس (إعادة الاعتبار للحقوق

الفلسطينية في المحافل العربية والدولية)، ورفض الاعتراف بالإجماع العربي ما أدخل حماس والحكومة في جحر الضب.[18]

ثانياً: تحميل المسؤولية للآخرين

عجزت الحكومة في ظل رفضها الاعتراف بالاتفاقيات والشرعية الدولية وبمنظمة التحرير الفلسطينية عن التقدم بوصة واحدة، ولما كانت غير راغبة في التراجع (لأن الفشل غير موجود في قاموسنا) كما قال د. يوسف رزقة، وكما قال متحدثو حماس، فكان لزاماً أن يتم تحديد سبب الحصار فتم توجيه التهمة من قبل ممثلي حماس إلى الولايات المتحدة الأمريكية والى إسرائيل والى الطابور الخامس من أعضاء الحكومة السابقة أو حركة فتح كما يقولون، لأن (الحرب الشاملة بدأت) ومعها بدأت خطابات التنزيه للذات و إلقاء المسؤولية على الآخرين في سبب الحصار والضغط.

حكومة الظل وقلب الطاولة

اتهمت حركة حماس والحكومة الرئيس عباس بإنشاء حكومة ظل تقوم (بمحاولات واضحة لسحب البساط من تحت أقدام الحكومة) كما قال د. خليل الحية، رئيس كتلة حماس[19]، أو كما قال بيان حماس الذي أدان (محاولات الالتفاف على الحكومة بنزع صلاحياتها وإيجاد حكومة موازية معروفة الأهداف)، أكد محمد تمراز الناشط في حماس (إننا لن نقبلها)، (وسنقف أمام ذلك بكل الحزم والمسؤولية)، وذهب النائب يونس الأسطل بعيداً (الحياة ٢٠٠٦/٤/١٥)، حين هدد وتوعد (إن إفشال الحكومة التي يرأسها الشيخ هنية سيقلب الطاولة على الجميع...)، (وسيكون بداية لإعادة جذور المقاومة والعمليات الاستشهادية في عمق الكيان الصهيوني)، في إشارة منه واضحة أن سعى حماس كان للوصول للحكم، وإلا فالمقاومة هي الرد حين انسحاب السلطة من بين يديها، بل وذهب بعيداً قائلاً (إذا رفضوا الحكومة الشرعية فلينتظروا التطرف الإسلامي)، مهددا الجميع ب (ظاهرة الزرقاوي هنا في فلسطين).

---

[18] اعترفت حماس في خضم العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة بالشرعية الدولية وبالاجماع العربي، وبالطبع قبلها بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد –ماكانت قد أقرته في اتفاق القاهرة وماحكت فيه لا حقا- وبالمفاوضات كأحد أشكال العمل الوطني، أي ببساطة بكل النقاط التي عبر معظم متحدثيها عن رفضهم لها سابقا.

[19] الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٤/١٢

مؤامرة على الحكومة

في إطار عدم الاعتراف بالفشل أو سوء الإدارة أو عدم الاعتراف بالأزمات المتلاحقة، أعيد صياغة خطاب حركة حماس لإلقاء المسؤولية أو التهم على جهات خارجية تمثلت بمؤامرة دولية على الحكومة-وليس على السلطة عامة والشعب- من العالم، ومن الحكومة السابقة، ومن فتح، ومن الأجهزة الأمنية، وحتى من فاروق القدومي حيث أن تصرف القدومي الذي حضر مؤتمر عدم الانحياز في ماليزيا، رئيساً لوفد م.ت.ف لا الزهار(يضر بالعلاقات الفلسطينية الداخلية، خاصة أنه يأتي منسجماً مع محاولات فرض الحصار السياسي على الحكومة الفلسطينية المنتخبة ديمقراطياً)[٢٠] (حسب الناطق باسم د. محمود الزهار ٢٠٠٦/٥/٢٩).

أو/و مؤامرة من الرئيس محمود عباس، حيث أنه (سبب فشل الحوار)، كما قال سامي أبو زهري (الصحف ٢٠٠٦/٦/٥) الذي سبق واتهم أن هناك (حملة إعلامية داخلية يقودها بعض رموز الحكومة السابقة لوضع العراقيل أمام الحكومة الحالية لإفشالها، عبر الدعوات لتشكيل حكومة جديدة -وما الضير في ذلك فالحكومات تروح وتجيء والشعب والأرض هم الباقون- والتحريض على الحالية).

ثالثا: تصدير المشاكل

ذكرنا أن خطاب تحميل المسؤولية للآخرين، وعدم النقد الذاتي وتفحص سبب الفشل أو معالجة الأزمة قد أخذ بمجامع خطاب حركة حماس بعيداً لتوزع الاتهامات (باستثناء محور د. ناصر الدين الشاعر ووزير المالية د.عمر عبد الرازق)، فكانت الاتهامات بتشكيل حكومة ظل، ومؤامرة داخلية ضد الحكومة تتلاقى مع المؤامرة الخارجية الدولية.

وبنفس العقلية تم التعامل مع الأزمة المالية، فحين لم تنجح حملات الفرح (نعم للجوع ولا للركوع) وحملات جمع الأموال القليلة من الناس، وأيضاً حملات البكاء واستدرار الدموع العربية، حيث أن (المواطنين العرب يبكون حين يسمعون عن فلسطين والمسجد الأقصى) وأيضاً (كانت النساء العرب يخلعن حليهن ويضعنها لفلسطين)[٢١] كما قال

---

[٢٠] بيان ناطق باسم الزهار في ٢٠٠٦/٥/٢٩ .

د. مروان أبو راس القيادي في حماس في مهرجان الوفاء للأسرى في ساحة الزهراء في غزة بتاريخ ٢٠٠٦/٥/٢[٢١].

د.مروان أبوراس، فلقد عمدت حكومة حماس بالدعوة وحث الدول العربية على تسديد التزاماتها، ووعدت بعض هذه الدول وقدم بعضها بضعة ملايين جهدت حكومة حماس في إدخالها إلى الوطن، ولما عدمت الوسيلة عبر البنوك تمنطق قادة حماس بموقف يحسب لهم ايجابا بأحزمة مالية، ودخلوا فيها الوطن برعاية حرس الرئاسة والأوربيين، وبعلم الرئيس. ورغم ذلك فلقد حمّل الزهار -الذي وبخ أحد موظفي المعبر عندما سأله عن موعد صرف الرواتب- الحكومة السابقة مسؤولية عدم قدرة الحكومة الحالية على إيصال أموال الدعم معتبراً أن معبر رفح العائق الوحيد أمام ذلك (الحياة ٢٠٠٦/٥/٢٠).

وهو نفسه أي د. محمود الزهار الذي كان قد رفض مقترحات الرئيس الفرنسي لحل مشكلة الرواتب فيما وافق عليها د. ناصرالدين الشاعر باسم الحكومة ككل (٢٠٠٦/٥/٤).[٢٢]

رابعاً: خطاب غيبي

كان من الطبيعي لتنظيم إيديولوجي عقدي أن يحفل خطابه بالاقتباسات الدينية الأيديولوجية وهذا لا يضير بل يعتبر من أعمدة مثل هذا الخطاب، إلا انه متى ما لجأ هذا الخطاب للتعامل مع الأزمات واحتياجات الناس بمنطق إلقاء أسس الحل لما هو خارج الواقع والاستطاعة، فذلك طرق لأبواب الغيب، وفي نفس الوقت إعلان عن العجز لوضع خطط للحل.

لقد حفل الخطاب السياسي لحركة حماس والحكومة بالغيبيات، فالحرب القائمة ضد حماس هي (لأنهم ثابتون على دينهم) كما قال النائب د. يونس الأسطل، ولأن حكومة حماس (لا تعيش بأزمة، فالله الذي نصرها هو الذي سيسير أمورها، وسفينة الإسلام وسفينة الوحدة الوطنية والتشريعي والحكومة ماضية دون تراجع)[٢٣]. كما يقول مشير المصري عضو المجلس التشريعي عن حماس، لذلك فقد تحمس خطباء المساجد التابعين لحماس وخاصة في غزة لينثروا الفتاوي بتكفير قيادات في حركة فتح وكوادر في الأمن الوقائي[٢٤] وليقوم خطباء متشددين باعتبار كوادر الأمن كالأحذية تخلع عندما تتلف، وآخر يكفر من ليس مع حكومة حماس (الجمعة ٢٠٠٦/٤/٢٨) ما دعى التيار السلفي في فلسطين لأن يصدر كتيبات حول رفضه لمنطق التكفير في فلسطين بتبيان اجتهادي في ذلك.

---

[٢٢] الصحف الفلسطينية ٢٠٠٦/٥/٢١

[٢٣] مشير المصري في مهرجان الوفاء للأسرى في غزة-الصحف والوكالات ٢٠٠٦/٥/٢

[٢٤] ماهر مقداد الناطق باسم فتح في إذاعة صوت فلسطين ٢٠٠٦/٤/٢٩

وكما ذكرنا بما أن الحكومة لا تعاني من أي مشاكل، والأزمات (مصطنعة) و (تآمرية) فهي (ستنتهي)، (لأننا نعتقد جازمين –لا أن نعمل جازمين– أن الخيار الرباني هو الخيار المنتصر)، كما يقول مشير المصري في الخطاب السابق. ولأن كل من تخلى عن الحكومة إما كافر أو (خائن) كما سماه أحمد النقلة القيادي في حماس في دير البلح، داعيا الجماهير (إلى الثبات على الدين الإسلامي والإحساس ببعضنا البعض في هذه الظروف، (الحياة ٦/٥/٢٠٠٦).

خامساً: نظرية المؤامرة

لم تخل أدبيات التنظيمات الدينية يوماً من نظرية المؤامرة، فمن تآمر الثالوث الشيوعي – الصليبي–اليهودي إلى التآمر الصهيوني الغربي، إلى التآمر الأمريكي اليهودي، وأحياناً كانت تضاف الماسونية لحشد المتآمرين على (الإسلاميين)[٢٥]، وبالضرورة كان يقع وضع العديد من الأنظمة العربية والإسلامية في خانة المتآمرين ما يعد من مسلمات خطاب التيارات الدينية في العالم الإسلامي، ولا نناقش في صحة الجمع بين عدد من الحلقات التآمرية من عدمه، وإنما في مفهوم أن هناك (مؤامرة) دوماً لتصفية الإسلاميين أو القضاء عليهم دون الأخذ بعين الاعتبار مراحل أشهر أو سنوات العسل التي وقف فيها (المتآمرون) من الغرب والامريكان مع (الإسلاميين) في حلف ظهرت مواقفه من خلال الدعم الأمريكي للتنظيمات الإسلامية ضد الدب الروسي، أو الدعم الأمريكي للمسلمين في يوغسلافيا السابقة أو الدعم الأمريكي والغربي للعديد من المنابر الإسلامية المعارضة المقيمة في الغرب (الكافر) لعشرات السنين، وكما هو الحال في الدعم المقدم للإخوان المسلمين السوريين المقيمين خارج سوريا أو للمعارضة الإسلامية السعودية في الخارج.

وخلاصة الأمر هنا أن اتفاق أو تساوق المصالح السياسية والاقتصادية أو اختلافها هو الحكم بمدى التقارب أو التباعد، إضافة إلى أن المخطط الأمريكي الحالي للهيمنة على العالم والذي وضع لأول مرة هدف القضاء على الإرهاب كاستراتيجية، وعلى رأسه (الإرهاب الإسلامي) كما يسمونه لا علاقة له إلا بمدى الاتفاق مع المخطط أو معارضته لذلك، فان المستهدف عالمياً هو كل من يقع خارج دائرة السيطرة أو ما أسماهم منظرو العولمة دول أو أطراف (الفجوة) مقابل دول (التواصل) المرتبطة بالنظام العاملي.

[٢٥] قد تصح التسمية بالاسلامويين –حسب المغاربة–بمعنى من يستغل الدين لأهداف حزبية أو لفكر متشدد غير متسامح.

حماس ونظرية المؤامرة

انشغلت حماس وشغلت معها الشارع في نظرية أن المؤامرة عليها وعلى الحكومة لأنهم إسلاميين، أو كما قال خطيب مسجد خالد بن الوليد في رام الله- عين منجد (٢٠٠٦/٣/١٢) (عندما جاء الذين يوحدون الله) وكأن الباقي من عبدة الأوثان. وهم-أي حماس- الذين يحققون معنى (الثبات على الدين الإسلامي) كما قال النقلة، ٢٦وأصحاب (الخيار الرباني المنتصر) حسب مصطلح مشير المصري،٢٧،والذين خرج الآلاف منهم للتصدي للقرارات الجائرة، التي تسعى (للإطاحة بالمشروع الإسلامي على أرض فلسطين) كما يقول الشيخ يوسف فرحات،٢٨ تلك التي تمثل فئة (الثابتون على دينهم)- كما قال (د. يونس الأسطل الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٤/١٥) وبالتالي فان المؤامرة واضحة المعالم عليهم، وهي كما يستصرخون الأمة (مؤامرة أمريكية أوروبية ودولية وإقليمية وداخلية لإسقاط الحكومة وانتزاع مواقف تنازلية منها) كما قال مشير المصري النائب عن حماس والناطق الرسمي باسم حماس.٢٩

وشعبنا كما يقول سامي ابو زهري٣٠ (يقف أمام مؤامرة حقيقية تهدف لتركيعه)، لذا (تشن عليه الحرب الشاملة) ويتآمر الموظفون (الغوغاء) أيضا على الحكومة عبر مسيرات الرواتب.

ولذلك اتهم خالد مشعل من دمشق (الجمعة ٢٠٠٦/٤/٢١) جهات خارجية وداخلية بمحاولة إفشال الحكومة متهمها بالتآمر-كالعادة- بل واكثر من ذلك أي بمحاولة تدبير انقلاب عسكري بدعم أمريكي إسرائيلي، داعياً لفضح الطابور الخامس ولإفشال المؤامرة ومؤكداً قدرة حماس على إفشال تلك المؤامرة.

لأنه وكما يقول صلاح البردويل الناطق باسم حماس في المجلس التشريعي (إن سقوط حماس يعني سقوط السلطة الوطنية) و(لأن الخيارات البديلة خطيرة) كما يقول رئيس الوزراء، ولأن (إفشال الحكومة سيقلب الطاولة على الجميع) هذه الطاولة التي تكرر الحديث عن قلبها مرارا، كما قال النائب د. يونس الأسطل، ويصنف سعيد صيام وزير الداخلية

---

[٢٦] (القيادي في حماس أحمد النقلة/ دير البلح ٢٠٠٦/٥/٦)

[٢٧] مشير المصري بمهرجان الوفاء للأسرى، ساحة الزهراء غزة ٢٠٠٦/٥/١

[٢٨] الشيخ يوسف فرحات في مهرجان النصيرات ٢٠٠٦/٤/١٦

[٢٩] (الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٤/١٢)

[٣٠] الصحف ٢٠٠٦/٤/١٣

القوى التي تقود المؤامرات ضد الشعب والحكومة بأنها (قوى الشر والبغـــي التـــي تتنكــر لمبادئها وتتنصل من شعاراتها المعلنة لتمارس عكس ما تنادي به)٣١ أي أنها من فـسطاط الباطل الذي وضع قواعده خالد مشعل في دمشق.

جاء خطاب المؤامرة مترابطاً مع فقه الاتهام للآخرين من جهة و مع تنزيه النفس ثانياً وتوجيه الهجوم للخارج ثالثاً دون أي فعالية نقدية للأداء الداخلي وطريقة الإدارة، ورابعاً مترابطة مع علو الصوت والغلو الذي دعا بخطباء حماس يصرون على أنها لـــن تعتـــرف بإسرائيل ولا بالمفاوضات و(قسماً بالله لو متنا جميعاً ولو سحقت حماس لن نعترف بإسرائيل ولن نتخلى عن ثوابتنا)، كما صرخ مشير المصري في مهرجان الوفاء للأسرى. ما يناقض حقيقة ما توصلت إليه كافة الفصائل في وثيقة الإجماع الوطني المعدلة فـــي ٢٠٠٦/٦/٢٧، التي تعترف بالدولة في حدود ٦٧ وبالمقاومة والمفاوضات والمجتمع الدولي.

سادساً: البداية من عندي

حفل خطاب بعض قادة وممثلي حماس بمحاولات جادة من الطعن والتـشهير فـــي حركة فتح باتهامها بالفساد أو باتهام الحكومة السابقة بذلك، وفي المغالاة بقدراتهم ونضالاتهم وباعتبار أن البداية كانت مع حماس التي حررت غزة واستلمت السلطة، مـــا أثـــار اســـتياءً عارماً في الشارع الفتحوي من جهة، وخرج عن الحقيقة من جهة ثانية.

يقول صلاح البردويل (٢٠٠٦/٤/١٤) إن ما (يحدث في الوزارات امتداد طبيعـــي لحالة الفساد التي كانت موجودة سابقاً، وشيء طبيعي أن حركة فتح التي هيمنت على السلطة الفلسطينية لمدة ٤٠ عاماً –السنوات هي ١١ عاماً في السلطة– ومارست كل ألـــوان الحكـــم بأشكاله الفاسدة وغير الفاسدة لا يمكن بحال من الأحوال أن تتخلى عن هذه المكاسب)٣٢.

وحماس هي قائدة سفينة المقاومة وحدها٣٣، حيث أنها وكما يقول البردويـــل ذاتـــه (أعلنت المقاومة خيار استراتيجي واختارها الناس عن وعي وإدراك لما يمكـــن أن يحـــدث، فيما رفع آخرون شعار المفاوضات خيار استراتيجي فتخلى عنهم الشارع) ٣٤ لـــذلك تـــشدد

---

[31] الصحف المحلية في ٢٠٠٦/٥/٦.

[32] الصحف المحلية في ٢٠٠٦/٤/١٤

[33] نظرة على العمليات وعدد الشهداء والأسرى تنقض ذلك براحة ويسر.

[34] تقول وثيقة الوفاق الوطني المعدلة التي وافقت عليها حماس ٢٠٠٦/٦/٢٧: (إن إدارة المفاوضـــات مـــن صلاحية (م.ت.ف) ورئيس السلطة الوطنية...) وتقول (حق الشعب الفلسطيني في المقاومة .....الـــى جانـــب العمل السياسي والتفاوضي والدبلوماسي).

قادة حماس برفض أي حكومة وحدة وطنية أو أي حوار يفضي إليها، فهم غير فاشلين ولا مأزومين أبدا، وهم دعاة المقاومة – تلك المتوقفة بجدارة لـ ١٦ شهرا– وهم الإسلاميين المدعومين من الله وحدهم، وهم دعاة الصبر والصمود الذي سيحقق النصر في خطاب ينكر نضالات الآخر ويرفع الخطاب من مستوى الواقع إلى مستوى الآمال والأحلام المباحة لهم.

يحفل خطاب حماس بقيم التشبث بالسلطة مهما كانت الأسباب والنتائج ما دعى أطراف الحوار الوطني للوقوف مطولاً عند نقطة (تشكيل حكومة وحدة وطنية) لتتحول الصيغة بنص حماس (العمل على تشكيل حكومة وحدة وطنية....) بمعنى حرصهم الفائق على وجودهم في السلطة الهدف الرئيسي، وعدم فهم أن الحكومة فشلت وحلت، ويجب أن يتم على الفور تشكيل حكومة وحدة وطنية بمجرد الانتهاء من الحوار.

لقد فهم الجميع أن إصرار حماس على نقل الحوار من رام الله إلى غزة هو تناطح بالرؤوس، بمعنى أن إسماعيل هنية يريد أن يثبت مقدرتة على الإمساك بزمام الأمور لا سيما في ظل الخلاف بين الداخل والخارج ذاك الخارج الذي حاول نقل الحوار الى السيمن، وأنه صاحب القرار مع الرئيس محمود عباس، وهذا ما حصل، فما أن اجتمعا معاً حتى زالت معظم الاعتراضات.٣٥

سابعاً: البلاغة والصوت العالي

يلاحظ على خطاب حركة حماس اللجوء لقوة اللفظ من الناحية اللغوية ربما لطبيعة دراسة معظم الخطباء واتقانهم للغة العربية ما يحسب لهم ايجابا، ومن ناحية استخدام الحكم و الألفاظ الرنانة والطنانة والتاريخية العميقة التي تلهب حماس الجماهير من مثل (مؤامرة) (قلب الطاولة) (الراكعون) (فلينتظروا التطرف الإسلامي) (لسنا طراطير) (لن تسقط القلاع، لن تسقط الحصون) (حماس لن تعترف بإسرائيل ولن تسقط البندقية) (لا ينبغي لأحد أن يحلم بحكومة قادمة بعد الحكومة الحالية) (لن نتخلى عن شبر من حيفا ويافا وصفد) (الاعتراف بدولة الاحتلال لن يكون يوماً) (من يتخلى عن الحكومة خائن ولن نسامحه) (لن نرفع الراية البيضا) (قوى الشر والبغي) (الفسطاطين) .... الخ. ربما تعود هذه السمة من الخطاب–

---

[٣٥] يراجع رأي ممثل الشعبية جميل مجدلاوي، صوت فلسطين ٢٠٠٦/٦/٢٩ .

إضافة لما قلنا- لطبيعة ثقافة ودراسة المعبرين عنه والذين درس معظمهم أو تثقف بالمواد غير العلمية، العلمية التي تخط المنهج التجريبي وتضع القواعد الصارمة.

ان مشكلة مثل هذا الخطاب أنه يقود لمواقف سياسية يصعب التنازل عنها، وقد يقود للتطرف فيصبح السياسي أسير ثورته العاطفية وأسير فلتات لسانه وأسير شعارات لا حظ لها من الحياة، لأن السياسة علم التعامل مع المتغيرات لا الثوابت، فن التعامل مع الضغوط والرياح العاتية.

ثامناً: لا يحمل برنامجاً سياسيا

قبل أن يتم الاتفاق السياسي بين كافة الفصائل بما فيها حماس في خضم العدوان الإسرائيلي بعد عملية الوهم المتبدد لفصائل المقاومة الفلسطينية في كرم أبوسالم والذي أعلن يوم ٢٠٠٦/٦/٢٧ تحت اسم وثيقة الوفاق الوطني (المعدلة) لوثيقة الوفاق الوطني الصادرة أصلا عن الأسرى، كان من الممكن القول أن خطاب حماس لم يحمل برنامجاً سياسياً، فبرنامجهم الانتخابي الموزع تحت شعار (تاريخنا ناصع، أيدينا نظيفة، مسيرتنا مستقيمة)٣٦، على ما يبدو ظل ناصعاً ونظيفاً من أي برنامج يصنع الحلول للواقع السياسي القائم، أو يدبر الأمر فيما آلت اليه الأوضاع الاقتصادية، حيث ظهرت عملية تعطيل مقصودة للوفاق الداخلي برفض منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد، والانغلاق داخلياً برفض الإطار العربي والعالمي.

حتى مطالب الجماهير لم تلق من حماس إلا الاستهانة بها وتحميلها صفات (المؤامرة) و (العربدة) و(الغوغاء) بدلاً من وضع برنامج لفك أزمات الجماهير المعيشية والتي أبرزها رواتب الموظفين والأسرى وأسر الشهداء.

الزعتر من السماء

ولأن البرنامج السياسي كان مفقوداً، فكان من الضرورة بمكان تعليق تحقق الأهداف على الغيبيات باستمطار رحمات السماء، حيث الصبر والصمود والثبات مطالب تصبح أساسية مع قلة الحيلة وضعف الحركة، أو كما قال رئيس الوزراء في خطبة الجمعة في مسجد الخلفاء ٣٧ (لن يغلب عسر يسرين وسيفتح الله بركته من السماء عليكم ويرزقكم

---

[٣٦] البرنامج الانتخابي لمرشحي قائمة التغيير والإصلاح لانتخابات المجلس التشريعي، الدورة الثانية ٢٠٠٦.

[٣٧] خطبة الجمعة لرئيس الوزراء في ٢٠٠٦/٤/١٤

من حيث لا تحتسبون) (ومهما كان الحصار ثقيلاً سنأكل الزعتر وعشب الأرض ولن نخون ولن نهون) وليس أمامنا (إلا خيار الصبر والصمود)، كما قال سامي أبو زهري الناطق باسم حركة حماس، في زرع لبرنامج غير واقعي وبالتالي غير سياسي.

إن من أهداف الخطاب السياسي أن يروج للحزب أو الحكومة ويهيئ الجماهير لقبول خطوات قادمة أو الموافقة على قرارات اتخذت، وعملية الترويج أو التسويق هذه في الخطاب السياسي تقترن بمدى اقتراب الخطاب أو تماهيه مع حاجات الناس المادية وغير المادية، وقد استطاعت حركة حماس في ظل عدم قدرتها على تقديم أي شيء مادي للناس يتفق مع برنامجها الإصلاحي الذي طرحته، أن تحول أنظار الناس للخطر الخارجي بنظرية المؤامرة من جهة، والى ما هو غير مادي نفسي واجتماعي وروحي في محاولة لتحقيق الالتفاف حولها في ظل تواصل انهيار الوضع السياسي والمعيشي والأمني، وفي ظل الغطيط العربي وإدارة الظهر الاوربية.

تاسعا: وهم التعاطف العربي

فعلى سبيل المثال في محاولة لإظهار التعاطف الشعبي والعربي مع الحكومة لجأت حماس لخطاب يروج للدعم العربي الذي بدأ يتدفق على حماس أنهارا، وهو ما ثبت لاحقاً أنه ترويج للأوهام. يقول د. مروان أبو راس من قيادات حماس في أحد المهرجانات أن (المواطنين العرب يبكون حين يسمعون عن فلسطين)، وأن النساء العرب يخلعن حليهن ويضعنها لفلسطين (الحياة ٢/٥/٢٠٠٦)، في تعميم ربما لحادثة أو أكثر يعطها انطباعاً وهمياً بأن قوافل المساعدات تتزاحم على الحدود أو كما قال فرحات أسعد الناطق باسم حماس في الضفة ثم لاحقا مستشار وزير الأسرى (أن الهبات الشعبية ستكون قادرة على تحريك خزائن الأمة خلال أسابيع قليلة)[38] دخل بعدها الأخ فرحات المعتقل الإسرائيلي وخرج ولم تفتح الخزائن.

ممنوع الحلم!

وفي موقف آخر جاء على لسان مشير المصري في أحد خطاباته إذ قرن الترويج للحكومة بالتهديد الصريح حين قال أنه (لا ينبغي لأحد أن يحلم بحكومة قادمة بعد الحكومة

---

[38] صحيفة الحياة الجديدة الفلسطينية ١٢/٤/٢٠٠٦

الحالية. فنحن لا ننظر إلى حكومة عمرها عام أو عامين بل ننظر لحكومة عمرها عقود تمتد حتى تحرير فلسطين)٣٩، بمعنى أن المذكور ليس فقط قد اعتبر الحكومة أصبحت إقطاعية مملوكة فقط لحماس، وإنما حرم الحلم على الناس وتوعدهم إما الوقوف مع الحكومة (ذات الخيار الرباني) في نفس الخطاب، وإما قلب الطاولة–ولا نعرف مشكلة هذه الطاولة–، وفي نفس لا ديمقراطي يؤكد فيه –بمعنى آخر– أن لا انتخابات قادمة مطلقاً، لأن حماس في الحكم إلى تحرير فلسطين ليجيب في ذات الخطاب أيضا، (أن الأزمات مصطنعة والتآمر على الحكومة سينتهي بإذن الله) كيف ولماذا؟، حيث يقول بين الصرخات والهتافات (لأن الحكومة لن تغادر مواقعها ولن تغادر القلاع).

نحن والا الزرقاوي

لقد اقترن خطاب الترويج لسياسات الحكومة المرتبط بالأوهام أحياناً أو بما هو غير محسوس بالتهديد، وكأن الإيمان لازم بما يقولون والا فالعصا في اليد اليمنى، حيث أن (إسقاط حكومة حماس سيكون بداية لإعادة جذور المقاومة...) و(ظاهرة الزرقاوي) (ولينتظروا التطرف الإسلامي الذي لا يؤمن الا بالعمليات الاستشهادية والسيارات المفخخة)٤٠، كما يقول د. يونس الأسطل غير موضح هل هو مع العمليات الاستشهادية والسيارات المفخخة أم لا.

ويتناغم معه في خطاب ترويج وتهديد وزير الداخلية سعيد صيام حين يقول (الصحف ٢٠٠٦/٥/٦) أنه (اذا نجحت الحكومة فالجميع سينعم بالأمن والحرية. أما في حالة فشلها فإن الجميع سيعضون أصابع الندم على إفشالها) ولأن الفشل ليس في قانون حماس مهما ادلهمت الخطوب وتعاقبت الأزمات –كما يقولون– فإن (القوى التي تقود المؤامرات ضد الحكومة والشعب) وهي من اسماها (بقوى الشر والبغي) يجب أن تجابه في الخارج والداخل، حيث (أعلن عن بدء عمل القوة التنفيذية التي تم تشكيلها في إطار وزارة الداخلية)٤١ وهي القوة التي ساهمت كغيرها من المنظمات غير المنضبطة في الشارع الفلسطيني–للأسف– في تكريس وتواصل حالة الفوضى والفلتان في قطاع غزة، لأن (كل

[٣٩] (الصحف ٢٠٠٦/٥/٢)
[٤٠] في لقاء له بخانيونس نشر في صحف ٢٠٠٦/٤/١٥ .
[٤١] (الوزير سعيد صيام، الصحف ٢٠٠٦/٥/١٨)

من يتخلى عن الحكومة في هذا الوقت فهو خائن ولن نسامحه أبداً) كما قال أحمد النقلة القيادي في حماس متهدداً ومتهماً بقسوة عجيبة.

تطويع الصخر

وفي محاولة محمومة للدعاية وللترويج يؤكد مشير المصري أن الله الذي نصر حكومة حماس (هو الذي سيسير أمورها)، وستتحول (الاجتياحات والمعاناة وممارسات الاحتلال إلى مجرد ذكريات وقصص مشوقة يسردها الناس لأبنائهم) كما قال الشيخ حامد البيتاوي[42]، أوكما يقول وزير الإعلام د. يوسف رزقة (سنشتق من الصخر آليات عمل...) في كلام لا يغني ولا يسمن من جوع ولا يلبي احتياجات الجماهير التي من اللازم على أي حكومة تلبيتها دون غيبيات أو تلويحات أو تهديدات.

عاشراً: إنكار الواقع وحديث التناقضات

من الطبيعي أن يكون الخطاب الغيبي الميتافيزيقي والذي يفترض نظرية المؤامرة الدولية والداخلية، والذي يحمّل الفشل للطابور الخامس من الطبيعي أن يكون خطاباً لاواقعيا بمعنى أنه لا يرى في الواقع حقيقة قائمة ولكنه يتعامل معه بالواقع الافتراضي أي الواقع الذي سيكون، لذلك حفلت خطابات العديد من خطباء حماس بالاستشهادات التاريخية من جهة، وبمقارنات لا تصح اجتزئت من سياقها حيث أن التاريخ لا يكرر نفسه، وبطلب الرحمة والدعوات والصبر دون أفق أو برنامج من جهة أخرى.

الحكومة ليست في أزمة

لطالما كرر رئيس الوزراء إسماعيل هنية أن الحكومة ليست بأزمة ليتجنب القول أنها فاشلة فلأنها ليست في أزمة بل الآخرين، لذا فلا فشل رغم أنه لا عمل. ومن نفس المنطلق كان قد رفض هنية الحوار الوطني لأنه (ليس هناك أزمة حكومة فلسطينية) مضيفاً [43] (أن الحكومة لا تمر بأزمة) بل وباعتبار أنها حكومة منتخبة (لا تمر بمأزق) وبالتالي (من يمر بمأزق هو الأطراف الأخرى).

---

[42] الشيخ حامد البيتاوي عضو التشريعي عن حماس، في ديوان الياسمينة في نابلس (٢٠٠٦/٥/١٣)

[43] (صحيفة الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٥/٣)

بينما سامي أبو زهري في ذات الصحيفة يخالف رئيس وزرائه و يؤكد (أن الحكومة تبذل كل جهد ممكن لتجاوز الأزمة – التي ينكرها رئيس الوزراء- التي نشأت عن قطع المساعدات الغربية عن السلطة، ثم الضغوط التي تمارس على البنوك)، بينما يعتدل في جلسته مشير المصري ليقول مؤكداً (أن الحكومة الفلسطينية لا تعيش بأزمة، فالله الذي نصرها هو الذي سيسير أمورها) مؤكداً أنه سيفشل المؤامرة الداخلية المتقاطعة مع المخطط الأمريكي لإفشال الحكومة الشرعية.

الحكومة في أزمة

وفي نفس الإطار الرافض للحوار أو المبادرات خشية الاعتراف بالمأزق أو الفشل أو العجز يرفض رئيس الوزراء المبادرات السياسية رافضاً أن تكون الحكومة في مأزق سياسي، ومع ذلك يتوجه للقادة العرب للتدخل لفك الحصار على اعتبار أن الحصار ليس بأزمة وما يترتب عنه.

وفي ذات الموضوع يتدخل د. ناصر الشاعر في ندوة في مركز البراق (١٤/٥/٢٠٠٦) ليقول (نحن لا نخجل عندما نقر أننا نعيش في أزمة) لنرى تناقضاً كبيراً بين اثنين من حماس لا يعترفان بالأزمات والمآزق والفشل وأثنين يؤكدان الاعتراف بالواقع المأزوم الذي أزم الحكومة.

إن الخطاب غير الواقعي أصبح سمة لطرف من أطراف حماس ويناقضه في مواقف كثيرة طرف آخر غالباً ما يكون الطرف المرن الوسطي المتمثل بالدكتور ناصر الشاعر ووزير المالية عمر عبد الرازق.

تناقضات أخرى

وإن جاز لنا أن نرصد مثالاً آخر على الواقعية واللاواقعية وعلى التناقض البين في مواقف وخطابات حركة حماس من الممكن أن نشير للموقف من مبادرة الرئيس الفرنسي جاك شيراك بإنشاء صندوق دولي لدفع الرواتب وتحويلها إلى مؤسسة الرئاسة.

يقول د. محمود الزهار (أن الحكومة ترفض مقترحات الرئيس الفرنسي لحل مشكلة رواتب الموظفين) بينما يعلن د. ناصر الدين الشاعر في ذات اليوم موافقة نفس الحكومة على مبادرة الرئيس الفرنسي.[٤٤]

عدا عن الموقف المتناقض والمتذبذب لحركة حماس من السيد الرئيس محمود عباس ما بين متهم له كما هو حال محمد نزال المستشرس من الخارج، وخطاب صلاح البردويل (١٥/٦/٢٠٠٦)، وما بين شاكر له وممتن كما هو خطاب رئيس الوزراء.

ولا نكرر إذا ما قلنا أن حركة حماس ككل ناقضت ورفضت خطاب د. محمود الزهار الموافق على خطة الفصل أحادي الجانب خطة شارون ثم أولمرت التي تقسم الضفة وتسرق معظم أراضيها والتي اعتبرها رئيس المجلس التشريعي عزيز الدويك (٢٩/٣/٢٠٠٦) (عدواناً على الشعب الفلسطيني وعلى قرارات الشرعية الدولية) تلك الشرعية التي رآها د. محمود الزهار بلطجة سياسية جعلته يرسل الرسالة للأمم المتحدة بخجل ووجل.

حادي عشر: خطاب التصلب وخطاب الوسطية

هل من الممكن أن يفهم تنوع الشدة في الخطاب في حركة حماس على أنه تكتيك؟ أم تناقض في المحاور وتناقض في المواقف؟! أم يفهم على أنه تعدد في وجهات النظر، بدأت تأخذ طابع العلن كما كان الحال بين فرقاء حركة (فتح)؟! أم أن البعد المكاني قد أثر في لغة الخطاب وأضفى درجة من اللين أو الوسطية أو الشدة على الخطاب؟!

ربما جزء كبير من الأسئلة المحيرة السابقة نراه في سياق خطابات الشخوص، فلا غرو أن خطاب دمشق هو خطاب الصوت العالي والاتهام الفاضح لمن لا يقف في فسطاطهم نظراً لاستحقاقات الخطاب المطلوبة في ظل الارتباط لقيادة حماس في سياسة المحاور الإقليمية. بينما خطاب غزة هو خطاب القوة المتمكنة على الأرض المتصارعة مع الخارج التي تعتقد أنها ترسم مستقبل فلسطين والعالم (العقود الطويلة للحكومة) حيث الحكومة أبدية كما قال بعض المتحدثين وهو الخطاب المدعوم ببعض التشكيلات العسكرية، رغم أنها متوزعة الولاء بين الداخل والخارج.

---

[٤٤] (الصحف ٤/٥/٢٠٠٦)

صعود نجوم و أفول

أن كل من خالد مشعل ومحمد نزال وموسى أبو مرزوق يمثلون رموز خطاب حماس الخارج بعد أفول نجم ابراهيم غوشة الذي تعهد للملك الحسين بالصمت مقابل عودته للأردن من قطر، مقابل رموز خطاب غزة د. محمود الزهار ومشير المصري وسعيد صيام وصلاح البردويل. ومن الممكن أن نشير لخطاب متميز في غزة يشتد حيناً ويلين حيناً في محاولة لتأكيد المرونة أو الوسطية ممثلاً بخطاب رئيس الوزراء إسماعيل هنية المخالف لخط مشعل منذ ترشحه لانتخابات التشريعي الأولى ١٩٩٦.

الخط الرابع

إن الخط الرابع في حركة حماس هو خط الواقعية والنظرة البعيدة والقدرة على استشراف المستقبل كما نعتقد ممثلاً بكل من المعتقل الشيخ حسن يوسف الذي اتسعت المسافة بينه وبين حماس مؤخراً حسب معلوماتنا، و د. ناصر الدين الشاعر نائب رئيس الوزراء ووزير التربية، ووزير المالية د.عمر عبد الرازق اللذين كانت لهم مواقف متميزة من حيث الاقتراب من العمق الوحدوي غير الحزبي، ومن السياسية الفلسطينية الممثلة لخط منظمة التحرير الفلسطينية.

خطاب د. ناصر الدين الشاعر

يقول د.ناصر الدين الشاعر أننا نؤمن (بالتعدد السياسي والثقافي والعرقي والديني) (وذلك في لقاء مع وفد من الجامعة الأمريكية في مصر تم بمكتبه في رام الله ٢٠٠٥/٤/١٨) ويقول أن (أمام الحكومة ثلاث مهمات وإلا ستنهار في حال لم تنجح في تطبيقها وهي: الأمن والمال والإصلاح)[٤٥] كما يعلن موافقة الحكومة على مقترح الرئيس الفرنسي بشأن الرواتب، والذي رفضه الزهار بإباء باسم الحكومة، ويعلن الشاعر أيضا أن خطاب خالد مشعل في دمشق الذي شتم فيه وهدد وتوعد واتهم (الطابور الخامس) بمؤامرة انقلابية ضد الحكومة وفسطاطه أنه لا يمثل رأي الحكومة. ويؤكد الشاعر على عدم عزم الحكومة الحالية على (أسلمة المناهج... لأن مناهجنا تعكس عمقها التاريخي والوطني.. وسنحمي مناهجنا كما هي وسوف نحرص على تطويرها) (الحياة ٢٠٠٦/٥/١٥).

---

[٤٥] (صحيفة الحياة الجديدة ٢٠٠٦/٥/٤)

و د. ناصر الدين الشاعر في ندوة مركز البراق يقرر أن الحكومة تعيش في أزمة متهماً إسرائيل بالوقوف وراء الحصار المفروض على الشعب الفلسطيني لا المؤامرة الأوروبية الأمريكية والإسرائيلية المتحالفة مع الوكيل المحلي كما ردد عديد من قادة حماس كما أسلفنا بالوثائق من كلامهم.

ويتميز أيضاً د. الشاعر حين يقرر في ذات الندوة أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد، ومسألة الاعتراف بها مسألة داخلية وتعتبر من المسلمات قبل زمن من الصراع العلني حول اعتراف حماس بالمنظمة في مماحكة لتزعمها استثمارا للفوز في الانتخابات التشريعية ب٤٢% من أصوات الناخبين، وهو -أي الاعتراف المتأخر- ما حصل في وثيقة الوفاق الوطني المعدلة (٢٠٠٦/٦/٢٧).٤٦

إن هذا الخطاب المتآلف مع خطاب وزير المالية د. عمر عبد الرازق من جهة ومع الخطاب السابق للشيخ حسن يوسف المعتقل حالياً في سجون الاحتلال، والذي يتسم بالمرونة والعقلانية مع القدرة على تفهم المتناقضات برأينا يجعل منه خطاب روية وهدوء قادر على استقطاب مساحة أوسع من الجماهير في حماس وايضا تلك الشرائح غير المنتمية لحركة حماس ما يشكل تهديدا لقاعدة حركة فتح.

خطاب خالد مشعل

يقول ممثل التصلب والتشدد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس المقيم في دمشق، وذلك في ذكرى وفاة خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطني السابق أن (الذين تحدثوا عن الدولة قبل التحرير لا فازوا بالدولة ولا بالتحرير.. ولا تكون دولة من دون أرض محررة)٤٧ وقال (إن السلطة ليست هدفاً.. السلطة وسيلة) وأضاف (إذا أصبحت السلطة هدفاً ففي ستين داهية السلطة). ما يخالف قطعاً خطاب حكومة حماس التي تعد الجماهير بالسمن والعسل بعد الصبر وبتواصل حكمها، وفي ستين داهية من يقول غير ذلك.

وتواصلاً لخطابه المتشدد عالي الصوت فلقد اعتبر خالد مشعل أن محاولات تركيع حماس (وإجبارها على التراجع عن مبادئها درباً من الوهم) معلناً في كلام غير سياسي ولا

(الاسراع في إنجاز ما تم الاتفاق عليه في القاهرة آذار ٢٠٠٥ فيما يتعلق بتطوير وتفعيل منظمة التحرير الفلسطينية وانضمام كل القوى والفصائل اليها وفق أسس ديمقراطية ترسخ مكانة منظمة [٤٦]التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا في أماكن تواجده كافة)

[٤٧] (رويترز ٢٠٠٦/٣/١٨)

واقعي أن (الحركة لن تتراجع قيد أنملة عن البرنامج الذي انتخبها على أساسه الشعب)[48] ولمن يريد التأكد من دقة هذا الكلام مع الواقع الناشئ عليه مراجعة وثيقة الأسرى المعدلة التي وافقت عليها حماس بعد حوارات طويلة لتجنب الاستفتاء.

ويؤكد خالد مشعل في طهران (مؤتمر نصرة فلسطين ٢٠٠٦/٤/١٥) أن (حماس لن تعترف بإسرائيل رغم الضغوط الدولية، وأنه -جازماً - لم يعد هناك طريق سوى المقاومة لدحر الاحتلال) رغم أن التيار الواقعي والوسطي قد أقر سبلاً أخرى ويمارسها.

سمات خطاب مشعل

إن المتأمل في خطاب خالد مشعل يكتشف أن التشدد فيه مرتبط بالجغرافيا السياسية أكثر مما هو مرتبط بمتطلبات الجماهير أو إرادة الشارع أو برنامج حماس، ويرى أن خطابه موجه للجيران أكثر مما هو موجه للفلسطينيين، وهو خطاب يتحزم بالقوة الإيرانية والسورية في محاولة لمركزة حركة حماس حول شخصه والمكتب السياسي في الخارج، لذلك نجد أصابع مالية تمتد لدعم كتائب القسام في إطار الصراع على النفوذ داخل الحركة.

[48] عبر الهاتف في مهرجان ذكرى استشهاد الشيخ ياسين والرنتيسي في رام الله ٢٠٠٦/٣/٣١

خاتمة

١- حركة حماس باغتتها الفوز فجاءها على حين غرة جعلها تقف فرحة ثم مشدوهة ثم عاجزة عن استيعاب ما حصل ومن ثم عن استيعاب ضرورة التغيير للخطاب وفقا لتكاليف السلطة واستحقاقاتها.

٢- ولم تستطع أن ترسم خطاً واضحاً بين موقفها كمعارضة في السابق وبين تسلمها لزمام السلطة كحكومة فوقعت في مجموعة من المآزق والأزمات استهانت بها في البداية وقللت من أمرها في إطار نشوة النصر والعنفوان المرافق لها، وفي إطار الايمان بأن الله معهم.

٣- وحاولت التغطية على عجزها هذا بإلقاء المسؤولية على الآخرين في الداخل والخارج من خلال عقلية غيبية تستمطر اللعنات على المخالفين، وتعد الأنصار بالنصر، وتطالب بدعم الحكومة والا فالتهديد والوعيد، لأن الثابتين على دينهم ينصرهم الله، والخونة أو الكفار هم الذين يحلمون أو يعملون على إسقاط الحكومة.

٤- لم تستطع حركة حماس أن تخرج من نطاق الخطاب الحزبي الضيق إلى الخطاب الوطني إلا ما ندر، فألقت بضعفها في حل المشاكل على الناس، حين طالبتهم بالجوع وعدم الركوع وبدأت تجمع منهم الأموال ولما سيّرت القوافل لتجمع من خزائن الأمة وجدت مفاتيحها صدئة تفتح بصعوبة شديدة.

السيطرة على القرار

٥- بدا خطاب حماس حزبياً صميما يدافع عن تماسك الحركة التي أغوتها السلطة وبهرتها الى درجة التمسك بها بالأسنان والنواجذ، ورغبت من خلالها أن تحقق الشرعية الدستورية والسياسية بعد أن اعتقدت أنها حققت الشرعية القتالية و الميدانية عبر تصويرها للرأي العام أنها قامت بتحريرغزة.

٦- وسعت بالتالي للسيطرة على القرار ومحاولة تلقف منظمة التحرير الفلسطينية وترؤسها بقوة الدفع الناتجة عن حجم الفوز لها، وحجم الكبوة التي وقعت بها فتح.

٧- لقد ظهر خطاب حماس قلقاً متوتراً في البداية، لذلك لجأ للأوهام ولجأ للغيبيات، ولجأت حماس لإنكار الواقع وابتعدت عن الرؤية السياسية التي تقدم الخبز للناس وتقدم الحل للمشكل الاقتصادي والمالي.

٨- لقد حاولت حماس جاهدة -وهو ما يحسب لها إيجابا – الخروج من المآزق المتعددة التي وقعت فيها حيناً من خلال التحرك الخارجي المحموم، وحيناً آخر من خلال محاولة تجنيد الشارع والمساجد فنجحت في أمور وفشلت في أخرى.

٩- ففي حين فشلت مسيرات الفرح بالجوع ورفض الركوع فإنها حصلت في المقابل على التفاف شعبي رغم سوء الحال إلى أن تصاعدت أصوات الجوعى بعد ٤ شهور حالكة لتغطي على أصوات الاتهامات لهم بالغوغاء وتقر حقهم بالتظاهر، وكما جاء في وثيقة الوفاق الوطني المعدلة.

١٠- في إطار محاولة حركة حماس البحث عن مخرج، تخبطت كثيراً ووقعت في تناقض الصيحات العالية والمواقف والخطابات المغالية والمتناقضة ما كان بامتياز من حقوق حركة فتح فقط لتظهر حركة جديدة تتخطفها الأضواء وتلعب بها الفضائيات فتقع في المستنقع الذي وقع به سلفها التنظيم الذي اعتبر نفسه العمود الفقري للثورة.

الشرعيات الثلاثة

١١- لم يفد حماس الاستهانة بالشرعيات الثلاثة: الوطنية عبر منظمة التحرير الفلسطينية والعربية عبر قرارات الإجماع العربي والدولية عبر قرارات الأمم المتحدة بل أساءت كثيراً للعمل الوطني وعزلت نفسها والقضية والسلطة والشعب عن العالم الذي بدأ يتشدد في التعامل مع الحكومة الفلسطينية التي لم تفدها جولة وزير الشؤون الخارجية في فكفكة الحصار الخارجي.

١٢- إلى أن نجحت الحركة في تجاوز أزمتها الداخلية التي تأججت مع صدور وثيقة الأسرى وثيقة الوفاق الوطني بالاعتراف بالشرعيات الثلاث في المعدل من الوثيقة ما يحسب إيجابا لحركة حماس.

١٣- إن سوء إدارة الأزمات كان من أهم الأسباب التي جعلت حماس تعيش في حيرة وتخبط أدى بها لاستخدام لغة الترغيب والترهيب لفظاً وعملاً، لفظاً عبر الخطاب الناري وعملاً عبر القوة التنفيذية.

١٤- لقد فشل خطاب حماس في استقطاب الجماهير غير المنظمة، ونجح في تحديد شكل المعسكرات من حولها، ومن حول فتح، ومن حول التنظيمات الأخرى، حتى تلك التي

كان صوتها خافتاً مثل (حزب التحرير) و (السلفيين)، لأن تصاعد حدة الخطاب الديني قد حفز التنظيمات الدينية الأخرى لاستغلال المساجد والدفاع عن وجودها كما فعلت حركة حماس في استغلال المساجد.

١٥- في محاولة لإظهار نفسها كقوة متصاعدة سعت حماس لإضعاف القوى الأخرى وخاصة حركة فتح عبر الشكوى من الفساد وخلو الخزينة بأرقام متناقضة -رد عليها وزير المالية السابق مفندا كافة الادعاءات- وعبر الاتهام بالفوضى، ولكن مقدرة حركة فتح على لملمة بيتها قد حد من هذه المحاولة ووضعها في سياق الخلاف الذي يجب أن يتعامل مع الحجوم على حقيقتها في الإطار الوطني والإقليمي والدولي.

١٦- ما يسجل نجاحاً لحركة حماس أيضاً أنها جذبت قطاعاً واسعاً من الشارع الفلسطيني والعربي خاصة وتزنرت بدعم حركة الأخوان المسلمين لها -باعتبارها إطار حركة الاخوان المسلمين الفلسطيني - ما كان مؤثراً، هذا النجاح الذي تساوق مع الإيمان بنظرية المؤامرة على (الإسلاميين) التي ما زالت تشكل أحد أشكال الاستقطاب والتحليل السياسي في الوعي العربي والإسلامي وخاصة عند مناصري الاخوان المسلمين منذ عهد الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، الذي لا يفهم سبب النكبات والأزمات إلا بمنطق المؤامرة، وكيف لا ونحن خير أمة أخرجت للناس.

١٧- في الختام نقول أنه خيراً فعلت حركة حماس حينما وافقت على وثيقة الوفاق الوطني المعدلة رغم ما قد تثيره بعض البنود فيها لدى فئة متشددة فيها لا ترى السياسة إلا في لون واحد هو لونها فقط ما قد يمزق النسيج الذي يبدو مترابطا في الحركة التي تقف إثر العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، وبعد الموافقة على الوثيقة، أنها على مفترق طرق صعب وبحاجة لاتخاذ قرارات حاسمة تجنبها الاضمحلال أو التفتت.

الفصل الخامس

حركة حماس ومخالب السلطة

كيف يتحول تنظيم سياسي كان يرفع لواء الأخلاق والإيمان والتدين المستمد من طبيعتة (الدعوية) السابقة إلى تنظيم سياسي عنيف يصارع على السلطة بمخالبة وأسنانه بكل ما أوتي من قوة ؟ وكيف يتحول الداعية السمح إلى منفذ لأغراض تتناقض مع مبادئه، مباديء الاسلام العظيم ؟ وكيف تتحول قوة الكرسي إلى سحر وأداة قمع للمعارضين بلا هوادة ؟ وهل يعقل لتنظيم أشهر نفسه كتنظيم مقاوم أن يغمد خنجره في جعبته في مواجهة العدو، ويستله ليطعن بها أشقاء من نفس العشيرة أو الوطن !؟ وكيف لتنظيم ناضل طويلا وبعناد ضد الديمقراطية باعتبارها كفر - حسب أدبيات الكثير في الإخوان المسلمين - ثم ينقلب على ذاته وينخرط فيها بلا قيود وبانفلات سياسي ؟ وكيف لذات التنظيم الذي عاب على غيره الفساد والفوضى وارتياد الفنادق وترك الخنادق يقوم هو بذات الممارسة التي أبعدته أميالا عن الشعب الجريح ؟

الأيادي النظيفة والديات

إن التنظيم الإلهي -بجذوره كاخوان مسلمين- الذي سخر من الوطنية ومن القومية ومن الاشتراكية ومن الديمقراطية هو ذات التنظيم الذي عاد ليصنف نفسه ضمن ميثاقه كتنظيم وطني في محيط عربي وإسلامي، ولم يرف له جفن عندما نقض بعضا من أفكاره الأيديولوجية وتخلى عنها، ولم لا ؟! فالضرورات تبيح المحظورات .

ان التنظيم الذي رفع شعار (أيادي نظيفة) في حملته الانتخابية للوصول لكرسي سلطة حكم ذاتي متهاوية كان يمقتها ويحاربها ويكفرها هو ذات التنظيم الذي افتتن بهذه السلطة الكافرة افتتانا عظيما ما دعاه ليتخلى طوعا او كرها عن شعار (الأيادي النظيفة) الذي ملأ الساحات والميادين في فلسطين لتتلوث بعض هذه الأيادي بدماء المواطنين الفلسطينيين ليس من جهاز الأمن الوقائي فقط، وليس من جهاز المخابرات العامة الفلسطيني فقط وليس من أبناء حركة فتح فقط، وانما من أبناء الشعب الفلسطيني عامة الذين لم يكلف أحد من قاتليهم من دوائر أجهزة وجماعات حركة حماس أن يعتذر لهم، ولا يعود لتكرار

ذات الممارسة، بل عوضا عن ذلك يحمل السيد اسماعيل هنية رئيس الوزراء دماء الضحايا ويتعهد بدفع الديّات لهم في واحدة من أغرب حالات الانقلاب في تاريخ التنظيمات السياسية ؟! تلك التي تستبدل سماحة الداعية وخلقه الحسن بحق الانتقام الأعمى فتشن حربا بلا هوادة ضد كل مخالف أو مناوىء أو معارض، تنفيذا لمخططات داخلية ولأجندات خارجية تعد ولن تفي .

بريق السلطة والعمى

ان يوم الأحد الأسود الذي سقط فيه ١٥ شهيدا تحت نيران زمرة المليشيا (المسماة القوة التنفيذية) لم تلقَ من هذا التنظيم أي اعتراف بالمأساة والجريمة، بل بدلا من ذلك يصعد الأخ رئيس الوزراء المغلوب على أمره ذاته ليكيل المديح تلو المديح لهذه القوة الشيطانية في أغرب رد فعل على عمليات القتل المبرمج التي طالت الشارع الفلسطيني عامة ؟!

هل يعقل لمثل هذه التنظيم أن يصل الحقد بقيادات أو كوادر فيه الى هذا المستوى ؟ وهل من المعقول أن يكون مستوى العمى او التغاضي من الآخرين في ذات التنظيم الى الحد الذي لا يستطيعون فيه لجم الانقلابيين والمتآمرين ؟ ألضعفٍ فيهم أم أن بريق السلطة ودفء الكراسي وأضواء الاعلام تسلب اللب وتزيل العقل وتسخر من الدين والمتدينين؟!

أن المقتل الوحشي للأطفال الثلاثة من آل بعلوشة في غزة- وما سبقه ولحقه من عمليات اغتيال مدبرة طالت العشرات- والذي لم ينسب لأحد حتى الآن علنا، لم يخرج عن دوائر الفتنة سواء داخل الجماعات والزمر المرتبطة بحركة حماس أو تلك المستفيدة من جو الاحتراب والفوضى ما يلقي بالمسؤولية الكاملة ليس فقط على التيار الانقلابي المغامر وليس على حركة حماس فقط، بل وعلى حركة فتح بسكوتها المريع واستمرار فوضاها الداخلية التي تتيح للآخرين استباحتها، وعلى قادة الأجهزة الامنية ورأس السلطة السيد أبومازن.

ولكن أن يصل الأمر بالقتلة الى حد اللهو بدماء الاطفال، واقتحام منازل الآمنين، فهذا ما يجعلنا نتوقف ملياً مرة تلو الأخرى عند تقاعس قوات الأمن كافة، وخاصة زمرة (القوة التنفيذية) تلك التي استطاعت خلال دقائق أن تحدد من أطلق النار تجاه موكب وزير الداخلية السيد سعيد صيام، ودون أن تتمكن أو ترغب بحل أي من حالات القتل التي وصلت الى عشرات وتفيد مختلف التقارير أن لها دور مخزي فيها.

اعدامات بالجملة!

إذا كان يوسف الزهار المسؤول السابق لمليشيا القوة التنفيذية غير الشرعية في مدينة غزة (أخو د.محمود الزهار وزير الشؤون الخارجية) الذي أعلن جهارا نهارا وعلى صفحات النيوزيك الامريكية وغيرها كراهيته وحقده على قيادات في حركة فتح - يقود هذه المليشيا المكونة من أعداد لا تمثل حماس لوحدها كما يقول، فهي إذن تمثل تجمعا لكل المتضررين أو الناقمين أو الحاقدين على حركة فتح والشعب الفلسطيني مع مجموعة مخترقة أومشكوك بها أمنيا- وهي بتشكيلتها وأفعالها الإجرامية تكوّن تيارا مغامرا في حماس يذكرنا بجرائم زمرة مقتدى الصدر في العراق وإن لم يكن كذلك، إذا افترضنا حسن النية!! فمن هو الذي يستغل بؤس أداء السلطة وعجزها تلك التي فشلت في إحلال الاستقرار أو دفع معاشات الموظفين أو تحقيق الأمن؟! ما أدى لحرف الدعاة عن مذهبهم والقذف بهم في أتون الحرب التي تأكل الأخضر واليابس وتحقق أهداف العدو الذي اخترق الجسد الفلسطيني وجسد هذه المليشيا، ما جعلها تضحك عاليا عندما تقوم بعمليات الاعدام - وليس الاشتباك - ضد كل المخالفين، على سبيل المثال كما حصل للأخ عدنان رحمي الذي قتل برصاصة بالرأس من على بعد صفر وكما حصل مع الأخ أسامة نصار الذي أعدم بدم بارد داخل مستشفى ناصر في خانيونس، أكرر داخل مستشفى ناصر.

إن مأساة اغتيال العميد جاد التايه الذي قتلته الفئة الباغية في سيارته مع مرافقيه بلا رحمة وعن سابق عمد، وما سبقه من اغتيال محمد الحرازين، ثم اغتيال العميد محمد غريب الذي ناشد العالم انقاذ أهل بيته عبر الاتصال بالفضائيات من جهة، وبتدخل من الأخ اسماعيل هنية الذي وعد بفك حصاره دون جدوى، حيث قصفت المليشيا المسماة القوة التنفيذية بيته بالصواريخ، ثم اقتحمت حرمة منزله وكفرته وأعدمته بإطلاق الرصاص في محاشمه ثم في رأسه بدم بارد؟! ثم سرقوا ما أسموه بالغنائم؟! وعلى مسامع كل من يمتلك جهاز لاسلكي في غزة، وجرحت زوجته وقتلت معه خمسة آخرين كان من بينهم الأخ حسين أبوهليل عضو لجنة إقليم فتح في جباليا الذي كان يحاورهم، وأطلقت الرصاص على سيارات الاسعاف ومنعت انقاذ الجرحى - كما أورد شهود العيان في تلفزيون فلسطين- (الجمعة ٥ / ١ /٢٠٠٧)، إن لم يكن ذلك من حصاد التيار المتطرف المغامر فماذا يكون؟

إن المناظر البشعة للدماء وللدمار الشامل الذي أحدثته المليشيا الارهابية في منزل العميد محمد غريب أبو المجد، والإيغال في القتل الذي فاجأ الناس جميعا قد دعى لجنة المتابعة للقوى الوطنية والاسلامية والتي تضم حماس أيضا لأن تطالب بحل القوة التنفيذية

(٤ / ١ / ٢٠٠٦) ما لم يلقى أي أذن صاغية من الحكومة الفلسطينية، وإنما لقى التعنت والتشبث بالمواقف بل والدفاع عن القتل والقتلة رغم دعوات التهدئة التي لا تعنى شيئا مقابل الشد على يد المعتدين والاحتفال معهم بالنصر على (الأعداء).

الفوضى بيئة خصبة للتطرف

ان مفهوم القتل والتدمير هو ذات المفهوم الذي كرسته مجموعة من قيادات حماس تلك التي جعلت من الانتقام ديدنها ومن التشبث بالكراسي ولو على دماء المواطنين، ومن خدمة أغراض إقليمية مسلكها هي ذات القوات التي دمرت معبر رفح تدميرا كاملا بلا أدنى شعور بالمسؤولية ودمرت قبله العديد من مقار السلطة وسياراتها بلا أي شعور بالذنب، ودمرت بيوت الآمنين، وقتلت الأطفال بكل بشاعة لقيت الإدانة اللفظية والسكوت الفعلى بعدم تقديم أي مجرم للعدالة، أو محاسبته وعقابه .

ويعود ذات السؤال الذي يؤرق الفلسطيني العادي، بل والعربي أو المسلم العادي الذي علق آمالا على حركة حماس باعتبارها – كما يرى البعض وترى بنفسها – ممثلا للاسلام في فلسطين، لماذا هذا القتل ؟ وكيف تتواصل مثل هذه العمليات الدموية بأيدي إسلامية !؟ ليأتيه الجواب من الجزائر وفي العراق حيث تحولت التنظيمات التي ترفع راية الاسلام الى مجموعات من المتطرفين القتلة والعصابات التي استحلت دماء مخالفيها وأعملت فيهم قتلا وتقطيعا ما وجد له – على ما يبدو – بيئة خصبة في فلسطين لا سيما والبكاء على عدم التمكين من السلطة من جهة و الانخراط في حلف اقليمي ينهد عدم الاستقرار من جهة أخرى قد فعل فعله ما قد يؤسس لتصبح غزة جنة للمتطرفين.

فقدان الحرية، والقوالب الجامدة

ان معدل الحرية الواطئ داخل التنظيمات الايديولوجية، ومستوى القولبة الفكرية العالي واستشراء الجهل والفقر، وانعدام الديمقراطية، ونفاذ مبدأ الطاعة العمياء في المنشط والمكره، والاعتقاد بامتلاك الحقيقة كل الحقيقة، وامكانية الحكم على الآخرين والشعور بالظلم، وجزالة الدعم الخارجي لا بد ان يخرج من داخل هذه التنظيمات قيادات وعناصر وكوادر وجماعات متطرفة أوإرهابية أو مليشيات إجرامية تكفّر فتُقدم، وتحكم بالردة فتحارب (في سبيل الله)، وتجهّل المجتمع فتقاتله؟! كما كان للتجربة الاسلامية او الاسلاموية (أي الاسلامية المغالية والمتطرفة) أن انحرفت بنفسها في كل من العراق والجزائر ليتحول

الساسة والدعاة الى متطرفين ضيقى الأفق، أو يقاد الحكماء منهم من قبل عناصر من الغلاة الذين استغلوا ضعف القيادات السياسية أو خوفها وجبنها وعدم سيطرتها عليهم، أو لتلاقـــى أهدافهم الميدانية مع أهدافها الشخصية أو السياسية الحزبية الضيقة .

تنقلت حركة حماس بين سلسلة من الازمات المتعاقبة صورت نفسها مـــن خلالهـــا بالحركة الشهيدة، فهي كما تدعى محاصرة من الأمريكان والاسرائيليين-رغـــم أن الحـــصار سابق لوجودهم- ومن الفلسطينين وخاصة حركة فتح ؟! حيث استطاعت أن تصور فتح في الإعلام كتنظيم افتقد السلطة ولم يستطيع أن يتجرع الأمر فهو يحارب لاسترجاعها؟! ما لـــم تصدقه الأحداث: حيث قالت فتح مرارا وتكرارا أنها تريد حكومة وحدة وطنية أو كفاءات لا يكون فيها أحد من فتح مطلقا، ولكن لتخرج الشعب والحكومة والقضية من أزمته الـــسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية .

التنظيم الشهيد المؤيد من الله

وهي أي حماس الحركة الشهيدة التي يتآمر الفتحويون عليها والرئيس عباس الـــذي كما قال عنه الأخ خليل الحية القيادي في حماس أنه -أي أبو مازن- يعلن الحرب (على الله وحماس) في ثنائية شركية عجيبة حاشا لله؟! تجعل من الايمان بالله مرتبطا بحماس والعكس بالعكس، وفي آلية بيع للأوهام والغيبيات للشعب البسيط والمؤمن الذي يحتـــاج أكثـــر مـــن الزعتر والصبر، وهي حركة مظلومة فلم تمكّن من الحكم، بل تقطعت بها الـــسبل وســـجن أعضاؤها من الوزراء وبعض النواب، ولم تنعقد أي جلسة فعْليه للمجلس التـــشريعي لتتخـــذ قرار فاعلا كما كان شأن المجلس السابق، وفقدت في ذات الوقت سيطرتها على أي مؤسسة من مؤسسات الحكم التنفيذية سوى مليشيا أخو د. محمود الزهار والتابعة لـــوزير الداخليـــة سعيد صيام دون سند قانوني كما أسلفنا .

فشل فمكابرة ففساد

ولأن حركة حماس تكابر بشكل مرعب فانها لا تعتـــرف بسلـــسلة الفـــشل الـــذي أصبحت تعانيه، بل عوضا عن ذلك توغل في ارتكاب الأخطـــاء والخطايـــا علـــى الـــصعد الادارية والتنظيمية والسياسية فتعد الموظفين المضربين (الذين وصفتهم بالغوغاء) بـــالأموال ولا تنفذ أي من وعودها لهم، وترفع شعار (الاصلاح والتغيير) شعارا مركزيا، وتقوم بسلسلة ضخمة من التعيينات فاقت في فسادها ما كانت تعيب ونعيب عليه الحكومات السابقة، و لمن

يريد الاطمئنان لذلك يمكنه الرجوع لمشاريع المراسيم التي أرجعها مكتب الرئيس أبو مازن للحكومة لخروجها عن أحكام القانون وديوان الموظفين حيث القفز لما فوق أربع مراتب إدارية ودون اعتبار للشهادات، والاحلال الوظيفي وغيره من ممارسات الفساد الاداري الكثيرة.

أما عن أموال حماس فحدث ولا حرج حيث تجلب حماس الأموال المخصصة للحكومة والشعب الفلسطيني والموظفين عبر معبر رفح وتضع جزء منها في حسابات الحكومة وجزء آخر توزعه على الأنصار والمريدين فقط، كما حصل في توزيع معاشين زائد مائة دولار عيدية لأعضاء القوة التنفيذية في عيد الاضحى المبارك شهر ١٢ / ٢٠٠٦ دونا عن سائر قوات الأمن والموظفين، وخاصة كبار الموظفين على اعتبار أن كلهم فتح ولا أهمية لتزويدهم بمعاشاتهم؟! وأيضا كما حصل في رمضان وقبله وبعدة من توزيع (سلة غذائية) فقط على مريدي الحركة وأتباعها دونا عن فقراء الناس والمستحقين في القرى والمخيمات........ أفلا يكون مثل هذا وغيره فسادا ماليا فاضحا بل وفسادا فكريا ومسلكيا يعد من مرتكزات فشل الحكومة على الصعيد الاجتماعي الوطني، تلك التي تعاملت بعقلية حزبية بحتة لا بعقلية وطنية عامة.

فشل سياسي وانتقام

فشلت الحكومة سياسيا فشلا ذريعا فلم تستطع أن تكسب لا الشارع الفلسطيني ولا المحيط الإقليمي، فعقدت حلفا آخر ضمن المحور الإيراني السوري وعبره لم تقدم شيئا للمواطن الفلسطيني الا وعودا بالقوة والخبز وبالمال وباتهامات مصاحبة للأخرين بأنهم محور الأمريكان والاسرائيلين ما لم ينطلي على أحد، خاصة بعد انكشاف وثيقة د. أحمد يوسف مستشار اسماعيل هنية التي شكلت فضيحة مباحثات أو مقترح لمباحثات اسرائيلية- حمساوية تلغى حق العودة ولا تؤسس لدولة فلسطينية وتتنازل عن الكثير من حقوق الشعب الفلسطيني ما يجعلنا نقف إجلالا لمبادرة جنيف مقابلها، ما جاء لاحقا لفضيحة لقاء أعضاء مجلس بلدي بلعين من قيادات حماس المحلية مع سكان المستعمرة الإسرائيلية التي تحتل أراضي البلدة أي أراضيهم مباشرة، وتبادل الأنخاب ما نشرته بالصور الملونة الصحف الإسرائيلية، هذا الحدث الجلل والخطير الذي لم يلقَ من قادة حماس أي اكتراث، وكأن أبطال فضيحة قرية نعلين من قيادات حماس المحليين من المريخ؟!

إن الفشل السياسي نتيجة التخبط السياسي وافتقاد البرنامج الذي منيت بـه حكومـة حماس بعدم القدرة على تحديد مسار أو أمل في أي تحرك يعيـد الألـق للقـضية والبلـد، والضعف الذي لا يحسدون عليه في الأداء الى حد الانهيار، والاقتصار علـى ردات الفعـل اليائسة، وعدم القدرة على ضبط حركة المجتمع، واستشراء الفوضى، واكتساب الفساد لونـا جديدا قد جعل من الحكومة وحماس ذاتها في مأزق وجودي فائق الصعوبة، لم يكـن هنـاك امكانية لتجاوزه أو حله -برأي التيار الانقلابي المغامر على الأقل-إلا عبر تكثيف هيجـان الشارع وتكديس السلاح والمتفجرات في منازل العباد، ورفع الـسلاح فـي وجـه الأخـوة والتعدي على الآخرين واتهامهم والذين منهم الصحفيين والإعلاميـين، ومـؤخرا أصـحاب الرأي المخالف من الدعاة المشهورين أمثال الشيخ عادل نصار رئيس جماعة أنصار الـسنة في فلسطين الذي اغتيل في ٢٠٠٧/١/٥ على أيدى مجهولين (؟!) عند خروجه من المـسجد في غزة داعيا لتحريم الاقتتال، كل ذلك في محاولة من التيار الانقلابي التكفيري في حمـاس لاكتساب قوة مفتعلة طالما رددتها أصوات في حماس بالتهديد الصريح والعلني بالقول : إمـا تفعلوا هذا أو لا تفعلوا ذاك وإلا أمامكم (الحرب الأهلية) ؟! ما تكرّس علـى الأرض مـن قبلهم فقط، وعبر زمر في حماس، أو في المحيط المضطرب خاصة في غزة، والذي أنـتج دعاة للحرب والدماء التي سالت بغزارة حول كراسي الحكم وبريق السلطة.

التيار الانقلابي التكفيري الى أين؟!

وهم ذاتهم -أي التيار الانقلابي التكفيري في حماس- الذين يـستخدمون المكـابرة والمماطلة والتأجيل الممل والتسويف في كافة الشؤون السياسية والأمنية والإدارية بما يتفـق مع الأجندة الخارجية التي تشتري الوقت في صراعها مع الأمريكان من خلال توتير الأجواء في مناطق سيطرتها المزعومة في العراق ولبنان وفلسطين، ما تناغمت معه حركة حمـاس التي أعطت ولاءها الكامل للعمق الاستراتيجي ممثلا بإيران كما قال السيد اسماعيل هنية في طهران، مدخلة نفسها في لعبة المحاور الملعونة والضارة بالقضية ضـمن محـور اقليمـي سيصعب عليها الخروج منه لاحقا، إلا طردا أو انشقاقا.

إن مسلسل الفشل والدم الذي قادته لا أقول حركة حماس بل فئات في الحركة هـو مسلسل ليس بجديد، بل يشكل امتدادا لمرحلة ما قبل انخراط الحركة بالعملية الانتخابية-كما أثبتنا ذلك في ورقة سابقة وبالدلائل من أقوالهم وأفعالهم- ويتواصل مخطط التدمير والقتـل تحت مبررات عدة كلها تتهم الآخرين وتكفرهم وتبالغ في شتمهم من مثل بيان صـدر عـن حماس إثر منع تظاهرة مسلحة من الخروج من مسجد جمال عبد الناصر في رام الله أواخر

العام ٢٠٠٦ وتحت عنوان تحريضي ضخم (مذبحة مسجد البيرة الكبير) ولم يكن هناك مذبحة ولا دماء ولا يحزنون، بل يتم استخدام ذات الأسلوب التحريضي والمبالغ فيه الذي يستخدمه دعاة الحرب الأهلية في التنظيمات الأيديولوجية مغلقة العقل دون سواهم، وهم ذاتهم التيار المغامر الانقلابي، تيار الفئة الباغية، في حركة حماس وضمن محيطها الذي يستغل الشعارات الدينية والتكفير والتخوين، ويستغل حجم عداءات سابقة لحركة المقاومة الفلسطينية على مدار أكثر من ٤٠ عاما داخل المحيط العربي في توسيع نطاق حركتهم بدعم كامل من جماعة الاخوان المسلمين التي ترغب في تثبيت موطيء قدم لها في الأرض المقدسة بعد فشلها التاريخي المتكرر أن يكون لها شأن أو حضور في أي من مراحل التاريخ العربي والإسلامي في أكثر من بلد عربي وإسلامي، ومستغلة المساحة المتاحة للعب السياسي المقدمة من أمريكا للتيارات الإسلامية المعتدلة وعلى رأسها الاخوان المسلمين كما صنفتها مراكز الأبحاث الأمريكية.

حماس الى أين؟!

إن لعبة الكراسي في حركة الاخوان المسلمين، وداخل حركة حماس التي تنخرها الصراعات، والتي توزع القرار فيها بين العواصم، وارتباط تيار أو أكثر داخل الحركة بأجندات خارجية، وأحقاد داخلية ورغبات مكبوتة وطموحات عديدة للسيطرة والسلطة والأضواء على حساب القضية من قبل بعض الرجال (الربانيين) الذين يمتلكون الخطاب الشمولي الغيبي الديماغوجي، و مطلق الصواب ومطرقة القاضي لا مسبحة الداعية (كان حسن الهضيبي مرشد الاخوان المسلمين عقب حسن البنا قد أصدر كتابه الشهير دعاة لا قضاة ردا على التيار المتطرف بالاخوان المسلمين)، ونتيجة لتمثيلها دور الشهيد أو المظلوم أو الواقع تحت تأثير المؤامرة، وتغطية على فشلها في الحكم .

وللرغبة الحثيثة في التمكين ضد الكفار أوالمرتدين أوالانقلابيين عليها كما تسميهم فإنها تخوض حربها الأهلية دفاعا عن وجودها ومستقبلها وإرضاء لتحالفاتها، وهي الملهمة المؤيدة من الله سبحانه وتعالى، والتي يجب ألا تفشل ما يمكن أن يجيبنا عن بعض سلسلة الأسئلة التي بدأنا بها هذه الورقة، أو يحاول تقديم الاجابة على سبب تفشي الحالة المرعبة التي وصل اليها الخطاب والفعل الأيديولوجي في فلسطين وخارجها والذي يحتاج للكثير من القراءة والنقد والحوار والصراحة والتحلي بالحكمة الكامنة في تيار الحكمة في فتح وحماس وباقي التنظيمات دون تعصب حزبي مقيت أو تهديد ووعيد يدخل البلاد والعباد في قعر الهاوية التي لا خروج منها.

الفصل السادس:

النتيجة المنطقية

لم يكن بالوارد كتابة فصل آخر حيث أن الكتاب قد استقر عند الفصل السابق، وهو يسجل لما قبل شهر ٢٠٠٦/٨ ، ألا أن تتابع الأحداث الدامية وخروج الصراع عن حدود التعامل الانساني حتى في الأزمات –مما لم نتوقعه– ومما أعطى مثلا مهينا للتصرفات (الاسلامية) ليس ببشاعتها فقط والتحريض السافر عليها، وإنما بفحشها من خلال القتل المتطور والفتك بل والتمثيل ، ثم بالفجور من خلال التفاخر بالفاحشة عبر نشر مقابلات التشفي والكبر والفتاوى والمناظر المرعبة في فضائية الاخوان المسلمين في فلسطين أي حركة حماس ، كل ذلك جعلنا نجمع هذه المقالات المتتابعة معا، ونصدرها في هذا الفصل، لنستطيع الربط بين تاريخ كسب السلطة المخطط له في ٢٠٠٦/١/٢٥ وتاريخ اسقاط الديمقراطية في ٢٠٠٧/٦/١٤ في إطار بحوثنا مما قالوه وحسب ما ورد في الفصول السابقة.

بحر غزة الأحمر!

كلمة حق يراد بها باطل هي الكلمة التي صدرت من فم مدير سجن نفحة تعليقا له على استشهاد الأسير ماهر دندن في سجنه، ام نقول أنها كلمة تشفيّ وكلمة حقد عنصري! أم نقول أنها كلمة تخفف من الأحمال وقذف للمسؤولية جانبا كما كانت كلمة الكاتب السعودي الذي أعلن ضرورة الابتعاد عن الفلسطينيين والتركيز على الهم السعودي فقط.

مثل هذه الكلمات وغيرها الكثير الذي بدأ يظهر في الاعلام من إسرائيليين ومن أجانب آخرين ومن عرب هي كلمات لم تعد مستهجنة ، أبدا! فنحن من جلب لنفسه العار والدمار ونحن من جلب لنفسه الشتيمة وأخرج من نفوس بعض الأشقاء رغبات الانطواء الاقليمي والاسلامي بالتركيز على الهم المحلي ، ونحن من سنُفقد القضية الفلسطينية قدسيتها هذا إن مازالت ترى مقدسة بعد أن تقدس الأشخاص وتقدست التنظيمات وطويت مساحات كثيرة من الجنة بأسماء أشخاص وتنظيمات بحيث أنه قد لا نجد بعد فترة وجيزة أي دونم.

الإسرائيليون يقيدون أيدي وأرجل عزيز الدويك في السجن وصحبه من أعضاء المجلس التشريعي والوزراء ويقف مدير سجن نفحة ومدراء كافة السجون يضحكون بل

يقهقهون عاليا فهل نتأزم من ذلك ؟! أم نرفع الحواجب عاليا بطـــول ١٥ دورا هـــي أدوار برج الغفري في غزة التي ألقى منها الشهيد الشاب محمد السويركي من حرس الرئاسة بيـــد مجموعة من التكفيريين الذين بدأوا يسيطرون على قطاع غزة على حـــساب حركتـــي فـــتح وحماس؟! تلك الحركتان اللاهيتان الأولي وهي اللاهية في الأزمات الداخلية والرعـــب مـــن الآخر ، والثانية التي بدأ التكفيريون يشددون على رقبتها ، ويجتاحون قاعدتها.

اقتتال يتبعه اقتتال ولا فواصل حتى للراحة فعشرات اتفاقات وقف اطلاق النـــار لـــم تصمد ؟! وكيف تصمد والحقد قد استحكم والكراهية تعدت حدود الدين والعقـــل والـــضمير، والمقدس أصبح الأنا العليا من القائد الفلاني أو الشيخ العلاني أوالزعيم الفلنتاني.

حتى في الحروب هناك محرمات ولكن ما يحصل في غزة قد خرج عن أي منطـــق، كما خرج حكما عن الاسلام وشريعته كثيرا ، بل وخرج عن جميع قواعـــد الحـــرب بـــين الأعداء فما بالك بين الأشقاء، في البداية تم استصدار فتاوى التكفير ضد كل مخالف من هذا الفصيل لذاك وبالعكس ، وتبعه انتهاك سافر لحرمات البيوت واستفحال القتل داخل البيـــوت كما حصل مع العميد محمد غريب الذي ناشد العالم عبر التلفزيون ولا حياة لمـــن تنـــادي؟! فقتل بوحشية ومن كان معه ، ثم دخول بيت العميد رشيد أبوشباك وتدميره، ثم قتل جمـــال أبوالجديان أمين سر فتح شمال غزة الذي مزقت جسده خمسين رصاصة فقط، وكان يكفيـــه رصاصة واحدة ليموت!؟ ولكن أسلوب كفار مكة بتوزيع الدماء بين القبائل هـــو الأســـلوب المتبع على ما يبدو من التكفيريين، ما كان يبغي به الكفار في مكة منع الهجـــرة النبويـــة أو الوحدة الوطنية في غزة.

لا استطيع أن استوعب أن القتل يأتي من فلسطيني أبدا ، وأستطيع أن أقول أن القتـــل وعلى هذه الشاكلة هي سمة أصبحت لازمة لمن لا دين لهم أو عقيدة من التكفيـــريين ســـواء المسلمين أم المسيحيين او الهندوس ممن يغطي الحقد على عيونهم فيقتلون شيخ الجامع كمـــا يقتلون المخالف ولو طالت لحيته أو قصرت دشداشته أواتبع اجتهادا آخر.

أصبح القتل غير محرم وانتهكت حرمة البيوت بيوت العبـــاد وبيـــوت رب العبـــاد، وتعدى الامر ذلك ليتم قتل الأسرى والجرحى من أطراف الاقتتال ولا أقول طرفيه لأنه بـــلا جدال هناك أيدي مجرمة إرهابية عابثة لا يسيطر عليها أحد في رام الله أو غزة أو دمشق؟! وطال انعدام الحرمة الأبراج ثم المستشفيات التي تحولت لثكنـــات للمـــسلحين، ثـــم ســـبيلها المدارس بلا جدال حيث لا تنفع دعوات تأجيل الاقتتال لما بعد امتحانات الثانوية العامة؟!

لا قواعد في قتال الحاقدين المتطرفين من أي طرف كان حتى وسائل الاعلام والاعلاميين لم يسلموا من ذلك ما ختم باحتلالات منها لتلفزيون فلسطين وكأنه مقر قيادة الجيش الإسرائيلي ؟! لتهنأ القيادة العسكرية الإسرائيلية؟! ولا لحرية الصحافة فالكلمة يقابلها رصاصة فعليكم أيها الصحفيون بتمويه الكلمة وإلا فعيونكم ستقتلع وأصابعكم ستكسر؟!

أئمة المساجد يدعون للتسلح حفاظا على أرواحهم وقد نلتمس لهم الحق في ذلك في ظل الجنون المطبق ، وشباب غزة قلوبهم معلقة بالهجرة فال١٤ ألف مهاجر سيتلوهم الآلاف حتى تتحول غزة الى افغانستان الشرق الأوسط بدلا من سنغافورة ، فلا فهم ولا عقل ولا علم بل بحر يفيض دما.

لو احترم المتقاتلون المدارس لتمنينا ألا تكون هناك عطلة وأن يتجه كل سكان غزة وفلسطين الى المدارس ليأمنوا على عيالهم وأنفسهم ودينهم ودنياهم، ولكن هيهات وكنا اعتقدنا أن حرمة المستشفيات أو المساجد قد تحمي المدنيين وهو ما لم يحصل خلاصة القول أنه من حق مدير سجن نفحة أن يهزا ويضحك حتى ينقلب على قفاه ويتفعفل في رمال شاطيء تل أبيب. (المقال كتب قبل الانقلاب).

حرب غزة: إما التوبة وإما القتل!

عندما يختلف السياسيون فإن كل منهم يحاول حشد الأسانيد التي تدعم وجهة نظره، ويلتجئ إلى حزبه وتنظيمه، أو يلتجئ إلى الجماهير، وفي ذلك ممارسة ديمقراطية مقبولة لأن السياسة فن خدمة الجماهير وتحقيق مصالحها لا التنظير عليها والنظر لها من عليائية فكرية أو عقدية أو شخصية.

عندما يختلف المتحضرون ويستحكم الخلاف يتجهون للناس ليفكوا الخصام فيما بينهم، ولا يلجئون للانقلاب المسلح على عادة الأنظمة القومية العربية حيث تصبح مشاهد القتل والسحل في الشوارع ضرورة لتحقيق الغلبة كما حصل في كل من بغداد ودمشق، وتصبح السلطة والنفوذ هدفا تهون في سبيله أرواح الأبرياء تحت حجج قومية أو اسلاموية أو غيرها.

اختلف المسلمون على ولاية علي بن أبي طالب وإمارته فكان جيش معاوية يحمل فكرا ورأيا مخالفا، والفتنة الكبرى في تاريخ الإسلام أحدثت ورما سرطانيا في جسد الأمة أطاح بالملايين ولم يشف الجسد حتى الآن، حيث تحول أول خلاف سياسي على السلطة والحكم إلى خلاف ديني عقدي حاد.

التاريخ الإسلامي-وهو شأن تاريخ الشعوب الأخرى-مليء بالحوادث والشواهد المماثلة تلك التي تستخدم في كل عصر كحجة لتحقيق غلبة طرف على طرف في آلية عبادة للتاريخ تخرج خروجا مدويا عن أصل وجود السلطة إثر تطور الفكر الإنساني وهو خدمة الناس لا الأمير ولا شيء غير ذلك.

إن استخدام أو بالأحرى استغلال الدين لتأييد وجهة نظر إنسانية في شؤون الناس كانت سمة العصور الوسطى في أوربا حينما هيمنت الكنيسة والبابوات على عقول وأفئدة وأراضي وممالك وآمال الناس، فرفضوها بعد مئات السنين من الظلم والقهر وتحرروا من ذلك بعد بحر من الدماء. أما في مجتمعاتنا العربية والإسلامية فلم يكن هناك (بابوات) لأن الدين الحنيف اعتبر أن لكل مسلم الحق بالاتصال بالخالق العظيم لأنه أقرب إليه (أي إلى الله) من حبل الوريد، فلا وسطاء على الأرض ولا أنبياء جدد ولا يحزنون.... وهكذا كان، إلا في مراحل الاقتتال الكثيرة في تاريخنا التي تغذى منها ضيقو الأفق والمعصومون الجدد ممن يظنون بأنفسهم القداسة، ويعطون لأنفسهم حق الفصل بين الكفر والإيمان ، ممن لفظتهم الجماهير الواعية التي لا تقبل لأحد أن يضللها أو يقف بينها وبين علاقة كل فرد فيها الأحادية مع الله عز وجل.

حققت حركة حماس (نصرا) على (المرتدين) في غزة كما قال الأستاذ الجامعي نزار ريان من قيادة حماس وكررها زملاؤه ونهبت كافة مقار السلطة (اللحدية) بعد أن دمرت كما سبق ودمرتها الطائرات الإسرائيلية، وانتهكت الأعراض وبيوت الناس (المرتدين)، وقتلت العصابات الدموية (الكفار) وألقت بهم من الطوابق العليا في أبراج غزة، وأعدمت الآخرين بوحشية، بل ونسفت مقار الأجهزة بالمتفجرات التي أمسك الأشاوس عن استخدامها ضد العدو الصهيوني وخزنوها ليوم (النصر العظيم)....لماذا كل هذا ومن أين تأصلت مثل هذه الوحشية الطاغية؟

المفتي العام للقوات الإرهابية والدموية التكفيرية في غزة المدعو يونس الأسطل بيده مفتاح الجواب وهو ذاته مفتاح الجنة؟! فهو واحد ، ونموذج لشيوخ الظلام الذين يبيحون القتل، ويشجعون التطرف ويزرعون الحقد ويستحضرون الكراهية ويغذون نار الثأر والانتقام لا على العدو الصهيوني حاشا لله وإنما على إخوانهم! فالأسطل حين يصرخ بانعدام ذوق وبكل جلافة (أن عباس-الرئيس محمود عباس- ومن على شاكلته فقدوا كل الشرعية الجماهيرية-كيف ذلك؟! هو من يقرر-بالتزامن مع رفضهم الانتخابات التشريعية الديمقراطية وإعلانهم الحرب عليها؟!) وبناء على ذلك وباعتباره ممثل الله على الأرض وممثل الجماهير

رغم أنفها، شاءت أم أبت يقول أن هؤلاء (إذا لم يتوبوا؟؟!! ويعودوا إلى صوابهم فإن لهم جزاء كبير في الدنيا والآخرة؟؟) لذلك يمارس الأسطل وعصابات الإجرام والثأر دور الجلاد فيحققون (الديمقراطية)أي جزاء الدنيا من خلال الانقلاب العسكري (الديمقراطي)؟!! وعبر جثث مئات الشهداء ومشهد الدماء المروع ، وبالطبع يضمنون النار (للخونة والمرتدين) ويسلمون شيعتهم صكوك الغفران ومفاتيح الجنان جزاء الآخرة.

لا يكتفي المفتي العام للقوات الدموية التكفيرية بذلك بل يصرح (أن من يتلقى الدعم من الاحتلال-وكل غزة تتلقى الدعم من الاحتلال كهرباء وماء وغذاء-والولايات المتحدة لا فرق بينهم وبين الاحتلال) أي فتوى قتل صريحة لا لبس فيها ، ودفعا لأي غموض يوضح (ويجب قتالهم من دون تمييز-أي الصغير والكبير والذكر والأنثى والمقمط بالسرير، كالخوارج عبر التاريخ الأسود- حتى نضمن النصر؟؟!! على العدو، أو حتى ترجع الفئة الباغية)؟

من أين لمثل هذا الرجل كل هذا الحقد الدفين والكلام الكريه إن لم يكن من دماغ مغلق يعشعش فيه أكثر صفحات التاريخ ظلاما ، ويتغذى من أشد الفتاوى شذوذا وتطرفا ، ويسير على خطى (قطري بن الفجاءة) الخارجي الذي كان يعتبر نفسه شديد التدين فيقوم الليل والنهار في مقاتلة المسلمين الآخرين بلا هوادة ولكن في الميزان كيف نقابل الإمام علي بن أبي طالب وهذا القطري؟!

لقد أحلت الخوارج قتل مخالفيهم بتهم شبيهة لما يتفضل بها السيد يونس الأسطل أي قتال المخالفين بلا تمييز في الجنس أو السن، ويتابع الأسطل خطبته داعيا (المجاهدين ؟؟!! إلى عدم التفرقة بين القتلة واليهود فكلاهما مفسد في الأرض) في آلية تكفير سبق ورددها مرارا دون وازع من ضمير أو دين أو قانون.

هل نقول مبروك لك نصرك العظيم على شعبك البائس الباكي الجائع الخائف، الواقع تحت سوط إذلالك وانحطاط الرؤيا وفقدان البوصلة أم نقول أن التاريخ سيسدل الستار على أمثال هؤلاء حينما يسقطون في امتحان الجغرافيا والوعي الشعبي؟! أم نتضامن جميعا وبشكل ديمقراطي لنعلي راية العقل والوعي والحرية فلا نظل متفرجين حتى تجز السيوف رقابنا.

زراعة الحقد والجهل!

إن آفة هذا الدين الحنيف هي مجموعة الأوصياء عليه الذين يعتقدون أن قـراءتهم لمجموعة من الأوراق الدينية الصفراء تؤهلهم للإفتاء أو لقراءة الطالع أو لفك السحر، ما يؤدي لأن تطرح البركة بين شفاههم ،حين جلوسهم وفي حالة الوقوف ،وعند انتثار الماء من مناخيرهم وفي عيونهم! فمتى ما نظروا الى الأمام أضاءت الدنيا من مقلهم كأنها أضـواء سيارات جيب في ليل حالك؟!

وأفة الاسلام الحنيف مجموعة من الدارسين وأنصاف المتعلمين ، الذين على حجم تعلمهم فهم ظلوا يحتفظون بقلوب غلف وعقول ضيقة متعصبة بحيث أنهم يستعيدون الماضي بسذاجة عبر مقاربات باهتة تؤشر لضعف وعيهم أو ضحالة فكرهم من جهة ودلالة على استحكام الأنا المعظمة ، وعلى ارتفاع قيمة الكراهية و الحقد للمخالفين من جهة أخرى فلا يبقى حوار أو متحاورون، ولا علم ولا من يعلمون.

الاستاذ الجامعي المنتصر على اخوانه نزار ريان المنتمي لحركة حماس والذي جلس يخطب خطاب النصر على الكفرة في غزة ، أفتى بكل ثقة وبلا تردد تنم عن قدسية طاغية بردة حركة فتح والأجهزة الأمنية، بالنص (ردة) وليس غير ذلك؟! ولمن لا يفهم فقد فسر كلامه الشريف أن الصحابي الجليل والخليفة الأول أبوبكر الصديق رضي الله عنه قد حارب المرتدين ، ولكنه فتح-كما فتح نزار ريان اليوم- باب التوبة لمن يعود للاسلام من عناصر الأجهزة الأمنية؟!

يضيف الإمام المعصوم زميل سماحة المجتهد بتكفير الآخرين يونس الأسطل بالنص (أن الدين الاسلامي يتسع للمرتدين والزنادقة)؟! ويستطرد بنشوة النصر العظيم على الأعداء (نحن على الحق وهم على الباطل) ولمن لم يتابع جيدا فهو لا يقصد بالأعداء أصحاب الباطل اليهود أو الصهاينة ، مذكرا بأبي بكر الصديق الذي حارب المرتدين على منع الزكاة (أفلا نقاتل من ينتهك حرمة بيوت الله ويعدم العلماء-مع العلم أنه من أعدم وجماعته الأبرياء وعلى شاشات التلفزة-ويبيع القضية الفلسطينية) ويؤكد بعنفوان المنتصر على الكفار (أن لا حوار لحماس معهم إلا من خلال فوهة البندقية)؟! ومرة ثانية هو لا يقصد بتاتا العدو الصهيوني بالطبع، لذلك طافت قوته التنفيذية وكتائب القسام-وعز الدين القسام منهم براء- بجثة الشهيد الشيخ سميح المدهون قائد كتائب شهداء الأقصى في شوارع غزة في حالة تمثيل بالجثث تذكر بالجاهلية الأولى لم يسبق لها مثيل.

نقول له بارك الله فيك؟! فأنت لم تشوه القضية الفلسطينية أو الشعب الفلسطيني فقط وإنما والحمد لله قد شوهت بجهدك الكبير وعلمك الغزير في استنساخ مقارنات تاريخية مغلوطة الاسلام الحنيف ، إذ لو كان كل المسلمين والقادة أمثالك لأندثر هذا الدين منذ زمن بعيد.

لا يفوت الأستاذ المذكور أن يؤكد (أن التيار العميل انتهى) حيث سيقيم صلاة الجمعة في مركز العلمانيين في غزة، ومرددا كلام الناطق من حماس سامي أبوزهري ذاته بأن حربه المقدسة في غزة إنما كانت ضد العملاء وما (النصر) والذي تحقق و (التحرير الثاني) الذي حصل للقطاع من (قطعان العملاء)؟! بالنص، إلا خطوة حمراء مباركة بتفويض إلهي (لوقف جرائم هذه الفئة) كما قال لا فض فوه؟!

لتهنأ حركة حماس بأمثال هؤلاء القادة العظام والأئمة المعصومين عن الخطأ الذين يفرضون على شعبهم ثقافة التكفير والتخوين .! ولتهنأ حركة حماس بأمثال هؤلاء الأساتذة الكرام الذين يعكسون الصورة المشرقة والبهية لعصور الجهالة والظلمات المستعارة من التاريخ الاوربي المظلم ، الذي كان يعادي الفكر والحرية والرأي المخالف ويرفض الاختلاف ويكفر المخالفين ويقطع بدخولهم النار، تلك المرحلة التي اعتقدنا أنها قد زالت فإذ بها تعود في بزة وربطة عنق وعبر أحدث الوسائل التقنية أي عبر الفضائحيات.

تخليد الحقد و تقديس الكراهية

تساؤل مشروع أثارة أكثر من محلل سياسي، بل و أثارة المواطنون الفلسطينيون و خاصة الغزيون، و هو التسائل القائل من أين لحماس هذا الحقد ؟! فأن يصف استاذ جامعة وقائد في حماس من المفترض أنه مؤدب وهو نزار ريان ريئسه بالطرطور ، والمخالفين له من الشعب بالمرتدين والخونة !! و أن يدعو ممثل كتلة حماس البرلمانية -تصوروا رجل برلمان- (للحسم العسكري) ضد اللحديين؟!! و ان يصرخ سامي أبو زهري حتى تنشق حنجرته قائلا: اننا نطهر القطاع من "قطعان الخونة" (قطعان يا أبوزهري فعلا إلا استحوا ماتوا)،او ان يسبقهم جميعا يونس الاسطل بفتواه الشهيرة بتكفير كل من يعاديه. ثم تلحق فضائية التحريض والكذب و التدجيل على ظهر الشعب متهمة في ذات السياق كل من لم يلبسوا ثوبهم بانهم خارج الملة الوطنية و الدينية فانه دلالة اكيدة على حقد دفين تمت التعبير عنه ببراعة فاقت براعة العدو الصهيوني قتلا و تقطيعا و قذفا من أعالي البنايات ليأتيك الرد

الصريح و القول المريح أننا نرد على ما حصل لنا في زنازين السلطة الوطنية طوال ١١ عاما من تعذيب !؟

يا للهول؟! لقد سألوا حكيما كيف عرف الكذبة قال من كبرها!؟ و هذا ديدن التيار المتطرف في حركة الاخوان المسلمين منذ اعتقلوا في سجون جمال عبد الناصر حيث اتقنوا فن البكاء و التهويل من جهة، و فن الكذب والمغالاة من جهة ثانية فما حصل لبعض منهم في سجون عبد الناصر لم يخرج عما حصل لكل معارضي السلطة آنذاك من شيوعيين و غيرهم ، وهو بكل المقاييس لا يساوي شيئا مقابل ما يتعرضون له في سجون الراعي الرسمي لاحتفال الدم في غزة اليوم وهو جالس على جماجم الأبرياء في البعيد.

استطاع التيار المتطرف في الاخوان المسلمين ان يتقن فن التضخيم و المغالاة حتى أصبح قتلاه شهداء بحجم شهداء معركة بدر أو بحجم القديسين أو الائمة المعصومين أو الانبياء، و استفادوا من عمل الشاه اسماعيل الصفوي الذي أراد ان يرسم جدارا ناريا بين السنة و الشيعة ففرض إحياء مراسم الحداد السنوية على كافة ائمة الشيعة و ذلك في مواكب تستعيد الماضي و تنكأ الجراح و تعيد تصوير التاريخ ليس للاستفادة منه ، و انما لتحقيق ثلاثة أغراض رئيسة: تعميق الشرخ في الدين أولا ، و تذكير جماعته ثانيا بأنهم لا يمكن أن يكونوا مع الآخرين جسما واحدا أبدا، و ثالثا أنهم وحدهم الفئة الناجية كما قال لأحد اخواتنا نبي من زعماء حركة حماس في شمال الضفة حيث هم الفئة المنصورة و حركة فتح الحركة الباغية.

ان استحضار الحق المرتبط بمرحلة كان فيها عدد من كادرات حركة حماس في السجن ، و استخدام ذلك تهويلا و تضخيما مع الكثير من الكذب الصريح والقبيح في آن، لا يعني الا سياسة تنظيمية تعبوية تستهدف جمع الأفراد حول القائد المقدس أو الحجة أو الإمام، و كسب التأييد الأعمى ، حيث المريدين يرتاحون من عناء التفكير و البحث عن الحقيقة بتأجير عقولهم للإمام المقدس، والتخلي ايضا عن اموالهم و نسائهم كما الحال لدى التيارات المتطرفة في الجزائر.

ان (تخليد الحق) و (تقديس الكراهية) ووضع فروقات لا يمكن تخطيها هي سمة المتطرفين أبدا أو الذين أطلق عليهم في التاريخ الاسلامي مصطلح (الغلاة) أولئك الذين و صلت بهم أزماتهم النفسية إلى حدود تقديس الذات و الجماعة فأصبح العقل في واد و الجسد في آخر، و انتحرت الحرية على مذبح شنق الكلمة و الرأي.

على هامش نصر غزة: صور (اسلاموية) سوداء!

كانت الصور المسيئة للرسول (ص) مزعجة ليس فقط للمسلمين في العالم فهى لهم بالطبع تثير الاشمئزاز و الرفض و تستدعي الإدانة ، و لكن هذه الصور كانت مزعجة لكل أصحاب الاديان و الافكار و القيم في العالم ، لان الحرية باعتبارها الأصل في الاسلام و في الأديان لا تعني انتهاك حرمات الاخرين و مقدساتهم .

لقد كانت هذه الصور تشكل سقوطا أخلاقيا لمن رسمها و للصحيفة الدنماركية التي روجت لها ، و في حياتنا الكثير من الصور المخجلة و المثيرة للاشمئزاز تلك الداعية للانتقام اوالممثلة للحقد الأعمى و الارهاب نجدها خاصة في كثير من ممارسات الصهاينة، وعندنا أيضا للأسف.

كانت تلك الصورة الأولى أما الثانية فلقد كانت تحلق الجمهرة حول جثة صدام حسين الذي بغض النظر الرأي حوله من أنه بطل قومي او طاغية متجبر فلقد عومل بمماته معاملة همجية ، حيث تعالت من حوله الصيحات التي تشير لانتصار (شيعة حيدر) و حيدر علي كرم الله و جهه من هذا التعصب و الحقد الاعمى براء ،و هو الصحابي العظيم الذي طالب اثرمقتله بمحاسبة قاتلة فقط نفس بنفس كما قال ،بلا غلو أو تطرف ، رضي الله عنه و سلم عليه لقد ضرب في حياته و مماته مثلا خالفه فيه كثير ممن يدعون الانتساب له زورا.

الصورة الثالثة : كانت صورة الطفل الأفغاني الضاحك الذي قام بجز رأس الأجنبي فرحا ليعطي الامثولة عن (الاسلام العظيم) بحسب توقعات من وراء هذا الطفل ، وهو في الواقع قد أساء إلى اسلامنا العظيم آلاف المرات كما أساء له من مارسوا القتل البشع في العراق وافغانستان و فلسطين ممن هم منتسبين للاسلام اسما والدين الحنيف منهم براء، ولا يقارب ذات الصورة إلا ما فعله الدمويون الارهابيون في غزة حينما مثلوا بجثة الشيخ سميح المدهون شيخ مجاهدي كتائب الأقصى حينما عروها وطافوا بها شوارع غزة.

الصورة الرابعة: هي صورة (النصر المؤزر) التي حاول المتطرفون من التيار الدموي في حركة حماس ان يعكسوها للمشاهدين عبر فضائية التحريض و التسميم، فضائيتهم، حينما قتلوا ١٦ بريئا من المسلمين ليدخلوا بهم الجنة عبر دخولهم مقر الأمن الوقائي ومقرات السلطة (الكافرة المرتدة اللحدية العميلة-بحسب مصطلحاتهم) في غزة ، و يقيموا الصلاة شكرا لله، لا ندري على ماذا يشكرون الله ، وعلى ماذا يصلون؟ وعلى ماذا يسجدون ؟! مغطين رؤوسهم أخجلا أو وجلا أو وقاحة، و هدم الكعبة أهون عند الله من سفك دم مسلم واحد فكيف بالمئات؟!.

لقد كانت صورة المقنعين بالسواد من التكفيريين الدمويين، و هم يصلون في باحة الأمن الوقائي مخزية إلى درجة قال لي فيها أحد الاصدقاء في غزة –قبل أن تنقطع الكهرباء والماء والاتصالات– ممن تواجدوا في المكان أنه بدأ يخجل من الانتساب لفلسطين و للعروبة و لمثل هؤلاء المسلمين ولا أزيد .

انشقاق ١٩٨٣ و حركة حماس

في طرابلس العام ١٩٨٣ وقف العظيم ياسر عرفات وأمير الشهداء ابو جهاد و كل دعاة الاستقلالية الفلسطينية في و جوه المنشقين و أصحاب التوازن الاستراتيجي الذين خلت حدودهم من السلاح و امتلأت بها المخازن حتى اليوم ليستخدموها ضد كل رافض للهيمنة و الجبروت الطائفي ، وقف الجبل الذي لا تهزه الريح و حيدا كما كان في بيروت ضد العالم، و حقق انتصاره إلى ان استطاع أزلام النظام ذاته بعد ٢٣ عاما ان يمسكوا برقبة زمرة من حركة حماس و يلوون فيها عنق الحق و يجيرون من خلالها السيطرة على الورقة الفلسطينية و اللبنانية العراقية في لعبة المصالح الاقليمية مالا يشكل للفلسطينيين أولوية أبدا .

في العام ١٩٨٣ شق النظام المعادي للثورة والوطنية حركة فتح و نجح نجاحا مدويا، وفي العام ٢٠٠٧ يحاول السيطرة على الورقة الفلسطينية من خلال حركة حماس التي حاولت جاهدة اظهار استقلاليتها عبر(اتفاق مكة) و لكن نجاحها هذا كان مثيرا لدرجة القذف بتيار الدم والتكفير فيها في أتون معركة غزة (ضد الخونة والكفرة) ما قابله صمت مطبق من تيار الاعتدال في الحركة خوفا من الانشقاق الذي حصل في حركة فتح سابقا.

في المفاصل التاريخية إما أن تقف مع دينك وشعبك وإما أن تبيع روحك للآخر ابتغاء السلامة، ومن يبع روحه للمتسلط والمتجبر فلن يستطيع افتكاك نفسه أبدا.

أدوار في المعادلة الأمريكية؟

لطالما ردد أقطاب السياسة الأمريكية في كل مناسبة المعادلة التي يعملون، وفق حديها، وهي أن المصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط تعني ثلاث كلمات فقط ، النفط وأمن إسرائيل، وبالتالي تأتي سياسة الفوضى الخلاقة في المنطقة لتحقق المصلحتين معاً.

أن الرؤية الأمريكية الشمولية التي تضع العولمة كفكر اعتراضي أمام أي مشاريع أخرى سواء أيديولوجية أو اقتصادية أو ثقافية تفترض تحقيق أهداف السياسة الأمريكية في العالم من خلال الهيمنة.

أقاليم ديمقراطية ودول متمردة

لذلك يطال مجال المصالح الأمريكية كل أقاليم ودول العالم وأنظمتها بل وتفرعاتها الوطنية الداخلية، فيعد الحفاظ على مستوى منضبط من التوتر والخلخلة في أي من الأقاليم أو المناطق أو الدول أو بينها وفيها مساراً يحقق الهيمنة.

إن التقسيم الأمريكي للعالم إلى أقاليم ومناطق، أقاليم باردة وديمقراطية وأقاليم ساخنة ومتمردة، أو أنظمة ومنظمات وجماعات وفق نفس النظرة يعني أن التدخل والهيمنة والعولمة تمثل العناصر الثلاث الرئيسية في السياسة الأمريكية.

إن انتهاء الحرب الباردة وسقوط جدار برلين وعدم وجود مُنازل قوى وانفتاح العالم أمام السيد الأوحد، قد غذى فكرة الهيمنة الأمريكية (حيث يعد وليام هيرست صاحب الفكر التوسعي الأمريكي)على العالم، وخاصة في ظل قيادة المحافظين الجدد الذين ينتمون عقائدياً للمسيحية الصهيونية (وهي التي نشأت في القرن١٧ وكان جون داربي أبوها الروحي وتضم ٤٠ مليونا في أمريكا) التي تغلف سياساتها بالإيمان الرباني الذي يشبه الرسالة فيصبح التدخل في واقع الهيمنة مشروعاً دينياً وعقائدياً وسياسياً فيلتقي ركنا السياسة الأمريكية الجديدة، وهما التدخل بغرض الهيمنة العولمة معاً.

أما العولمة باعتبارها الركن الثالث في السياسة الأمريكية فهي الرسالة الاقتصادية والثقافية والفكرية التي تحفظ قدرة الإمبراطورية على التطور الاقتصادي من خلال قوانين السوق التي لا يهيمن عليها إلا القوى، فيصبح التبادل ذو قيمة كبرى بين السياسات والميزان الاقتصادي.

وباعتبار أن العالم لا يتفق بالضرورة مع المفهوم الديني العقائدي الإصلاحي الصهيوني الأمريكي (حيث تحالف المسيحية الصهيونية مع المحافظين الجدد في حاضنة الحزب الجمهوري) فكان لا بد من أن ترسم أمريكا خطاً ديمقراطياً وتضعه في سياق حقوق الإنسان والشعوب، ليظهر الوجه البراغماتي المشرق دعوة للحرية والديمقراطية والتنمية والتطور والتسامح، وإن كنا نعتقد أن في هذا الجانب عامل ايجابي يجب البناء عليه يتمثل في رغبة تيار في القيادة الأمريكية بصيانة القيم الديمقراطية في العالم دون أغراض مرتبطة بالضرورة بالأركان الأخرى في السياسة الأمريكية الراهنة ما يمكّن الدول المستهدفة والمنظمات والأقاليم أن تتعامل مع هذه المعطيات من زاوية الخضوع أو السير بين الأشواك والنضال دون قطيعة أو بالمعاداة الصريحة.

الخضوع أو التماهي

ان التعامل مع السياسة الأمريكية من زاوية الخضوع أو التماهي المطلق هو سمة لعديد من الأنظمة التي ترى أن مصالحها متفقة أو مرتبطة مع أمريكا، والعكس مع تلك الأنظمة أو الجماعات التي تعادي الولايات المتحدة بحدة، وأكاد اقترب من القول أن سياسة السير بين الأشواك والنضال في إطار عدم الخضوع هي السياسة التي تتبعها عدد من الدول العالمثالثية والمنظمات والجماعات التي من ضمنها دول في إقليم الشرق الأوسط.

في الشرق الأوسط حيث النفط وأمن إسرائيل هما مفتاح الصراع والحل تتقاتل دول المنطقة القوية في إطار، أما التماهي أو النضال أو المعاداة كلّ لتحقيق مصالحه الإقليمية وليس لتحقيق حل عادل للقضية الفلسطينية أبداً، وهي القضية التي تراجعت –لصعود نجوم جديدة– عن سلم الأولويات وعادت كورقة مساومة بيد القوى الاقليمية.

ان دول المنطقة القوية عسكريا هي إسرائيل وإيران خاصة بعد تدمير العراق، ويدور في فلك السياسات كل من العربية السعودية ومصر وسوريا، ويبرز من وراء الأكمة لاعبين صغار على الطاولة في كل من لبنان وفلسطين، ولكن في إطار الفوضى الخلاقة والفوز بالحظوة الإقليمية أمام اللاعب الأكبر، فيصبح الصراع الإسرائيلي-الإيراني متجاوزا بحقيقة الأمر أهداف (صغيرة) مثل استقرار لبنان أو حل للقضية الفلسطينية أو استقرار الجزائر.

اسرائيل وايران واندحار القضية الفلسطينية

إذن فالقضية الفلسطينية في حقيقة الأمر لم تعد –برأيي على الأقل– تمثل القضية المركزية للأمة العربية والإسلامية، كما لم تعد ذات أولوية بالحل لدى الإسرائيليين وعلى الأقل لدى الحكومة الحالية التي يتزعمها ايهود أولمرت، وبناء عليه فإنه من الممكن تجاوزها والانتقال للملفات الأهم، وهي مساحة النفوذ المطلوبة لكل من إسرائيل كدولة يجب أن يعترف بها ككيان طبيعي من جهة وكدولة ذات دور إقليمي كبير سياسي واقتصادي وعلمي واداري، ومساحة النفوذ الذي تطلبه إيران في المنطقة أي في الخليج العربي وفي العراق وما جاورهما، لذلك تمسك كل من القوتين بالعديد من أوراق اللعبة على جثة القضية الفلسطينية ودون أدنى اعتبار للحقوق أو الحل أو الدولة.

في المسعى الإيراني للتسيّد فإن ورقة العراق وسوريا وحزب الله وحركة حماس تبدو منطقية وضرورية ؛ فشيعة العراق بغالبهم يدينون بالولاء لإيران رغم دعوات التعريب في

ظل الدعوات الفارسية، وحزب الله يذود عن حياض آيات الله في قم عبر جنوب لبنان، والربع مليار الذي استلمته حماس من آية الله العظمى علي خامنئي كانت كفيلة بتدمير (سلطة أوسلو) في غزة بنفس الأساليب المستخدمة في المستنقع العراقي.

أما على الطرف الآخر فتقف إسرائيل في حيرة إثر تقرير (فينوغراد) الذي كشف الضعف والانكسار بعد الحرب على لبنان ما يجعل من حكومة (اولمرت) بأمس الحاجة لتقوية البنيان عبر الملف السوري في مواجهة إيران وعلى واقع إدارة الظهر للملف الفلسطيني الذي حققت فيه حماس انجازاً ثميناً لشارون وأولمرت بتحقيقها الفصل بين غزة والضفة وإن كان الهدف الأصلي كان صدّ السهام عن إيران وسوريا وقلب الأوراق في المنطقة.

اللاعبان الكبيران في منطقة الشرق الأوسط في ظل الهيمنة الأمريكية وسياسة الفوضى الخلاقة مسموح لهما معاً السير وفق خطوط محددة وإن كان لإسرائيل مساحة أوسع بكثير، إلا أن العداء الأمريكي لإيران لا يمكن أن يكون أبدياً والعكس بالعكس، فتقية الملالي من الممكن أن تحول العدو الأكبر إلى الحليف الأكبر، وكما هو الحال في التحالف الفعلي على الأرض في العراق بين العدوين اللدودين.

الدور السوري

أما سوريا التي تتلقى الصفعات، ويكاد ينظر لها كحائط واطيء بعد طردها من لبنان وتهديدها بالملفات الأمنية ، فإنها لا تقبل التهميش أو الاستبعاد، لذلك فإنها في فهمها لواقع السياسة الأمريكية تريد أن تثبت قدرتها على لعب دور هام في التماهي مع السياسات الأمريكية وخدمتهاعبر علاقاتها مع إيران ومع حزب الله ومع حركة حماس الأمر الذي يقوي من موقفها التفاوضي أمام الإسرائيليين وأمام الولايات المتحدة، ما استدعى من السياسيين الإسرائيليين التنبه لضرورة إعطاء الأولوية للملف السوري على حساب الفلسطيني.

(في سوريا تعيش أقليات كثيرة، مسيحيون، وأرمن، وأكراد، ولا توجد أي مشكلة أن يعيش إسرائيليون أيضاً)، قال د. سامي خيامي سفير سوريا في بريطانيا في ندوة بلندن بعد يومين فقط من (انتصار) حركة حماس الموالية لسوريا على الشعب الفلسطيني في غزة ، وبحضور د. فؤاد الأخرس والد زوجة الرئيس بشارالأسد، أعلن سعادة السفير استعداد سوريا الكامل للسلام وبشكل جدي وأشار للدور السوري المركزي في إطلاق سراح

البريطانيين الـــ ١٥ الذين اسروا قبل نحو ٣ أشهر في الخليج الفارسي من قبل الأيـــرانيين، وأبدى استعداده الكامل للتخلي عن حزب الله وعن المنظمات الفلسطينية في دمشق حينما قال أن اتفاق السلام والخروج من شبعا يعني تجريد حزب الله من السلاح بالضرورة مـــضيفاً أن سوريا (تستطيع مساعدة إسرائيل في التوصل إلى تسوية مع الفلسطينيين تقضي إلـــى أن لا توجد حاجة إلى كل تلك المنظمات وأن تختفي) (عكيفا الدار بتقرير له في صحيفة هـــآرتس ٢٠٠٧/٦/١٩).

دور حماس؟

في ظل صراع القوى الإقليمية حاولت حركة حماس أن تسدد الفـــاتورة المطلوبـــة منها أمام الراعيين الرسميين لها وفي معادلة التقرب مـــن الولايـــات المتحـــدة، حيـــث أن التنظيمات الضعيفة بما فيها فتح وحماس تتنافسان في المساحة المتاحـــة مـــن قبـــل القـــوى الإقليمية والقوة العالمية الأوسع فما دام سامي أبو زهري على فضائية حماس ينطـــق بـــالفم الملآن معلنا (أن استعدادنا للحوار مع الأمريكان مفتوح دوماً) فهو يفهم أن الانقلاب الدموي لحركته في غزة كان ضرورياً ليستطيع الجلوس على الطاولة ولا يتم استثناءه من أي صيغة حل قادمة مع الإسرائيليين وفي إطار الرعاية الأمريكية التي يجتهدون للوصول لها، وربما يكون بذلك قد نجح هو والمحور الذي يمثله لا سيما وأن كاتب إسرائيلي كبير مثل (يوســـي بيلين) يطالب الآن بضرورة التوصل لاتفاق لوقف إطلاق النار مع حماس في غزة بواســـطة المصريين دون أن يطرح حلاً عادلاً للقضية الفلسطينية بل يربط الحل مع حركـــة حمـــاس بتوقيع اتفاق الجولان مع سوريا.

فتح والسير بين الأشواك

حركة فتح في إطار سياسة السير بين الأشواك دون الخضوع للاملاءات ،مهما قيل عن الرئيس ياسر عرفات زوراً، حاولت التعامل بجدية مع المصالح الأمريكية في المنطقة ومـــع اللاعب الرئيس اسرائيل بما لا يضر المصالح الفلسطينية وفي آلية سياسة براغماتية تستهدف تحقيق الدولة الفلسطينية المستقلة حلم الفلسطينيين وياسر عرفات.

ارتكزت محاور السياسة الفلسطينية على كسب جبهة واسعة من التأييد الإقليمي وخاصة من خلال دول الجوار والمملكة العربية السعودية، وعلى ضرورة عدم إقفال قناة التفـــاوض بأي شكل من الأشكال مع الإسرائيليين وعلى تقديم برنامج سياسي يـــستند للحـــل الـــسلمي

ورفض العسكرة وبناء مجتمع مدني ديمقراطي يحقق القبول العربي والدولي وهذا ما كان حيث انفتح العالم الأوروبي الغربي على الحكومة الفلسطينية بعد الحصار الشديد أيام الرئيس عرفات الذيي عمل الإسرائيليون على القضاء عليه، فلم يجدوا نتيجة إلا ساسة فلسطينيين يحملون ذات الحلم والموقف، حاولوا التملص منهم طويلاً حتى جاءت حركة حماس لتزيد الطين بلة وتعطي الذرائع تلو الذرائع للتملص الإسرائيلي من استحقاقات الحل.

في اطار السياسة الأمريكية للتدخل في إعادة رسم خريطة القوى في المنطقة ضغطت لاستبعاد حماس من الحكومة وإلا فالحصار يعود كما كان أيام الرئيس عرفات، وهذا ما حصل. ورغم تكفير حماس للمشاركة في الحكومة الفلسطينية عام ١٩٩٦ إلا أن العام ٢٠٠٦ وجد للفتوى مخرجاً بفتوى نقيضة لتصبح السلطة الهم الأوحد للمقاتلين القدامى، ولو بالسلاح ضد الأشقاء في كافة المراحل أي ما قبل الانتخابات وما بعدها وبعد تشكيل الحكومة الوطنية ، حيث استخدم السلاح بمهارة لتقويض أي قدرة لوقف النار من قبل السلطة الى أن أصبحت حماس شريكا فيها فهدأت الحدود كليا.

.إن حركة حماس ذات الارتباط الإقليمي بالمحور الأيراني السوري الساعي لتكثيف ارتباطاته وتقوية أوراقه خدمة لمصالح تمدده الإقليمي، قدمت نفسها لاعباً يستطيع أن يعطي السياسة الأمريكية والإقليمية تقاطعاً ورحابة أكثر مما تستطيع فعله حركة فتح المتهاوية والمنهكة.

في الملعب الأمريكي

ظل تيار رئيس في الإدارة الأمريكية يضغط لعزل حماس، وفي المقابل عقدت عديد اللقاءات بين بعض الأمريكان والسوريين ومع حماس التي وّعدت بتحسين درجة القبول الأمريكي لها مقابل التزامها بالشروط الدولية التي قبلتها على طبق من ذهب في زمن قياسي لم يتعد شهور ، وقدمت أوراق اعتمادها في اللعبة الاقليمية والدولية من خلال انخراطها في حكومة الحكم الذاتي المحدود حكومة اوسلو الخيانية كما كانت تسميها، وعلى شرط تحقيق غلبتها على حركة فتح وإثبات حسن نواياها تجاه إسرائيل عبر إعلان رغبة في هدنة طويلة الأمد وتحقيق الأمن بمنع المقاومة وهذا ما كان على مدار ١٥ شهراً إلى أن تم تدمير غزة.

حماس دخلت بإرادتها في الملعب الأمريكي ساعية لاسترضائه وإن استخدمت العنف في أدوات اللعب، وعبر العدو الوهمي للأمريكان ممثلاً بإيران وسوريا. أما فتح ذات العقلانية والاستقلالية الطاغية فلم تستطع استيعاب محاولات التدخل الأمريكي في البيت

الفلسطيني، حيث رفض الرئيس أبو مازن مشروع الدولة المؤقتة كما سبق ورفضه الرئيس عرفات وحاول أن يجسد وحدة وطنية حقيقية مع حماس التي كانت تصارع بقوة للهيمنة والاستئثار بالسلطة واستبعاد الآخرين.

واجهت فتح في مقابل طغيان تيار الاستقلالية والعقلانية فيها وإمكانية امتصاص التدخلات الأمريكية لما فيه مصلحة هدف الدولة الفلسطينية، واجهت حائطاً من بعض الشخصيات المحسوبة على فتح من جهة والقابلة للتدخل الخارجي وحائطاً من حركة حماس، التي وعدت بفتح الأبواب (الأمريكية) أمامها إن أثبتت نفسها وفق صياغات محددة، فكانت السياسة الأمريكية بالفوضى الخلاقة داخل الإقليم والبلد والتنظيمات والتنظيم الواحد هي السياسة المهيمنة.

هولاكو ضد محمد

محمد
على جبين القمر رسم قوسا وإشارة
على مسيرة ساعتين من بحر الغنائم
وفي طابور العرض أمام العينين النجلاوين سجل دوره
أنا السفير الى عنق المحبة
وأنا العبير في صدق الخبايا
وأنا النذير عند انتشاء المهجة
كان يرسم حمار جده على ورق صقيل
ينثر كلمات لطيفة من شرفة البرق
يحلم بالكثرة والعشق والعناق والموسيقى
ويبتسم
ويأكل الرغيف المغمس بالصلاة خمس مرات يوميا
وعندما يصوم كان يصل الله ليلا فلا ينام
عيون جافية وجبهة عالية وقلب يتفجر إيمانا
هولاكو
على ديجور الزمن الخرافي رسم سيفا
وفي رواق سيد الظلمة سجل اسمه

غير بعيد عن مغارة حسن الصباح في خراسان
أنا السفير الى عنف اللحظة
وأنا النذير عند انتشار الرذيلة
كان يرسم جمجمة وعظمتين على أجساد قتلاه
وطز على حقوق الانسان
ويضحك
وينثر صرخة المغول بعد جز الرقاب
يحلم بالرؤس المقطوعة ويتأسى بهند قبل الاسلام
ويقهقه عاليا
يأكل الرغيف المخمر بالدم خمس مرات يوميا
لا يصوم عن القتل أبدا ، ولا ينام فأجفانه ملتصقة في وجهه
موكب الذبح
جروه من قميصه وقد قد من دبر
وألقوه أرضا مع عشرات الركلات والحجارة والعصي
وقدم من ثقب الزمن الأسود هولاكو يحمل فوق ظهره وزر آلاف الضحايا
واستل سيفه المغروس في عنق أبوذر الغفاري
يضع النصل على رقبة (المرتد) في غزة، فلا يرى له ظلا
ويضغط حتى يذوب الحد الصلب في جسد (الكافر) الطري
ما هي إلا حشرجة وشخير وكثير من الدماء
وينتهي الامر
يشق في عنقه أخدودا يذكره بحرّ الأنثى
يتناثر الدم المسفوك على أطراف عباءته فينتصب
لقد بانت منه الرجولة وسقط عجزه الجنسي
في حضرة ذي القرنين
محمد الذبيح الممدد في كتاب التاريخ وهنت منه العينان
ولم تعد دموعه تغسل قلوب (الأتقياء)
فلم يستطع البوح
يكبر كثيرا ويحمد الله ويستغفره

هولاكو الجديد يستحضر حقد الألف عام على مقتل أبولؤلؤة
ويدوس إرث الحضارات ويناجي نقمة الحشاشين
يركب صهوة الغلو ويطلق الغوغاء من أتباعه أربعين رصاصة
في رأس محمد تماما
(--وما يضير الشاة ذبحها بعد سلخها)
قال جنكيز خان العصر لهولاكو : اشعل حربك ولو برصاصة أو طعنة أو نظرة غضب
أشعل حربك ولو بشق تمرة.